

شیخ أبو العباس
أحمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستفهام

لأخبار دولة المغرب الأقصى

الدولـةـ الـرـيـنـيـة

القسمـ الثـانـي

الجزءـ الـرـابـع

تحقيقـ وـ تـعلـيـمـه

الأساتـذـةـ

جعفرـ النـاصـرـيـ وـ مـحـمـدـ النـاصـرـيـ

دارـ الـكـتـابـ

دارـ الـبـيـضاـءـ

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لدار الكتاب

ساحة المسجد الحمدي

الدار البيضاء

1418هـ / 1997م

رقم إرسياع القانوني والترخيص

1399/96

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدولة المرنية

القسم (الثاني)

الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله أبي بكر بن أبي عنان بن أبي الحسن المرني

هذا السلطان أول من استبد عليه من ملوكبني مرين. أمه: أم ولد اسمها الياسمين. كنيته: أبو يحيى، وهي كنية كل من اسمه أبو بكر: لقبه. السعيد بالله. صفتة: دري اللون مستدير الوجه حسن الأنف العس الشفتين، براق الثناء، جعد الشعر. بويح وأبوه مريض في التاريخ المتقدم، وكان محجوباً بوزيره حسن بن عمر الفودودي لا يملك معه ضرراً ولا نفعاً، ولما بويح لحق أخيه عبد الرحمن^(١) بن أبي عنان بجبل الكاي وكان أسن منه، وإنما آثروه لمكان ابن عممه مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي من وزارته، فبعثوا إليه من لاطفة واستنزله على الأمان وجاء به إلى أخيه فأعتقله الحسن ابن عمر بقضيته من فاس، وبعث على أبناء السلطان الأصاغر الأمراء بالغور، فجاء المعتصم من سجلماسة، وامتنع المعتمد بمراكش وكان بها في كفالة عامر^(٢) بن محمد الهناتي، وكان عامر هذا من بيوتات هناتة وأهل الرياسة والشرف فيهم، وكان السلطان أبو عنان قد أوصى إليه بولده المذكور وجعله هنالك لنظره، فلما بعثوا عليه منعه من الوصول إليهم، وخرج به من

(١) عبد الرحمن هذا لم يده صاحب روضة التسرين في جملة أولاد السلطان أبي عنان.

(٢) انظر ترجمة عامر هذا عند ابن خلدون ج أول طبع الجزائر ص 359 والتي تليها.

مراكش إلى حصنه من جبل هناتنة فجهز إليه الوزير حسن بن عمر الجيوش لنظر الوزير سليمان بن داود مشاركة في الاستبداد، وسرحه في المحرم سنة ستين وسبعيناً، فسار إلى مراكش فاستولى عليها ثم تخطى إلى الجبل فأحاط به وضيق على عامر حتى أشرف على اقتحام الحصن إلى أن بلغه خبر افتراق بني مرین بفاس، وظهور منصور بن سليمان بها على ما نذكره، فانقض العскـر من حوله وتسابقاً إلى منصور فلحقوا به، ولحق به سليمان ابن داود أيضاً وت نفس الحصار عن عامر ومكفوله، والله غالب على أمره.

ظهور أبي حمو موسى بن يوسف الزياني واستيلاؤه على تلمسان ونهوض مسعود بن عبد الرحمن إليه وطرده عنها

كان بنو عامر بن زغبة من عرب هلال خارجين على السلطان أبي عنان منذ استيلاته على تلمسان وكانت رياستهم إلى صغير بن عامر بن إبراهيم، ولما رجع أبو عنان إلى فاس اعتم صغير على الرحلة بقومه إلى وطنهم من صحراء المغرب لأنهم كانوا متبدلين عنها بأطراف إفريقية، فدعوا أبو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان إلى الرحلة معهم لينصبوه للأمر ويجلبوا به على تلمسان فأجابهم إلى ذلك، وأخذوا السير إلى المغرب للعيث في نواحيه، فجمع لهم أعداؤهم من سويد وكأنوا خالصة لبني مرین فالتحقوا بقبلة تلمسان فانهزمت سويد، وهلك كثيرون عثمان بن وزمار، واتصل بهم في أثناء ذلك خبر وفاة السلطان أبي عنان بفاس، فأخذوا السير إلى تلمسان وقاتلوا عليها حامية بني مرین ثم اقتحموها عليهم لليال خلون من ربيع الأول سنة ستين وسبعيناً، واستباحوا من كان بها منهم، وامتلأت أيديهم من أسلابهم، واستولى أبو حمو على ملك تلمسان واستثار بما ألقاه بها من متع بني مرین ومن جملته هدية كان السلطان أبو عنان أعدها هنالك لبيعت بها إلى طاغية برشلونة وفيها فرس أدهم من مقرباته يمركب ولجام مذهبين ثقيلين فاتخذ أبو حمو الفرس لركوبه، وصرف باقي الهدية في وجوه مقاصده ولما انتهى إلى

الوزير حسن بن عمر خبر تلمسان واستيلاء أبي حمو عليها جمع شيوخبني مرین وأخبرهم بالنهوض إليها فأبوا عليه من النهوض بنفسه، وأشاروا بتجهيز العساكر ووعدهم من أنفسهم المسير كافة ففتح دیوان العطاء وفرق الأموال وأنسى الصلات وأزاح العلل وعسكر بساحة البلد الجديد، ثم عقد عليهم لمسعود بن عبد الرحمن بن ماساًي وحمل معه المال وأعطاه الآلة وسار في العساكر والألوية ولما اتصل خبر مسيره بأبي حمو أفرج له عن تلمسان ودخلها مسعود في ربيع الثاني من السنة المذكورة فاستولى عليها وخرج أبو حمو إلى الصحراء إلى أن كان ما ذكره.

ظهور منصور بن سليمان وبيعة مسعود ابن عبد الرحمن له وما نشأ عن ذلك

منصور هذا هو منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب ابن عبد الحق، وكان الناس يرجفون بأن ملك المغرب سائر إليه بعد وفاة أبي عنان وشاع ذلك على ألسنة الناس حتى تحدث به السر والندمان وخشي منصور على نفسه من ذلك فجاء إلى الوزير حسن بن عمر وشكى إليه ذلك فنهاه أن يختلج بفكره هذا الوسواس وانتهرو انتهاراً خلا عن وجه السياسة فائزجر واستكان. قال ابن خلدون: «ولقد شهدت هذا الموطن فرحمت ذلة انكساره وخضوعه في موقفه». ثم لما نهض مسعود بن عبد الرحمن إلى تلمسان واستولى عليها كان منصور هذا في جملته، ولما فر أبو حمو إلى الصحراء اجتمعت عليه جموع العرب من بني زغبة وبني معقل ثم خالفوا بني مرین إلى المغرب واحتلوا بانکاد بحللهم وظواعنهم، فجهز إليهم مسعود بن عبد الرحمن عسكراً من جنوده انتقى فيه مشيخة بني مرین وأمراءهم، وعقد عليهم لابن عمه عامر بن عبد الله بن ماساًي وسرحه، فزحف إلى العرب بساحة وجدة فصدقه العرب القتال، فانكشفت بتو مرین واستبيح عسكرهم واستلبت مشيختهم وأرجلوا عن خيولهم ودخلوا إلى وجدة عرة وبلغ الخبر

إلى بني مرین الذين بتلمسان وكان في قلوبهم مرض من استبداد حسن بن عمر عليهم وحجره لسلطانهم فكانوا يتربصون بالدولة الدوائر، فلما بلغهم هذا الخبر حاصوا حيصة حمر الوحش وخلصوا نجياً بساحة البلد، فاتفقوا على البيعة ليعيش بن علي بن أبي زيان بن يوسف بن يعقوب فبايعوه، وانتهى الخبر إلى مسعود بن عبد الرحمن وكان في جملته منصور بن سليمان كما قلنا فأكرهه على البيعة، وبايعه معه الرئيس الأبكم من بني الأحمر، وقائد النصارى القهدرور، وتسابيل إليه الناس من كل جانب، وتسامع الملاً من بني مرین بالخبر فتهاروا إليه وذهب يعيش بن علي لوجهه فركب البحر إلى الأندلس، واستتب أمر منصور بن سليمان واجتمع بنو مرین على كلمته فارتاحل بهم من تلمسان يريد المغرب، واعتراضتهم جموع العرب في طريقهم فأوقعت بهم بنو مرین وامتلأت أيديهم من أسلابهم وظعنهم، ثم أغذوا السير إلى المغرب فاحتلوا بوادي سبو في منتصف جمادی الآخرة من سنة ستين وسبعمائة، وبلغ الخبر إلى الحسن بن عمر فبرز واضطرب معسكته بساحة البلد، وأخرج السلطان السعيد في الآلة والتعية إلى أن أنزله بفسطاطه، ولما غشيم الليل انقض عنه الملاً إلى منصور فأوقد الوزير الشموع وأذكى النيران وجمع الموالي والجند حول الفسطاط حتى أركب السلطان وعاد به إلى قصره وتحصن بالبلد الجديد، وأصبح منصور بن سليمان فارتاحل في التعية حتى نزل بكدية العرائس في الثاني والعشرين من جمادی الآخرة من السنة المذكورة وغدا على فاس الجديد بالقتال وجمع الأيدي على اتخاذ الآلات للحصار، واثالت عليه وفود الأمصار بالغرب للبيعة، ولحقت به كتائب بني مرین التي كانت مجمرة على حصن عامر بن محمد الهناتي، ولحق به أيضاً قائدها سليمان بن داود وكاد أمره يتم وأقام على فاس الجديد يغاديها القتال ويراوحها، ثم بدا الخلل في عسكته ونزع عنه إلى الوزير حسن بن عمر طائفة من بني مرین، ولحق آخرون ببلادهم ووقفوا يتتظرون مآل أمره، واستمر هذا الحال إلى غرة شعبان في بينما الناس في ذلك إذ ظهر السلطان أبو سالم بجبال غماره فانصرفت إليه وجوه أهل المغرب، وبطل أمر السلطانين:

أبي بكر السعيد، ومنصور بن سليمان معاً، وذاباً كما يذوب الملح، فاما منصور بن سليمان فإنه فر إلى بادس فقبض عليه وجيء به إلى السلطان أبي سالم فقتله، وأما السعيد فإن وزيره الحسن بن عمر لما سمع بظهور السلطان أبي سالم واستفحال أمره نبذ دعوة سلطانه المذكور وبعث بطاعته إلى أبي سالم ووعده بالتمكين من دار الملك إن قدم عليه، فكان الأمر كذلك، وخلع السعيد يوم الثلاثاء الثاني عشر من شعبان سنة ستين وسبعمائة⁽¹⁾، ثم قتل بعد ذلك غرقاً في البحر، فإن السلطان أبو سالم بعثه في جملة الأبناء المرشحين منبني أبي الحسن إلى الأندلس، ووكل بهم من يحرسهم ثم بعد ذلك بعث إلى الموكل بهم فحملهم في سفينة كأنه يريد بهم المشرق ثم غرقهم في البحر، والأمر لله وحده.

الخبر عن دولة السلطان المستعين بالله أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريفي

كان هذا السلطان جواداً، جم العطاء، معروفاً بالوفاء، كثير الحياة، كنيته: أبو سالم. لقبه: المستعين بالله. أمه: أم ولد رومية اسمها قمر، صفتة: آدم اللون، معتدل القامة، رحب الوجه، واسع الجبين، بادن الجسم، أعين أدعچ، معتدل اللحية أسودها. وكان بعد مهلك والده السلطان أبي الحسن رحمة الله قد استقر بالأندلس. بعثه إليها أخوه أبو عنان كما مر، ولما مات أبو عنان المذكور وولي ابنه الصبي طمع أبو سالم هذا في الملك، فاستأذن الحاجب رضوان مدير دولة ابن الأحمر بالأندلس في الملحق ببلاده فأبى عليه، فغاضه ذلك ونزع عنه إلى طاغية قشتالة وتطارح عليه في أن يحمله إلى بر العدوة يطلب ملك أبيه فأسعفه وأمر به فحمل في مركب وألقى به ملاحه في ساحل بلاد غمارة بعد أن تردد في أي السواحل يلقيه، ووافق

(1) وكانت دولته سبعة أشهر وعشرين يوماً.

ذلك اختلاف الكلمة بفاس ومحاصرة منصور بن سليمان للمدينة البيضاء، فتسامع الناس بخروجه ببلاد غمارة أحوج ما كانوا إليه فتسايلوا إليه من كل وجه، وانقضى الناس من حول منصور ومشي أهل معسركه بأجمعهم على التعبية فلحقوا بالسلطان أبي سالم واستغذوه إلى دار ملكه فأغذى السير إليها. وخلع الحسن بن عمر سلطانه السعيد من الأمر لتسعة أشهر من خلافته، وأسلمه إلى عمه فخرج إليه وبايده، ودخل السلطان أبو سالم البلد الجديد يوم الجمعة متتصف شعبان من سنة ستين وسبعمائة، واستولى على ملك المغرب، وتواتفت وفود التواحي بالبيعتات وعقد للحسن بن عمر على مراكش، وجهزه إليها بالعساكر تخفقاً منه وريبة بمكانه من الدولة، واستوزر مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي والحسن بن يوسف الورتاجني، واصطفى من خواصه خطيب أبيه الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق وجعل إلى أبي زيد عبد الرحمن بن خلدون صاحب التاريخ توقيعه وكتابه سره، قال: «وكنت نزعت إليه من معسرك منصور بن سليمان بكدية العرائس لما رأيت من اختلاف أحواله ومصير الأمر إلى السلطان أبي سالم فأقبل علي وأنزلني بمحل التنويم واستخلصني لكتابته أه».

قدوم الغني باشة ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب مخلوعين على السلطان أبي سالم والسبب في ذلك

قد قدمنا أن السلطان أبي الحجاج قتل يوم عيد الفطر بالمصلى سنة خمس وخمسين وسبعمائة وولي الأمر من بعده ابنه الغني باشة محمد بن يوسف، وكان له أخ اسمه إسماعيل فجعله الغني باشة في بعض القصور من حمراء غرناطة احتفاظاً به إلى أن كان رمضان من سنة ستين وسبعمائة فخرج الغني باشة إلى بعض منتزهاته خارج القصبة، ولما كانت ليلة سبع وعشرين من رمضان المذكور أو ثمان وعشرين منه تصور جماعة من شيعة إسماعيل

المحبوس عليه القصبة ليلاً وأخرجوه من محبسه وأعلنوا بدعوته، ثم اقتحموا على حاجبه رضوان داره فقتلوه على فراشه وبين نسائه، وضيّطوا القصبة، وأعلنوا بالدعوة، ولم يرع الغني بالله إلا قرع الطبول بالقصبة في جوف الليل، فاستكشف الخبر وتسمع فعلم بما تم عليه من خلعه وتوليه أخيه، فركب فرسه وخاض الليل إلى وادي آش فاستولى عليها وضيّطها، وبايده أهلها على الموت، ثم عمد شيعة إسماعيل الشائر إلى الوزير ابن الخطيب فأودعوه السجن بعد أن أغروا به ثائرهم واكتسحوا داره واصطلموا نعمته وأتلفوا موجوده، وكان شيئاً يجل عن الحصر، واتصل ذلك كله بالسلطان أبي سالم وكانت له مصادفة مع ابن الأحمر من لدن كان عنده بالأندلس، فكتب إسماعيل الشائر وشيعته يأمرهم بتخليه طريق الغني بالله للقدوم عليه، ويشفع في تسريع ابن الخطيب وتخليه سبيله فأجابوا إلى ذلك وقدم الغني بالله بن الأحمر وزيره ابن الخطيب على السلطان أبي سالم في السادس من محرم فاتح سنة إحدى وستين وسبعيناً، فأجل السلطان أبو سالم قدمه، وركب للقاءه، ودخل به إلى مجلس ملكه وقد احتفل في ترتيبه وقد غص بالمشيخة والعلية، ووقف وزير ابن الخطيب على قدميه فأنشد السلطان أبي سالم قصيده الرائية يستصرخه لسلطانه، ويستحثه لمظاهرته على أمره واستعطف واسترحم بما أبكى الناس شفقة له ورحمة ونص القصيدة:

سلا هل لديها من مخبرة ذكر وهل باكر الوسمي داراً على اللوا عفت أيها إلا التوهم والذكر بلادي التي عاطيت مشمولة الهوى وجوى الذي ربى جناحي وكره نبت بي لا عن جفوة وملالة ولكنها الدنيا قليل متاعها فمن لي بقرب العهد منها ودوننا والله عيناً من رأنا وللأسى	وهل أعشب الوادي ونم به الزهر عفت أيها إلا التوهم والذكر بأكناها والعيش فينان محضر فها أنا ذا ما لي جناح ولا وكر ولا نسخ الوصل الهني بها هجر ولذاتها دأباً تسزور وتسزور مدى طال حتى يومه عندنا شهر ضرام له في كل جانحة جمر
---	--

وللشوق أشجان يضيق لها الصدر
فعاد أجاجاً بعدهنا ذلك النهر
وأنسها الحادي وأوحشها الزجر
بإنجاز وعد الله قد ذهب العسر
أتي النفع من حال أربد بهاضر
وأن يخذل الأقوام لم يختزل الصبر
نقاياً تساوى عنده الحلو والمر
وعزماً كما تعصي المتهنة البت
فلا اللحم حل ما حيت ولا الظهر
فلما رأينا وجهه صدق الزجر
دجا الخطيب لم يكن له لغزه فجر
فلما رأته صدق الخبر الخبر
ولم يتعقب منه أبداً جزر
وتترفل في أذياله الفتكة البكر
وهشت إلى تأميه الأنجم الزهر
لتنتصفنا مما جنى عليك النهر
وقد رأينا منها التعسف والكبر
ولدنا بذلك العزم فانهزم الذعر
ذكرنا بذلك العمر فاحتقر البحر
فإيمانه لغو وعرفاته نكر
إذا ظلل في أوصاف من دونك الشعر
وقد طاب منها السر ش والجهر
فقال لهن الله قد قضى الأمر
لها الطائر الميمون والمحتد الحر
وقد كان مما نابه ليس يفتر
فلا ظبة تعرى ولا روعة تعرو

وقد بددت در الدموع يد النوى
بكينا على النهر الشروب عشية
أقول لأطعاني وقد غالها السرى
رويدك بعد العسر يسران أبيشري
ولله فيما علم غريب وربما
 وإن تخن الأيام لم تخن النهى
 وإن عركت مني الخطوب مجرياً
فقد عجمت عوداً صليباً على الردي
إذا أنت بالبيضاء قررت منزلي
زجرنا بإبراهيم براء همومنا
بمنتخب من آل يعقوب كلما
تناقلت الركبان طيب حدشه
ندى لو حواه البحر لذ مذاقه
ويأس غداً يرثاع من خوفه الردي
أطاعته حتى العصم في قلن الريا
قصدناك يا خير الملوك على النوى
كفتنا بك الأيام عن غلوتها
وعدنا بذلك المجد فانصرم الردي
ولما أتينا البحر يرهب موجه
خلافتك العظمى ومن لم يدبن بها
ووصفك يهدى المدح قصد صوابه
دعتك قلوب المؤمنين وأخلصت
ومدت إلى الله الأكف ضراعة
وألبسها النعمى ببيعتك التي
فأصبح ثغر الثغر يرسم ضاحكاً
وآمنت بالسلم البلاد وأهلها

بأنك في أولاده الولد البر
على الفور لكن كل شيء له قدر
أقامت زماناً لا يلحوظ بها البدر
بأن تشمل النعمى وينسدل الستر
وقد عدموا ركن الإمامة وأضطروا
وأجرأوا، ولو لا السبك ما عرف التبر
وأنت الذي يرجي إذا أخلف القطر
لك التفض والإبرام والنهي والأمر
مهيض ومن علياك يتمنى الجبر
فإن كنت تتبعي الفخر قد جاءك الفخر
مؤشقة قد حل عروتها الغدر
بيا لمرين جاءه العز والنصر
ففي ضمن ما تأتي به العز والأجر
بحق فما زيد يرجي ولا عمرو
 وإن قيل جيش، عندك العسكر المجر
ويبني بك الإسلام ما هدم الكفر
وطوقة نعمك التي ما لها حصر
فقد صدهم عنه التغلب والقهر
تحاولها يمناك ما بعدها خسر
سوى عرض ما إن له في العلا خطر
تردد، ولكن الثناء هو العمر
فقد أنجح المسعي وقد رفع التجر
جياد المذاكي والممحجة الغر
فأجسامها تبر وأرجلها در
مصممة غارت بها الأنجم الزهر
عمائمها بيض وأسالها سمر

وقد كان مولانا أبوك مصريحاً
وكنت حقيقة بالخلافة بعده
 فأوحشت من دار الخلافة هالة
فرد عليك الله حقك إذ قضى
قاد إليك الملك رفقاً بخلقه
وزادك بالتمحيص عزاً ورفعه
وأنت الذي يدعى إذا دهم الردى
وأنت إذا جبار الزمان محكم
وهذا ابن نصر قد أتى وجناحه
غريب يرجي منك ما أنت أهله
ففاز يا أمير المؤمنين ببيعة
ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا
وخذلي يا إمام الحق ثاره
وأنت لها يا ناصر الحق فلتقم
فإن قيل مال، مالك الدثر وافر
يكف بك العادي ويحييا بك الهدي
أعده إلى أوطانه عنك راضياً
وعاجل قلوب الناس فيه بمجبرها
وهم يرقبون الفعل منك وصفقة
مراكم سهل لا يؤودك كلفة
وما العمر إلا زينة مستعارة
ومن باع ما يفني بباقي مخلد
ومن دون ما تبغيه يا ملك الهدي
وراد وشقر واضحات شياتها
وشهب إذا ما ضمرت يوم غارة
وأسد رجال من مرين أعزه

تدافع في أعطافها اللجاج الخضر
فلا الملتقي صعب، ولا المرتقى وعر
وإن وادعوا وفوا، وإن عاهدوا بروا
نشاوي تمشت في معاطفهم خمر
حرام على هاماتها في الرغى الفر
وما بين قصب الدوح يتسم الزهر
طباعي فلا طبع يعين ولا فكر
وأحييتنى لم يبق عين ولا أثر
وأنشرت ميتاً ضم أشلاء قبر
بامل، فجل اللطف وانشرح الصدر
يقبل عليها مني الحمد والشكر
إلى أن يعود الجاه والعز والوفر
يفك بها عان وينعش مضطر
فهيئات يحصى الرمل أو يحصر القطر
ومن بذل المجهود حق له العذر

عليها من المأذى كل مفاضة
هم القوم إن هبوا لكشف ملمة
إذا سلوا أعطوا، وإن نزعوا سطوا،
وإن مدحوا اهتزوا ارتياحاً كأنهم
وإن سمعوا العوراء فروا بأنفس
وتبسّم ما بين الوشيج ثغورهم
أمولاً يغضّت فكري وتبليدت
ولولا حنان منك داركتني به
فأوجدت مني فائتاً أي فائت
بدأت بفضل لم أكن لعظيمه
وطوقتي النعمي المضاعفة التي
وأنت بتتميم الصنائع كافل
جزاك الذي أنسني مقامك رحمة
إذا نحن أثنينا عليك بمدحة
ولكننا نأتي بما نستطيعه

ثم انفض المجلس وانصرف ابن الأحمر إلى منزله المعد له وقد فرشت
القصور، وقررت له الجياد بالمراكب المذهبة، ويعث إليه بالكسا الفاخرة،
ورتبت الجرایات له ولمواليه من المعلوجي وبطانته من الصنائع وانحفظ عليه
رسم سلطانه في الراكب والراجل، ولم يفقد من ألقاب ملكه إلا الأداة أدبًا
مع السلطان، واستقر في جملته إلى أن لحق بعد بالأندلس، وعاد له ملكه
سنة ثلاثة وستين وسبعين، وأرغد السلطان أبو سالم عيش ابن الخطيب،
وأفاض عليه الجرایات، ورتب له الإقطاعات، غير أنه كان مضمراً لمفارقة
السلطان والتخلّي عن خدمته والانفراد بنفسه لاغتنام ما بقي من عمره في
طاعة الله تعالى، فكان من أمره في ذلك ما ذكره.

سفر ابن الخطيب إلى مراكش وأعمالها وزيارة لأوليائها ورجالها والسبب في ذلك

كان ابن الخطيب رحمة الله عندما حصلت له هذه النكبة وخلصه الله منها بانتقامه إلى بلاد العدوة قد عن له رأي في التزهد والانقطاع إلى الله تعالى واغتنام بقية العمر فيما يعود نفعه في العاجل والأجل ورفض السلطان وأسبابه، وترك ما يلجهه للوقوف بياباه، فتلطف في استئذان السلطان أبي سالم رحمة الله وطلب منه الإذن في الذهاب إلى جهات مراكش والوقوف على آثار الأقدمين بها والتظارح على أوليائها والمثول بأعتابها والتعلق بأذيالها والتمسك بأسبابها، جاعلاً ذلك مفتاح العزلة والتخلّي عن الدولة فأذن له وكتب إلى العمال بإتحافه والاعتناء به، فتياروا في ذلك كما يفصح عنه بعض شعره الآتي، وجعل طريقه على مدينة سلا فتأمل أحوالها ورآها أفق لمراده في العزلة، فأضمر الاستيطان بها عند عوده من وجهته. ولما دخل مدينة أڭاس - وهي الدار البيضاء - مر بها على دار عظيمة تنسب إلى والي جبaitها عبو منبني الترجمان قارون قومه وغنى صنفه، وكان قد هلك قبل ذلك فقال ابن الخطيب:

«قد مررتنا بدار عبو الوالي وهي تكلى نشكر صروف الليالي

أقصدت ربها الحوادث لما رشقته بصائبات النبال

كان بالأمس واليًّا مستطيلًا وهو اليوم ماله من والي»

وأظنه في هذه الوجهة خاطب شيخ العرب مبارك بن إبراهيم بن عطيه ابن مهلهل الخلطي ونص ما خاطبه به:

«ساحات دارك للضياف مبارك وبضوء نار قراك يهدى السالك

ونوالك المبذول قد شمل الورى طرأً وفضلك ليس فيه مشارك

قل للذى قال الوجود قد انطوى والباس ليس له حسام فاتك

والجود ليس له غمام هاطل والمجد ليس له الأصيل مبارك

جمع الشجاعة والرجاحة والندي والباس والرأي الأصيل مبارك

للدين والدنيا وللشيم العلا والجود إن شح الغمام السافك

عند الهياج ربيعة بن مكدم
ورث الجلاله عن أبيه وجده
فجياده للأمليين مراكب
فإذا المعالي أصبحت مملوكة
يا فارس العرب الذي من بيته
يا من يبشر باسمه قصادة
أنت الذي استثارت فيك بغضبني
لا زلت نوراً يهتدى بضيائه
ويخص مجدك من سلامي عاطر
والفضل والتقوى الفضيل ومالك
فكأنهم ما غاب منهم هالك
وخيماته للقادسين أرائك
أعناقها بالحق فهو المالك
حرم لها حج به ومناسك
فلهم إليه مسارب ومسالك
وسواك فيه مأخذ ومتارك
من جنه للتروع ليل حالك
كالمشك صاك به الغولي صائق

الحمد لله تعالى الذي جعل بيتك شهيراً، وجعلك للعرب أميراً، وجعل
اسمك فالاً، ووجهك جمالاً، وقربك جاهماً وما لا، وأل رسول الله ﷺ آلاً،
أسلم عليك يا أمير العرب وابن أمرائها، وقطب سادتها وكبرائها، وأهنيك بما
منحك الله تعالى من شهرة تبقى، ومكرمة لا يضل المتصف بها ولا يشقى،
إذ جعل خيمتك في هذا المغرب على اتساعه، واختلاف أشياعه، مأمناً
للخائف، على كثرة المذاهب والطوائف، وصرف الألسنة إلى مدحك
والخلود إلى حبك، وما ذلك إلا لسريرة لك عند ربك، ولقد كنت أيام
تجمعني وإياك المجالس السلطانية على معرفتك متهالكاً، وطوع الأمل
سالكاً، لما يلوح لي على وجهك من سيماء المجد والحياة، والشيم الدالة
على العلية، وزكاء الأصول وكرم الآباء وكان والدي رحمه الله قد عين للقاء
حال السلطان قريباًكم لما توجه في الرسالة إلى الأندلس نائباً في تأسيسه عن
خدمته، ومنوهاً حيث حل بقدومه، واتصلت بعد ذلك بينهما المهادنة
والمعرفة، والرسائل المختلفة، فعظم لأجل هذه الوسائل شوقي إلى الشرف
بزيارة ذلك الجناب الذي حلوله شرف وفخر، ومعرفته كنز وذخر، فلما ظهر
الآن لم محل الأخ القائد فلان اللحاق بك والتعلق بسيبك، رأيت أنه قد اتصل
بهذا الغرض المؤمل بعضى والله تعالى ييسر في البعض، عند تقرير الأمر
وهدنة الأرض، وهذا الفاضل بركة حيث حل لكونه من بيت أصالحة وجهاد،

وماجداً وابن أمجاد، ومثلك لا يوصى بحسن جواره، ولا ينبه على إيثاره، وقيلك من العرب في الحديث والقديم، وهو الذي أوجب لها مزية التقديم، لم تفتخر قط بذهب يجمع، ولا ذخر يرفع، ولا قصر يبني، ولا غرس يجني إنما فخرها عدو يغلب وثناء يجلب وجزر تنحر وحديث يذكر وجود على الفاتحة وسماحة بحسب الطاقة فلقد ذهب الذهب وفني النشب وتمزقت الأثواب وهلكت الخيل العراب وكل الذي فوق التراب تراب وبقيت المحاسن تروى وتتقلل والأعراض تجلّى وتصقل والله در الشاعر إذ يقول:

إنما المرة حديث بعله فكن حديثاً حسناً لمن وعى
هذه مقلعة إن يسر الله بعد لقاء الأمير فيجل لسان عما في الصميم
وإنما على الأملاك وقف وإنما رأيتك منها فامتدحت على وسمي
ولو أنه قد حل في مفرق النجم وما كنت بالمهدي لغيرك مدحتي
وقال في الشيخ ابن بطان الصتهاجي: صتهاجة آزمور:

له درك يا ابن بطان فما
إن كان في الدنيا كريم واحد
أجريت فضلك جعفرأً يحيى به
فالقوم منك تجمعوا في مفرد
وهي الليالي لا تزال صروفها
ويمستعين الله يصلح منك ما
لشهر جودك في البسيطة جاحد
يزن الجميع فأنت ذاك الواحد
ما كان من مجد فذكرك خالد
ولد كما شاء العلاء ووالد
يشقى بموقعها الكريم الماجد
قد كان أفسد الزمان الفاسد

وقال رحمة الله عندما توسط بسيط تامستا:

كأننا بتامستا نجوس خلالها وممدودها في سيرنا ليس يقصر
مراكب في البحر المتوسط تخطت ولا جهة تدرى ولا البر يبصر
وقال رحمة الله يخاطب أبي العباس أحمد بن يوسف حفيد المولى
الصالح سيدى أبي محمد صالح النائم في ظل صيته رضي الله عنه:
«يا حفيد الولي يا وارث الفخ ر الذي نال في مقام وحال
للك يا أحمد بن يوسف جينا كل قطر يعي أكف الرحال»

وقال في نفاضة الجراب: لما خرجت من آسفي سرت إلى منزل ينسب إلى أبي حدو وفيه رجل من بني المنسوب إليه اسمه يعقوب فالطف وأجزل وأنس في الليل وطلبني بتذكرة ثبت عندي معرفة فكتبت له:

نزلنا على يعقوب نجل أبي حدو
وقابلنا بالبشر واحتفل القرى
يحق علينا أن نقوم بحقه
وقال رحمة الله وقد انتابه اليه غوث:

زحفت إلى ركائب البرغوث
بالحبة السوداء قابل مقدمي
كسحت بهن ذباب سرح تجلدي
إن صابت نفسي أذاه تعبدت
جيستان من ليل وبرغوث فهل
وقال رحمة الله وقد أشرف على الحضرة المراكشية حاطها الله تعالى:
ـ «اما اذا احدث عن بحر سبحة به
ـ دعاه مبتدع الاشياء مستويآ
ـ حتى إذا ما المنار الفرد لاح لنا
ـ قربت من عامر داراً ومنزلة
ـ ولما وقف على مصانع مراكش وقصورها وقصبتها واعتبر ما صار إـ
ـ حالها بعد الموحدين قال:

بلاد قد غزاه صرف الليالي
فالذى خر من بناء قتيل
وكان الذى يزور طبيب
أعجمت منه أربع ورسوم
كم معان غابت بتلك المغاني
ولملوك تعبدوا الدهر لما

نال ما شاء ذابل وصفيف
ثم هبت لهم من النصر ريح
طال بعد الدنو منه النزوح
جسد بعد ما تولى الروح»
ومنما قاله في الشيخ أبي العباس السبتي رضي الله عنه على لسان سلطانه
دوخوا نازح البسيطة حتى
حين شبّت لهم من البأس نار
أثر يندب المؤثر لما
ساكن الدار روحها كيف يبقى
العني بالله وهو يومئذ بفاس:

«يا ولدي الإله أنت جناد
راعنا الدهر بالخطوب فجئنا
فمددنا لك الأكف نرجى
قد جعلنا وسيلة تربك الزا
كم غريب أسرى إليك فروافى»

وقال يخاطب عميد البلاد المراكشية، المتميز بالرأي والسياسة والهمة
وإفاضة العدل وكف اليد والتجمافي عن مال العجباية عامر بن محمد بن علي
الهتاتي:

له الحكم يمضي بين ناه وامر
فخيم قرير العين في دار عامر
هو الحج يسعى نحوه كل ضامر
ثغور الأماني من ثنابا البشار
ولله ما تلقاه من يمن طائر
بخير مزور أو بأغبط زائر
تفول لي الأطعان والشوق في الحشا
إذا جبل التوحيد أصبحت فارعا
وزر تربة المعلوم إذ مزارها
ستلقي بمثوى عامر بن محمد
ولله ما تبلوه من سعد وجهه
وستعمل الأمثال في الدهر منكما
لم يكن همي أبقاءك الله تعالى مع فراغ البال، وإسعاف الآمال، ومساعدة
الأيام والليالي، إذ الشمل جميع، والزمان كله ربيع، والدهر سميع مطيع، إلا
زيارتكم في جبلك الذي يعصم من الطوفان، ويوافقون أمنه بين النوم
والآفان، وأن أرى الأفق الذي طلعت منه الهدایة، وكانت إليه العودة ومنه
البداية، فلما حم الواقع، وعجز عن خرق الدولة الأندلسية الرافع، وأصبحت

ديار الأندلس وهي البلاقعة، وحسنت من استدعائك إياي الواقع، وقوى العزم وإن لم يكن ضعيفاً، وعرضت على نفسك السفر بسيبك فألفيته خفيناً، والتمست الإذن حتى لا نرى في قبلة السداد تحريراً، واستقبلتك بصدر مشروح، وزند للعزم مقدوح، والله سبحانه وتعالى يحقق السول، ويسهل بمثوى الأمائل المثول، وبهيمٍ من قبيل هناتنة القبول، بفضله انتهى.

ولما ذهب إلى عامر بن محمد المذكور ورقى الجبل زار الموضع الذي توفي به السلطان أبو الحسن رحمة الله، وقد ألم بذلك في «نفافة الجراب»، إذ قال: وشاهدت بجبل هناتنة محل وفاة السلطان المقدس أمير المسلمين أبي الحسن رحمة الله حيث أصابه طارق الأجل الذي فصل الخطة، وأصمت الدعوة ورفع المنازعه، وعايته مرفعاً عن الابتهاج بالسكتى مفروشاً بالحصباء، مقصوداً بالابتهاج والدعاء فلم أبرح يوم زيارته أن قلت:

<p>يا حسنها من أربع وديار أضحت لباغي الأمن دار قرار وجبال عز لا تندل أسفوفها إلا لعز الواحد القهار</p>	<p>أثارها تبني عن الأخبار ومقر توحيد واس خلافة ما كنت أحسب أن أنهار الندى ما كنت أحسب أن أنوار الحجا</p>
<p>تجري بها في جملة الأنهر تلتحاح في قنن وفي أحجار ثبتت بها الأعداء جنة نار فكأنها صرعى بغير عقار</p>	<p>مجت جوانبها البرود وإن تكون هدت بناها في سبيل وفائها لما توعدها على المجد العدا فرسا رهان أحربها قصب الندى</p>
<p>رضيت بعيث النار لا بالعار عبد العزيز بمرهف بتار والباس في طلق وفي مضمدار محض الوفاء ورفعه المقلدار</p>	<p>ورثا عن الندب الكبير أبيهما وكذا الفروع تطول وهي شبيهة أزرت وجوه الصيد من هناتنة الله أي قبيلة تركت لها الـ</p>
<p>بالأصل في ورق وفي أشعار في جوها بمطالع الأقمار نظراء دعوى الفخر يوم فخار قد أسلنته عزائم الأنصار</p>	<p>نصرت أمير المسلمين وملكه</p>

والروع بالأسماع والأ بصار
بطال بين تقاعد وفرار
مستظهراً منها بعز جوار
وقع الردى وقد ارتمى بشرار
فيما تقدم غربة المختار
نابت شفارهم عن الأشفار
فأجاب ممثلاً لأمر الباري
خلصت إليه نوافذ الأقدار
أولوه لولا قاطع الأعمار
إلا القيام بحقها من دار
ويعيد ذاك الترب ذوب نضار
من ملكه بجلائل الأوطار
أثر العناية ساطع الأنوار
من غير مائياً ولا استعصار
عن درهم فيهم ولا دينار
ونحورها بأهلة ودراري
بذلوه من نصر ومن إشار
من لا يضيع صنائع الأحرار
يرضيه في علن وفي أسرار
علم الوفاء لأعين النظار
للطائفين إليه أي بدار
ودموعهم تكفي لرمي جمار
محمود بالزلقى وعقبى الدار
ما كرز ليل فيك أثر نهار
وارت علياً عند ما عظم الردى
وتخاذل الجيش للهام وأصبح الأ
كفرت صنائعه فيمم دارها
وأقام بين ظهورها لا يتقى
فكأنها الأنصار لما أن سمت
لما غدا لحظاً وهم أجهانه
حتى دعاه الله بين بيوتهم
لو كان يمنع من قضاء الله ما
قد كان يأمل أن يكافي بعض ما
ما كان يقنعه لو امتد المدى
فيعيid ذلك الماء ذاتب فضة
حتى تفوز على النوى أوطنانها
حتى يلوح على وجوه وجوههم
ويسوغ الأمل القصبي كرامها
ما كان يرضي الشمس أو بدر الدجا
أو أن يتوج أو يقلد هامها
حق على المولى ابنه إيثار ما
فلمثلها ذخر الجزاء، ومثله
وهو الذي يقضى الديون وبره
حتى تصح محلة رفعوا بها
فيصير منها البيت بيتأ ثانياً
تغنى قلوب القوم عن هدى به
حييت من دار تكفل سعيها الدار
وضفت عليك من الإله عنابة
ويعني بالمولى ابنه: السلطان أبا سالم بن أبي الحسن. ثم سار ابن
الخطيب إلى أغمات فزار مشاهدها وشاهد معاهدها فحكى عن نفسه رحمة الله

قال: «وقفت على قبر المعتمد بن عباد في مدينة أغمات في حركة أعملتها إلى الجهات المراكشية باعثها لقاء الصالحين، ومشاهدة الآثار سنة إحدى وستين وسبعمائة، وهو بمقبرة أغمات في نشر من الأرض، وقد حفت به سدرة، وإلى جنبه قبر اعتماد خطبته مولاة رميك، وعليهما أثر التغرب ومعاناة الخمول من بعد الملك. فلم تملك العين دمعها عند رؤيتهم فأنشدت في الحال:

قد زرت قبرك عن طوع بأغمات
رأيت ذلك من أولى المهمات
لم لا أزورك يا أندى الملوك يداً
ويا سراج الليالي المدلهمات
وأنت من لو تخطى الدهر مصرعه
إلى حبيبي لجادات فيه أبيات
أناف قبرك من هضب يميذه
فتنتحيه حفيات التحييات
كرمت حباً ومتناً واشتهرت علاً
فأنت سلطان أحياه وأمرات
مارئي مثلك في ماضين، ومعتقدى
الآلا يرى الدهر في حال ولا آلت
ولما انكفا ابن الخطيب رحمة الله راجعاً من سفرته هذه وانتهى إلى سلا
أقام بها متربداً عن سلطانه، رافضاً للملك وأسبابه طول مقامه بالمغرب على
ما نذكره إن شاء الله.

بقية أخبار ابن الخطيب بسلا حرسها الله

قد قدمتنا أن ابن الخطيب كان قد عزم على التخلص عن الدنيا والانقطاع إلى الله تعالى، وأنه اختار أن يكون مقامه بسلا لكونها يومئذ أuron له على مراده من غيرها حسبما يوحي ذلك من مواضع من كلامه، من ذلك أنه لما وصف أمصار الأندلس والمغرب في مقاماته المشهورة، وصف مدينة سلا بقوله: «العقيلة المفضلة، والبطيبة المفضلة، والقاعدة المؤصله، والسوره المفضلة، ذات الوسامه والنضاره، والجامعه بين البداوة والحضاره، معدن القطن والكتاب، والمدرسه والمارستان، والزاوية كأنها البستان، والوادي المتعدد الأجنان، القطر الأمين عند الرجفان، والعصير العظيم الشأن، والأسوق السارة حتى برقيق الحبسان اكتنفها المسرح، والخصب الذي لا

بيرح، والبحر الذي يأسو ويجرح، وشقها الوادي الذي يتمم محسنها ويشرح، وقابلها الرباط، الذي ظهر به من المنصور الاغبطة، حيث القصبة والسباط، ثم يقع الانحطاط إلى شالة مرعى الذمم ونتيجة الهمم، ومشمخ الأنوف ذوات الشمم، وعنوان الرمم، حيث الحسنات المكتتبة، والأوقاف المرتبة، والقباب كالأزهار، مجدودة بذكر الله آباء الليل وأطراف النهار، وظلل حسان المثل في الاشتهرار، وهي على الجملة من غيرها أوفق، ومغارتها لاحترام الملوك الكرام أوفق، ومقبرتها المنضدة عجب في الانتظام، معدودة في المواقف العظام، ويتأنى بها للعباد الخلوة، وتوجد عندها للهموم السلوة، كما قال ابن الخطيب:

وصلت حديث السير فمن فلى الفلا فلا خاطري لما نأى وانجلا انجلاء
 ولا نسخت كرببي بقلبي سلوة فلما سرى فيه نسيم سلا، سلا
 وكفى بالشابل رزقاً طرياً، وسمكاً بالتفضيل حرثياً، بيرز عدد قطر الديم،
 وبياع بيحس القيم، ويعم المجاشر النائية والخييم» اهـ.

وما قاله في حق سلا من كونها تتأثر بها للعباد الخلوة، هو كذلك معروف عند صلحاء المغرب وعبياده من لدن قديم، ولذا لما قدم أبو العباس بن عاشر رضي الله عنه من الأندلس، وتنقل في بلاد المغرب مثل فاس ومكناة، لم يطب له القرار إلا بسلا، وقد صرخ رضي الله عنه بذلك حيث قال:

سلا كل قلب غير قلبي ما سلا أيسلا بفاس والأحبة في سلا
 بها خيموا فالقلب خيم عندهم فأجرروا دموعي مرسلاً ومسلساً

ولما ذكر أبو العباس الصومعي رحمة الله في كتابه الموضوع في مناقب الشيخ أبي يعزى رضي الله عنه استحباب زيارة الأولياء قال ما نصه: «ولا سيما في مشاهد الأخيار إذا اجتمعوا في مكان من الأمكنة المشرفة كما كانوا يجتمعون قبل هذا برباط شاكر، وبساحل دكالة، وبسلا، وبجبل العلم، وعند

الشيخ أبي يعزى في أيام الربيع وغير ذلك» اهـ.

وأقول على ذكر سلا: فقد كتب إلىي، وأنا بمراسلك حرسها الله، الأخ في الله الفقيه الأديب المحاضر أبو عبد الله محمد بن عزوز الرباطي أصلًا المراكشي داراً، بطاقة يقول فيها ما نصه: «الحمد لله وحده. السيد الأخ، الذي ثوب إخائه ما اتسع، الفقيه العلامة، الابن من أسلحة العلوم الدرع والعلامة، أبي العباس السيد أحمد الناصري سلام عليك سلامًا ذكي العرف رائق الصرف، وبعد، فقد اشتقتنا إلى لذيد مذكراتكم، وحلو فكاهتكم، والآن نحب من السيادة أن تشرفونا بنقل قدمكم وتكرمونا بطبعكم السعيدة، بكرة غد إن شاء الله وعلى المحبة والسلام في فاتح رجب الفرد سنة أربع وستعين ومائتين وألف، وألحق بأسفلها ما نصه:

سلا البحر ما بحر بنيت بشطه كبحر علوم فيك أنشئ صالحًا
 فهذا هو الفياض بالعلم والتقوى وذلك هو الفياض بالماء صالحًا
 ولم ندر هل البيتان له أو تمثل بهما، وعلى كل حال فما قاله حفظه الله
 إنما حمله عليه حسن نيته وصفاء طويته وأما المكتوب إليه بهما فلا والله لا
 علم ولا تقوى، إلا أن يتغمدنا الله برحمته، ثم إنني أجبته بشر تركته للاختصار
 ووصلته بأبيات أقول فيها ما نصه:

هو الدر حسناً والشذور لوانها
 وروضت ذهناً طالما ظل جامحاً
 وهيجت من قلبي الشجي القرائحها
 به ظل مجدي للنجوم مصافحاً
 وما قيمتي لو لم تكون لي مادحاً
 لعمري لأبواب المعارف فاتحة
 وسامح فظني أن تكون مسامحة
 ولو ظلل في بحر البلاغة سابحاً
 ووقيت من هذا الزمان الطوائفها
 بعثت أبي عبد الإله مدائحاً
 فنبهت فكرًا طالما بات نائماً
 وشيدت من ذكري وقد كان خاماً
 وطوقنتي النعمي بتقريضك الذي
 وإنما قدرني وإن جد جده
 فأنت أديب العصر حقاً ومن غداً
 فخذ من أخيك العي واستر عيوبه
 فوصفك يعيي كل أشدق بارع
 فلقيت من ذي العرش كل كرامة

ولا زال هذا النهر طوعك خادماً
علاقك وطرف السعد نحوك طامحاً
ومعاً مدح به سلا وأهلها قول الإمام العلامة الهمام أبي علي الحسن بن
مسعود اليوسي رضي الله عنه:

والمسجد عن طول الأمم
مسري الهموم ومسرح الأبصر مسلاة الغم
كالحرارة الحسناه في كتف الهمام المحترم
كالدر بين زمرد في قرط مارية انتظم
وكغرة في أدهم والصبع في جنح الإحرام
والبدر ما بين الدجى والشيب في سود اللهم
فكانه تاج اللجين على جيني ذي عظم
في رأسه صلع وفيما تحت جبهته غم
يكفيك منه هواه لا خبث فيه ولا وخم
وزلاله العذب الذي يشفى الفواد من الضرم
أبناء مجد في الآلى كانوا يراعون الذمم
ونفيسهم فقع الفلا ونفوسم بيس الرحم
في الخطيب بدر لامع ولدى الندى بحر خضم
لم يعد بين بيتنا ولو الفراق بنا ألم
والمهدب حبل ما انفصا عنه الوداد ولا انفص
والبر مرعاه قرى من فيه للحسنى قرم
والدين روض قد رعى فيه من العقبي رعم
والسر برق ما أضا إلا لمن غسل الإضم
من ذاق مورده الصري يوماً فللنديا صرم
مرسى سلا مأوى الشم
بلد بحسبك منظر منه ومخبره أتم
متربلاً في حلقة من حسته جنب العلم
وتراه من جناته متلالثاً بين الأجم
وكوجه خود حفه السوالف في دلم
والشغر من زنجية ترنو إليه وقد بسم
يعلو فويق جنبه علم تدلّى من أمم
أو كالكبير مزملأً أودى بنهاضته الهرم
أو كالجواد بأنفه من ذلك القصر الرشم
عجبًاً صحيح والهوى أبداً عليل ذو سقم
حاكي العقار وفاتها بصفاء لون الشيم
من بنיהם دون العويس وبنائهم خلف العرم
من كل أبيض وجهه تجلّى به سدف الظلم
وأحبة كانوا لنا كالماء بالراح التأم
البين بين جسومنا لا بين أنفستا يحم
والصلق نهج قد علا في كل أووجهه علم
والنفس أرض قد كروا المعين ذوو الكرم
والعلم ورد ما حلا إلا لمن نزع الحلم
والنهر دولاب شما فيه سوى أهل الشم

ولترجع إلى بقية أخبار ابن الخطيب.
ولما استقر سلا واطمأن جنبه بها قال:
يا أهل هذا القطر ساعده القطر
بليت فدلوني لمن يرفع الأمر

تشاغلت بالدنيا ونمـت مفرطاً وفي شغلي أو نومي سرق العـمر

ثم حرصـن على لقاءـ الشـيخـ ابنـ عـاشـرـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ حتـىـ ظـفـرـ بهـ فـعـظـمـ سـرـورـهـ بـذـلـكـ وـتـبـعـجـ بـهـ إـذـ قـالـ فيـ «ـنـفـاضـةـ الـجـرـابـ»ـ:ـ «ـأـولـقـيـتـ منـ أـوـلـاءـ اللهـ تـعـالـىـ بـسـلاـ الـوـلـيـ الزـاهـدـ الـكـبـيرـ،ـ المـنـقـطـعـ الـقـرـيـنـ،ـ فـرـارـاـ عنـ زـهـرـةـ الدـنـيـاـ وـعـزـوـفـاـ عـنـهـاـ،ـ إـغـرـاقـاـ فـيـ الـورـعـ وـشـهـرـةـ بـالـكـشـفـ،ـ إـجـابـةـ الـدـعـوـةـ وـظـهـورـ الـكـرـامـاتـ:ـ أـبـاـ الـعـبـاسـ بـنـ عـاشـرـ،ـ يـسـرـ اللهـ تـعـالـىـ لـقـاءـهـ،ـ عـلـىـ تـعـذـرـهـ،ـ لـصـعـوـةـ تـأـتـيـهـ وـكـثـافـةـ هـيـبـتـهـ،ـ قـاعـداـ بـيـنـ الـقـبـورـ فـيـ الـخـلـاءـ،ـ رـثـ الـهـيـثـةـ مـطـرـقـ الـلـحـظـ،ـ كـثـيرـ الصـمـتـ مـفـرـطـ الـانـقـبـاصـ وـالـعـزـلـةـ،ـ قـدـ ضـرـسـهـ أـهـلـ الدـنـيـاـ وـتـطـارـحـهـ فـهـوـ شـدـيدـ الـاشـمـئـازـ مـنـ قـاصـدـهـ،ـ مـجـرـمـ لـلـوـثـيـةـ مـنـ طـارـقـهـ نـفـعـ اللهـ تـعـالـىـ بـهـ»ـ اـهـدـ كـلـامـهـ فـيـ «ـنـفـاضـةـ»ـ وـقـالـ رـحـمـهـ اللهـ مـنـ قـصـيـدـتـهـ الـعـيـنـيـةـ السـلـاوـيـةـ الـتـيـ وـجـهـهـاـ إـلـىـ سـلاـ أـيـامـ خـلـفـ بـهـ أـهـلـهـ وـوـلـدـهـ:

بـولـيـ اللهـ فـابـدـاـ وـابـتـدرـ وـاحـدـ الـأـحـادـ فـيـ بـابـ الـسـورـ

وـمـرـادـهـ بـولـيـ اللهـ اـبـنـ عـاشـرـ الـمـذـكـورـ.

ثـمـ إـنـ اـبـنـ الـخـطـيـبـ بـعـدـ رـجـوعـهـ مـنـ مـرـاكـشـ جـعـلـ يـتـابـ رـبـاطـ شـالـةـ مـدـفـنـ الـمـلـوـكـ مـنـ بـنـيـ مـرـينـ،ـ وـمـنـهـمـ الـسـلـطـانـ أـبـوـ الـحـسـنـ رـحـمـهـ اللهـ لـلـدـعـاءـ وـقـراءـةـ الـقـرـآنـ بـهـاـ وـتـعـاهـدـهـاـ،ـ وـقـدـ كـتـبـ بـذـلـكـ إـلـىـ الـسـلـطـانـ أـبـيـ سـالـمـ وـطـلـبـ مـنـهـ أـنـ يـشـفـعـ لـهـ عـنـدـ أـهـلـ الـأـنـدـلـسـ فـيـ رـدـ مـتـاعـهـ الـذـيـ أـتـلـفـوـهـ عـلـيـهـ أـيـامـ النـكـبةـ،ـ وـنـصـ الـكـتـابـ:ـ «ـمـوـلـايـ،ـ مـرـجـوـ لـإـتـامـ الصـنـيـعـ وـصـلـةـ النـعـمـةـ إـحـراـزـ الـفـخـرـ،ـ أـبـقاـكـمـ اللهـ تـعـالـىـ تـضـرـبـ بـكـمـ الـأـمـثـالـ فـيـ الـبـرـ وـالـرـضاـ وـعـلـوـ الـهـمـةـ وـرـعـيـ الـوـسـيـلـةـ،ـ مـقـبـلـ مـوـطـئـ قـدـمـكـمـ الـمـنـقـطـعـ إـلـىـ تـرـبـةـ الـمـوـلـىـ وـالـدـكـمـ،ـ اـبـنـ الـخـطـيـبـ،ـ مـنـ الـضـرـبـ الـمـقـدـسـ بـشـالـةـ وـقـدـ حـطـ رـحـلـ الرـجـاءـ فـيـ الـقـبـةـ الـمـقـدـسـةـ وـتـيـمـ بـالـتـرـبـةـ الـزـكـيـةـ وـقـدـ بـإـزاـءـ لـحـدـ الـمـوـلـىـ أـبـيـكـمـ سـاعـةـ إـيـابـهـ مـنـ الـوـجـهـ الـمـبـارـكـةـ،ـ وـزـيـارـةـ الـرـبـطـ الـمـقـصـودـةـ،ـ وـالـتـرـبـ الـمـعـظـمـةـ،ـ وـقـدـ عـزـمـ أـنـ لـاـ يـرـجـعـ طـوـعاـ مـنـ هـذـاـ الـجـوارـ الـكـرـيمـ وـالـدـخـيلـ الـمـرـعـىـ حـتـىـ يـصـلـهـ مـنـ مـقـامـكـمـ مـاـ

يناسب هذا التطهير على قبر هذا المولى العزيز على أهل الأرض، ثم عليكم، والتماس شفاعته في أمر سهل عليكم، لا يجر إنفاذ مال ولا اقتحام خطر إنما هو إعمال لسان وخط بنان وصرف عزم وإحراز فخر وإطابة ذكر وأجر وذلك أن العبد عرفكم يوم داعكم أنه ينقل عنكم إلى المولى المقدس بلسان المقال ما يحضر مما يفتح الله تعالى فيه، ثم ينقل عنه لكم بلسان الحال ما يتلقى عنه من الجواب وقال لي صدر دولتكم وحالستكم وخالصة المولى والدكم سيد الخطيب، يعني ابن مزروع، سنتي الله تعالى أمله من سعادة مقامكم وطول عمركم: «أنت يا فلان والحمد لله من لا ينكر عليه الوفاء بهذين الفرضين، وصدر عنكم من البشر والقبوں والإنعم ما صدر، جزاكم الله تعالى جزاء المحسنين» وقد تقدم تعريف مولاي بما كان من قيام العبد بما نقله إلى التربة الزكية عنكم حسبما أداه من حضر ذلك المشهد من خدامكم، والعبد الآن يعرض عليكم الجواب وهو: أني لما فرغت من مخاطبته بمرأى من الملا الكبير، والجم الغفير، أكبت على اللحد الكريم داعياً ومخاطباً وأصفيت بإذني نحو قبره وجعل فؤادي يتلقى ما يوحيه إليه لسان حاله، فكأنني به يقول لي: «قل لمولاك يا ولدي وقرة عيني المخصوص برضائي ويري وستر حريمي ورد ملكي، وصان أهلي وأكرم صناعي، ووصل عملي، أسلم عليك وأسأل الله تعالى أن يرضي عنك ويقبل عليك، الدنيا دار غرور» **«وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَنَ»** [النساء: ٢٢]، «وما الناس إلا هالك وابن هالك» ولا تجد إلا ما قدمت من عمل يقتضي العفو والمغفرة أو ثناء يجلب الدعاء بالرحمة ومثلك من ذكر فتذكرة وعرف فما أنكر، وهذا ابن الخطيب قد وقف على قبري وتهمنم بي، وسبق الناس إلى رثائي، وأنشدني ومجدني وبكي لي ودعا لي وهناني بمصير أمري إليك، وعفر وجهه في تربتي، وأملني لما انقطعت مني آمال الناس فلو كنت يا ولدي حياً لما وسعني أن أعمل معه إلا ما يليق بي، وأن أستقل فيه الكثير، وأحتقرن العظيم لكن لما

عجزت عن جزائه وكلته إليك، وأحلته يا حبيب قلبي عليك، وقد أخبرني أنه سليم المال كثير العيال، ضعيف الجسم، قد ظهر في عدم نشاطه أثر السن، وأمل أن ينقطع بجواري ويستر بدخيلي وخدمتي، ويرد عليه حقه بخدمتي ووجهي، ووجوه من ضاجعني من سلفي، ويعبد الله تعالى تحت حرمتك وحرمتى، وقد كنت تشوفت إلى استخدامه في الحياة حسبما يعلمه حبيباً الخالص المحبة، وخطيبنا العظيم المزيلة القديم القرية، أبو عبد الله بن مرزوق فاسأله يذكرك، واستخبره يخبرك، فأنا اليوم أريد أن يكون هذا الرجل خليمي بعد الممات إلى أن نلحق جميعاً برضوان الله تعالى ورحمته التي وسعت كل شيء، وله يا ولدي ولد نجيب يخدم ببابك، وينوب عنه في ملازمة بيت كتابك وقد استقر ببابك قراره، وتعيين بأمرك مرتبه ودثاره، فيكون الشيخ خديم الشيخ والشاب خديم الشاب هذه رغبتي منك وحاجتي إليك، وأعلم أن هذا الحديث لا بد أن يذكر ويتحدث في الدنيا، وبين أيدي الملوك والكبار فاعمل ما يبقى لك فخره وتخلد ذكره وقد أقام مجاوراً ضريحي تاليأً كتاب الله تعالى على منتظرأً ما يصله منك ويقرأه على من السعي في خلاص ماله والاحتجاج بهذه الوسيلة في جبره وإجراء ما يليق بك من الحرمة والكرامة والنعمـة، فالله الله، يا إبراهيم اعمل ما يسمع عنك فيه، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال، أهـ والعبد يا مولاي مقيم تحت حرمتـه وحرمة سلفـه، منتظرـ منكم قضاء حاجـته ولتعلـموا وتحقـقـوا أنـي لو ارتكـبتـ الجـرائمـ، ورزـأتـ الأمـوالـ وسفـكتـ الدـماءـ، وأخذـتـ خـسائلـ الملـوكـ الأـعزـةـ منـ وراءـ النـهرـ منـ التـارـ، وخلفـ الـبـحـرـ منـ الرـوـمـ وورـاءـ الصـحرـاءـ منـ الـجـبـشـةـ، وأـمـكـنـهمـ اللهـ تـعـالـىـ مـنـيـ مـنـ غـيرـ عـهـدـ، بـعـدـ أـنـ بـلـغـهـمـ تـذـلـمـيـ بـهـذاـ الدـخـيلـ، وـمـقـامـيـ بـيـنـ هـذـهـ الـقـبـورـ الـكـرـيمـةـ مـاـ وـسـعـ أـحـدـ مـنـهـمـ، مـنـ حـيـثـ الـحـيـاءـ وـالـحـشـمـةـ مـنـ الـأـحـيـاءـ وـالـأـمـوـالـ وـإـيـجـابـ الـحـقـوقـ الـتـيـ لـاـ يـغـفـلـهـاـ الـكـبـارـ، إـلـاـ الـجـودـ الـذـيـ لـاـ يـتـعـقـبـهـ الـبـخـلـ، وـالـعـفـوـ الـذـيـ لـاـ تـفـسـدـ الـمـؤـاخـذـةـ،

فضلاً عن سلطان الأندلس أسعده الله تعالى وعلا بموالاتكم، فهو فاضل وابن ملوك فاضل، وحوله أكياس ما فيهم من يجهل قدركم، وقدر سلفكم لا سيما مولاي والدكم الذي أتوسل به إليكم وإليهم، فقد كان يتبنى مولاي أبي الحجاج ويشتمله بنظره وصارخه بنفسه وأمده بأمواله، ثم صير الله تعالى ملكه إليكم، وأنتم من أنتم ذاتاً وقبيلًا، فقد قررت يا مولاي عين العيد بما رأيتم في هذا الوطن المراكشي من وفور حشودكم وكثرة جنودكم، وترادف أموالكم وعدكم، زادكم الله تعالى من فضله، ولا شك عند عاقل أنكم إن انحلت عروة تأميمكم وأعرضت عن ذلك الوطن الأندلسي استوت عليه يد عدوه، وقد علم تطارحي بين الملوك الكرام الذين خضعت لهم التجان، وتعلقني بشوب الملك الصالح والد الملوك الكرام مولاي والدكم، وشهرة حرمة شالة معروفة حاش الله أن يضيعها أهل الأندلس، وما توسل إليهم قط بها إلا الآن وما يجهلون اغتنام هذه الفضيلة الغربية، وأملي منكم أن يتبعن من بين يديكم خديم بكتاب كريم يتضمن الشفاعة في رد ما أخذ لي، ويخبر بمثواي متراوياً على قبر والدكم، ويقرر ما ألزمتكم بسبب هذا الترامي من الضرورة المهمة والوظيفة الكبيرة عليكم وعلى قبيلكم حيث كانوا، وتطلبون منه عادة المكارمة بحل هذه العقدة، ومن المعلوم أنني لو طلبت بهذه الوسائل من صلب ما وسعهم بالنظر العقلي إلا حفظ الوجه مع هذا القبيل، وهذا الوطن، فالحياء والحسنة يأييان العذر عن هذا في كل ملة ونحلة، وإذا تم هذا الغرض، ولا شك في إتمامه بالله تعالى، تقع صدقتكم على القبر الكريم بي، وتعينوني لخدمة هذا المولى وزيارته وتفقدنه، ومدح النبي ﷺ ليلة المولد في جواره وبين يديه وهو غريب مناسب لبركم به، إلى أن أحجج بيت الله بعنابة مقامكم، وأعود داعياً مثنياً مستدعاً للشكر والثناء من أهل المشرق والمغرب، وأتعوض من ذمتى بالأندلس ذمة بهذا الرباط المبارك يرثها ذريتي، وقد ساومت في شيء من ذلك متظراً ثمنه مما يباع بالأندلس بشفاعتكم، ولو ظننت أنهم

يتوقفون لكم في مثل هذا، أو يتوقع فيه وحشة أو جفاء، والله ما طلبه، لكنهم أسرى وأفضل، وانقطاعي أيضاً لوالدكم مما لا يسع مجدكم إلا عمل ما يليق بكم فيه،وها أنا أترقب جوابكم بما لي عندكم من القبول، وي يعني مجدكم في الطلب وخروج الرسول، لاقتضاء هذا الغرض والله سبحانه يطلع من مولاي على ما يليق به والسلام وكتب في الحادي عشر من رجب سنة إحدى وسبعين وسبعمائة» وفي مدرج الكتاب بعد ثر هذه القصيدة:

فابذل من البر المقدر فيك
والله يسمعك الذي يرضيكم
تهدي إليك النصر أو تهديكم
وتطالع الفتح المبين وشيك
وأبيه فاشرع شرعه لبنيكم
ويماتؤمل نيله بأتيك
وأخاف مملوكاً به ومليكاً
فغضونه ثمر المناجمينكم
لما جعلتكم في الشواب شريكم
ورعيتها بركاتها تكفيكم
أملاً فربك ما أردت يربيك
برهانه لا يقبل التشكيكم
إني ومهجتي التي تغديكم
يضفي على العز في ناديك
باق إذا استجزيته يجزيك
أبى المكارم أن يكون أفيكم
من كل محذور الطريق يقيكم
فالله جل جلاله يبقىكم
مولاي ها أنا في جوار أبيك
أسمعه ما يرضيه من تحت الثرى
واجعل رضاه إذا نهدت كتبية
واجبر بجيري قلبه تنل المنا
 فهو الذي سن البرور بأمه
وابعث رسولك منذراً ومحذراً
قد هز عزمك كل قطر نازح
فإذا سمعت إلى مرام شاسع
ضمنت رجال الله منك مطاليبي
فلتن كفيت وجوهها في مقصدك
وإذا قضيت حوانجي وأريتني
واشدد على قولي يداً فهو الذي
مولاي ما استأثرت عنك بمهجتي
لكن رأيت جناب شالة مغنمأ
وفروض حرقك لا تفوت فوقتها
ووعدتني ونكرر الوعد الذي
أضفى عليك الله ستر عنابة
ببقائك الدنيا تحاط وأهلها
وقال أيضاً في الغرض المذكور:

عن باب والدك الرضي لا أبرح
 ضربت خيامي في حماه فصيبي
 حتى يراعي وجهه في وجهتي
 أيسوغ عن مشواه سيري خائباً
 أنا في حماه وأنت أبصر بالذى
 في مثلها سيف الحمية ينتضى
 وعسى الذي بدأ الجميل يعيده

يأسو الزمان لأجل ذا أو يجرح
 تجني الحميم به ويهمي تسرح
 بعنابة تشفي الصدور وتشرح
 ومنابر الدنيا بذكرك تصدح
 يرضيه منك فوزن عقلك أرجع
 في مثلها زند الحفيفية يقدح
 وعسى الذي سدا المذاهب يفتح

فأجابه السلطان أبو سالم رحمة الله بما صورته: «من عبد الله المستعين
 بالله، إبراهيم أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، ابن مولانا
 أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين، أبي الحسن ابن مولانا أمير
 المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي سعيد، ابن مولانا أمير
 المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين يوسف بن يعقوب بن عبد الحق
 أيد الله أمره وأعز نصره إلى الشیخ الفقیہ الأجل الأستنی الأعز الأحظی،
 الأوجه الأئمه الصلوات الأفضل المصطفى البليغ الأعرف الأکمل أبي عبد الله ابن
 الشیخ الأجل الأعز الأستنی الوزیر الأرفع الأنجد الأصیل الأکمل المرحوم
 المبرور أبي محمد بن الخطیب وصل الله عزته ووالی رفعته، سلام عليکم
 ورحمة الله وبركاته، أما بعد حمد الله تعالى، والصلة والسلام على سیدنا
 ومولانا محمد رسول المصطفی الكریم، والرضا على آله وصحبه أعلم
 الإسلام، وأنتمة الرشد والهدی وصلة الدعاء لهذا الأمر العلي العزيز المنصور
 المستعینی بالنصر الأعز والفتح الأستنی، فإنما كتبناه إليکم كتب الله تعالى لكم
 بلوغ الأمر ونجع القول والعمل، من منزلنا الأسعد بضفة وادي ملویة يمنه
 الله، وصنع الله جميل ومنه جزيل، والحمد لله، ولکم عندنا المكانة الواضحة
 الدلائل، والعنایة المتکفلة برعی الوسائل، ذلكم بما تمیزتم به من التمسک
 بالجناح العلي المولوي العلوي جدد الله تعالى عليه ملابس غفرانه، وسقاء
 غیوث رحمته وحناته، وبما أهدیتم إلينا من التقرب لدیننا بخدمة ثراه الطاهر،
 والاشتمال بمطارات حرمته السامية المظاہر، وإلى هذا وصل الله حظوتکم

ووالى رفعتكم، فإنه ورد علينا خطابكم الحسن عندنا قصده، المقابل بالإسعاف المستعدب ورده، فوقفنا على ما نصه، واستوفينا ما شرحه وقصه، فأثرنا حسن تلطيفكم في التوصل بأكابر الوسائل إلينا، ورعينا أكمل الرعاية حق ذلكم الجناب العزيز علينا، وفي الحين عيّنا لكمال مطلبكم وتمام مأربكم والتوجه بخطابنا في حقكم والاعتمال بوقفكم خديميماً أبا البقاء بن تاشكورت، وأبا زكرياء بن فرقاجة أنجدهما الله وتولاهم، وأمس تاريخه انفصلاً موعدين إلى الغرض المعلوم بعد التأكيد عليهما فيه، وشرح العمل الذي يوفيه، فكونوا على علم من ذلكم، وابسطوا له جملة آمالكم، وإننا لنرجو ثواب الله في جبر أحوالكم وبرء اعتلالكم، والله سبحانه يصل مبركتكم، ويتولى تكرمتكم، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته كتب في الرابع والعشرين من رجب سنة إحدى وستين، فراجعه ابن الخطيب بما نصه: «مولاي خليفة الله بحق، وكبير ملوك الأرض عن حجة، ومعدن الشفقة والحكمة يرهان وحكمة، أبقاكم الله تعالى على الدرجة في المتعمين، وأفري الحظ عند جزاء المحسنين، وأراكم ثمرة برأيكم في البنين، وصنع لكم في عدوكم الصنع الذي لا يقف عند معناد، وأذاق العذاب الأليم من أراد في مثابتكم بإلحاد، عبدكم الذي ملكتم رقه، وأويتهم غربته، وسترتم أهله وولده، وأنسنتم رزقه، وجبرتم قلبه، يقبل موطئ الأخصاص الكريمه من رجلكم الطاهرة، المستوجبة بفضل الله تعالى لموقف النصر الفارغة هضبة العز المعملة الخطوة في مجال السعد ومسير الحظ. ابن الخطيب من شالة التي تأكد بملككم الرضى احترامها، وتجدد برعيتكم عهدها، واستبشر بملككم دفينها، وأشرق بحسناتكم نورها، وقد ورد على العبد العجواب المولوي البر الرحيم، المنعم المحسن بما يليق بالملك الأصيل، والقدر الرفيع، والهمة السامية، والعزوة القعساء من رعي الدخيل، والنصرة للذمام والاهتزاز لبر الأب الكريم، فثاب الرجاء وانبث الأمل، وقوى العضد وزار اللطف، فالحمد لله الذي أجرى الخير على يدكم الكريمة، وأعانكم على رعي ذمام الصالحين، المتسلل إليكم أولاً بقبورهم ومتعبدياتهم وتراب

أجداثهم، ثم بقير مولاي ومولى الخلق أجمعين، الذي تسبب في وجودكم واحتضنكم بحبه، وغمركم بطوفه وحنانه، وعلمكم آداب الشريعة وأورثكم ملك الدنيا، وهيأنكم دعوه بالاستفادة إلى ملك الآخرة بعد طول المدى وإنفاسه البقاء، وفي علومكم المقدسة ما تضمنت الحكايات عن العرب من النصرة عن طائر داست أفراده ناقة في جوار رئيس منهم، وما انتهى إليه الامتعاض لذلك مما أهينت فيه الأنفس وهلكت الأموال، وقصاري من امتعاض لذلك أن يكون بعض خدامكم من عرب نامتنا فما الظن بكم وأنتم الكريم ابن الكريم ابن الكرييم فيمن لجأ أولًا إلى حماكم بالأهل والولد، عن حسنة تبرعتم بها، وصدقه حملتكم الحرية على بذلها، ثم فيمن حط رحل الاستجارة بضربيح أكرم الخلق عليكم دامع العين، خافق القلب، واهي الفزعه، يتقطعي برداائه، ويستجير بعلائه، كأنني ترامت بهم في الحياة، أمام الذعر يذهل العقل، ويحجب عن التميز بقصر داره ومضجع رقاده، ما من يوم إلا وأجهزه بعد التلاوة: ياليعقوب، يالمرين، نسأل الله تعالى أن لا يقطع عني معرفكم، ولا يسلبني عنایتكم، ويستعملني ما بقيت في خدمتكم، ويتقبل دعائي فيكم، ولحين وصول الجواب الكريم نهضت إلى القبر المقدس، ووضعته بيازاته وقلت: يا مولاي يا كبير الملوك، وخليفة الله ويركةبني مرين صاحب الشهرة والذكر في المشرق والمغرب عبدك المنقطع إليك المترامي بين يدي قبرك، المتousel إلى الله ثم ولدك بك، ابن الخطيب، وصله من مولاه ولدك ما يليق بمقامه من رعي وجهك، والتقرب إلى الله برعيك، والاشتهر في مشرق الدنيا ومغاربها بيرك، وأنتم من أئتم من إذا صنع صناعة كملها، وإذا منّ منها تعمها، وإذا أسدى يداً أبرزها طاهرة بيضاء غير معيبة ولا معنونة ولا متنقصة، وأنا بعد تحت ذيل حرمتك وظل دخيلك، حتى يتم أمني وبخلص قصدي، وتحف نعمتك بي ويطمتن إلى مأمنك قلبي، ثم قلت للطلبة أيها السادة بيني وبينكم تلاوة كتاب الله تعالى منذ أيام ومناسبة النحلة وأخوة التأليف بهذه الرباط المقدس والسكنى بين أظهركم، فأنمنا على دعائي بإخلاص من قلوبكم، واندفعت في الدعاء

والتوسل الذي أرجو أن يتقبله الله تعالى ولا يضيعه، ومخاطب العبد مولاه شاكراً لنعمته مشيداً بصنعيته ومسروراً بقبوله، وشأنه من التعلق والتطارح شأنه، حتى يكمل القصد، ويتم الغرض معنوم الوقت بخدمة يرفعها ودعاء يرددده والله المستعان» اهـ.

ولما وصل كتاب السلطان أبي سالم إلى أهل الأندلس أعظموه وسيلته، وقبلوا شفاعته، وردوا إلى ابن الخطيب ما تأثر رده مما كان ضاع له وأتلف عليه، واستمر مقيناً بسلا ستين زيادة، ثم استدعاه سلطانه الغني بالله إلى الأندلس بعد رجوعه إليها واحتواه على ملكها، فأجاب حياء لا رغبة، ومكرها لا بطلاً، إلى أن كان ما نذكره من شأنه بعد ذلك إن شاء الله، ونواذه بسلا وما جرياته كثيرة، وفيما ذكرناه كفاية.

انتقام الحسن بن عمر الفودودي وخروجه بتادلا ثم مقتله عقب ذلك

قد قدمنا أن السلطان أبي سالم لما استولى على ملك فاس والمغرب عقد للحسن بن عمر على مراكش، ووجهه إليها تخفقاً منه وريبة بمكانه من الدولة فاستقر بها وتأثرت له بها رياستها نفسها عليه أهل مجلس السلطان وسعوا فيه عنده حتى تذكر له وأظلم الجو بينهما وأحس الحسن بن عمر بذلك فخشى على نفسه، وخرج من مراكش في صفر سنة إحدى وستين وسبعيناً فلحق بتادلا منحرفاً عن السلطان ومرتكباً للخلاف، فتلقاه بنو جابر من عرب جشم وأغاروه واعصوصبوا عليه، فسرح إليه السلطان أبو سالم وزير الحسن بن يوسف الورتاجني فاحتل بتادلا، وانشمر الحسن بن عمر إلى الجبل بها فاعتصم به ومعه كبيربني جابر الحسن بن علي الورديغي، فأحاطت بهم العساكر وأخذوا بمحنتهم، وداخل الوزير بعض أهل الجبل من برابرة صناكتة في الثورة بهم، وسرب إليهم المال فشاروا بهم وانقض جمعهم، وتقبضوا على الحسن بن عمر وقادوه برمهته إلى الحسن بن يوسف فاعتقله، وانكفاء راجعاً به إلى الحضرة فدخلها في يوم مشهود استركب السلطان فيه الجنـدـ

وجلس ببرج الذهب مقعده من ساحة البلد، وحمل الحسن بن عمر على جمل فطيف به بين تلك الجموع، ولما قرب من مجلس السلطان أومأ إلى تقبيل الأرض من فوق جمله، ثم ركب السلطان إلى قصره، وانقض الجموع وقد شهر الحسن بن عمر وأصحابه فصاروا عبرة لمن اعتبر.

ولما دخل السلطان قصره، جلس على كرسيه واستدعى خاصته وجلساءه، وأحضر ابن عمر فويجه، وقرر عليه ذنبه، فتلوي بالمعاذير وفزع إلى الإنكار. قال ابن خلدون: «وحضرت هذا المجلس يومئذ فيمن حضره من الخاصة فكان مقاماً تسيل فيه العيون رحمة وعبرة». ثم أمر به السلطان فسحب على وجهه، ونفت لحيته وضرب بالعصى، وثل إلى محبسه ثم قتل بعد ليال قعضاً بالرماح خارج البلد ونصب شلوه بباب المحرق رحمة الله تعالى.

نهوض السلطان أبي سالم إلى تلمسان واستيلاؤه عليها

لما استوسق للسلطان أبي سالم ملك المغرب ومحا أثر الخوارج منه سمت همه إلى تملك تلمسان كما كان لأبيه وأخيه من قبل، وأكده عزمه على ذلك ما كان من فرار عبد الله بن مسلم الزرد إلى عاملهم على درعة إليها فأجمع السلطان أبو سالم النهوض إليها، وعسكر بظاهر فاس الجديد متصرف سنة إحدى وستين وسبعيناً، ولما توافت لديه الحشود، وتكاملت بسنته الجنود، ارتحل إلى تلمسان.

وأتصل خبر نهوضه بسلطانها أبي حمو بن يوسف الزياني، ووزيره عبد الله بن مسلم الزرداي فنادوا في العرب منبني عامر بن زغبة وبني معقل فأجابوهم كافة الأشراقة قليلة من الأخلاف، ثم خرج أبو حمو وشيّعه عن تلمسان إلى الصحراء والتفت عليه العرب بحللها.

ولما دخل السلطان أبو سالم تلمسان واستولى عليها خالقه أبو حمو في عربه إلى المغرب فنزلوا آكرسيف ووطاط وبلاط ملوية وحطموا زروعها وانسفوا بركتها وخربوا عمرانها، وبلغ السلطان أبي سالم ما كان من إفسادهم فأهمه أمر المغرب، وكان في جملته منبني زيـان محمد بن عثمان ابن

السلطان أبي تاشفين، ويكتنـى : أبي زيان، فعقد له على تلمسان، وأعطاه الآلة وجمع له جيشاً من مغراوة ويني توجين، ودفع لهم أعطيـاتـهمـ، وانكـفـأـ راجـعاـ إلى فاسـ، فأـجـفـلـ أبو حـمـوـ والـعـرـبـ أـمـامـهـ، ثـمـ خـالـفـوهـ إـلـىـ تـلـمـسـانـ فـطـرـدـواـ عنـهاـ أـبـيـ زـيـانـ وـاسـتـولـواـ عـلـيـهـاـ، وـثـبـتـ قـدـمـ أـبـيـ حـمـوـ بـهـاـ، وـعـادـ أبوـ زـيـانـ إـلـىـ المـغـرـبـ لـاحـقاـ بـالـسـلـطـانـ أـبـيـ سـالـمـ قـبـلـهـ، وـعـقـدـ الـمـهـادـنـةـ معـ أـبـيـ حـمـوـ وـاسـتـقـرـرـ الـأـمـرـ عـلـىـ ذـلـكـ. وـقـدـ كـانـ أـبـنـ الـخـطـيـبـ عـنـدـمـاـ بـلـغـهـ اـسـتـيلـاءـ السـلـطـانـ أـبـيـ سـالـمـ عـلـىـ تـلـمـسـانـ هـنـأـ بـقـصـيـدةـ طـوـيـلةـ يـقـولـ فـيـ مـطـلـعـهـاـ :

أطاع لسانـيـ فـيـ مدـحـكـ إـحـسـانـيـ وـقـدـ لـهـجـتـ نـفـسـيـ بـفـتـحـ تـلـمـسـانـ
وـقـوـلـ فـيـ أـثـنـاثـهـ وـقـدـ أـلـمـ بـشـيءـ مـنـ عـلـمـ الـأـحـكـامـ التـجـوـمـيـةـ لـمـيـلـ السـلـطـانـ
إـلـيـهـ :

قضـىـ المشـتـريـ فـيـهاـ بـعـزـلـةـ كـيـوانـ	وـلـهـ مـلـكـ سـعـيدـ وـنـصـبةـ
وـقـوـفـاـ مـعـ المشـهـورـ مـنـ رـأـيـ يـونـانـ	وـسـجـلـ حـكـمـ العـدـلـ مـنـ بـيـوتـهـ
وـلـمـ تـشـكـ فـيـهاـ الشـمـسـ مـنـ بـخـسـ مـيزـانـ	فـلـمـ تـخـشـيـ سـهـمـ القـوـسـ صـفـحةـ بـدـرـهـ
وـلـاـ نـازـعـتـ نـوـبـهـرـهـ كـفـ عـدـوـانـ	وـلـمـ يـعـتـرـضـ مـيـتـزـهـ قـطـعـ قـاطـعـ
فـلـمـ يـحـتـجـ فـرـغـانـ فـيـهاـ لـفـرـغـانـ	تـولـيـ اـخـتـيـارـ اللـهـ حـسـنـ اـخـتـيـارـهـ
وـلـاـ حـقـفـتـ فـيـهاـ دـقـائـقـ نـسـبـةـ	وـلـاـ صـرـفـتـ فـيـهاـ طـوـالـعـ بـلـدانـ

وفادة السودان من أهل مالي على السلطان أبي سالم وإغراهم في هديتهم بالزراقة الحيوان المعروف

قد تقدم لنا ما جرى من المواصلة بين السلطان أبي الحسن والسلطان منسا موسى وأخيه أو ابنه من بعده منسا سليمان وتردد الروفود وإسناء الهدايا بينهم وقد كان السلطان منسا سليمان قد هيأ هدية نفيسة بقصد أن يبعثها إلى السلطان أبي الحسن مكافأة له على هديته فهلك السلطان أبو الحسن خلال ذلك، ثم هلك السلطان منسا سليمان بعده، واختلف أهل مالي وافترق أمرهم وتقاتلوا على الملك إلى أن جمع الله كلمتهم على السلطان منسا زاطة، واستوسق له الأمر ثم نظر في أعطاف ملكه وأخبر بشأن الهدية التي كان منسا

سليمان قد هياها لملك المغرب فأمر باتفاقها إليه وضم إليها الزرقة الحيوان الغريب الشكل العظيم الهيكل المختلف الشبه بالحيوانات، وفضلوا بها من بلادهم فوصلوا إلى حضرة فاس في صفر من سنة اثنين وستين وسبعمائة.

قال ابن خلدون: وكان يوم وقادتهم يوماً مشهوداً جلس لهم السلطان بيرج النعوب بمجلسه المعد لعرض الجنود، ونودي في الناس بالبروز إلى الصحراء، فierzوا يتسلون من كل حدب حتى غص بهم الفضاء وركب بعضهم بعضاً في الازدحام على الزرقة إعجاباً بخلقتها، وحضر الوفد بين يدي السلطان وأدوا رسالتهم بتأكيد الود والمخالصة والعذر عن إبطاء الهدية بما كان من اختلاف أهل مالي وتوابتهم على الأمر، وتعظيم سلطانهم وما صار إليه، والترجمان يترجم عنهم وهم يصلقونه بالنزع في أوتار قسيهم، عادة معروفة لهم، وحيوا السلطان بأن جعلوا يحثون التراب على رؤوسهم على ستة ملوك للعجم، وأنشد الشعراء في معرض المدح والتهنئة ووصف الحال، ثم ركب السلطان إلى قصره، واتفق ذلك الجمع، وقد طار به طائر الاشتهر، واستقر الوفد تحت جراية السلطان أبي سالم إلى أن هلك قبل انتقامهم فوصلهم القاتم بالأمر من بعده وانصرفوا إلى مراكش، ثم منها إلى ذوي حسان عرب السوس الأقصى من بني معقل المتصلين ببلادهم، ومن هناك لحقوا بسلطانهم. والأمر كله هـ.

وكان مما قيل من الشعر في ذلك اليوم: قول ابن خلدون من قصيدة

يقول في مطلعها:

وهدت بقلبي زفرا الوجد	قدحت يد الأسواق من زند
	إلى أذ قال في وصف الزرقة:
موشية بوشائع البرد	ورقيمة الأعطاف حالية
في موحش البيداء بالقرد	وحشية الأناب ما أنت
شرف الصرخ بغير ما جهد	تسمو بجيد بالغ صعدا
ولريما فصرت عن الوهد	طالت رؤوس الشامخات به

قطعـت إلـيـك تـنـائـفـاً وـصـلـ
تحـدـى عـلـى اسـتـصـعـابـها ذـلـلاً
بـسـعـودـك الـلـاثـي ضـمـنـ لـنـا
جـاءـتـك فـي وـفـدـ الـأـحـابـشـ لاـ
وـافـوكـ أـنـضـاءـ تـقـلـيـبـهـمـ
كـالـطـيفـ يـسـتـقـرـيـ مـضـاجـعـهـ
يـثـنـونـ بـالـحـسـنـيـ التـيـ سـبـقـتـ
وـيـرـونـ لـحـظـكـ مـنـ وـفـادـتـهـمـ
يـاـ مـسـتـعـيـنـاـ جـلـ فـيـ شـرـفـ
جـازـاـكـ رـبـكـ عـنـ خـلـيقـتـهـ
وـبـقـيـتـ لـلـدـنـيـاـ وـسـاكـنـهـاـ
وـقـولـ الـكـاتـبـ الـبـارـعـ أـبـيـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ زـمـرـكـ الـأـنـدـلـسـيـ مـنـ قـصـيـدـةـ يـقـولـ فـيـ
مـطـلـعـهـ :

لولا تألق بارق التذكرة
لكنه مهما تعرض خافقاً
إلى أن قال في الغرض المذكور:
وغريبة قطعت إليك على الونى
تنسيه طيته التي قد أمهما
يقتادها من كل مشتمل الدجى
تشدو بحمد المستعين حداتها
أن مسهم لفح الهجير أبلهم
خاضوا بها لحج الفلا فتخلصت
سلمت بسعده من غوايل مثلها
وأنتك يا ملك الزمان غريبة
موشية الأعطاف رائفة الحلى
راق العيون أديمها فكأنه

ما بين مبيض وأصفر فاقع
 يحكى حدائق نرجس في شاهق
 تحدو قوائم كالجندوع وفوقها
 وسمت بجيد مثل جذع مائل
 تستشرف الجدرات منه ترائباً
 تاهت بكلكلها وأتلع جيدها
 خرجوا لها الجم الغفير وكلهم
 كل يقول لصاحبه قوموا انظروا
 ألقى ببابك رحلها ولطالما
 علمت ملوك الأرض أنك فخرها
 يتبوؤون به وإن بعد المدى
 فارفع لواء الفخر غير مدافع
 واهنا بأعياد الفتوح مخولاً
 وإليكها من روض فكري نفحة
 في فصل منطقها ورائق رسماها
 وتميل من أصغر لها فكأنني

سال اللجين به خلال نضار
 تنساب فيه أراقم الأنهار
 جبل أثيم بنوره متواري
 سهل التعطف ليين خوار
 فكأنما هو قائم بمنار
 ومشي بها الإعجاب مشي وقار
 متعجب من لطف صنع الباري
 كيف الجبال تقاد بالأسياز
 ألقى الغريب به عصا التسيير
 فتسابقت لرضاك في مضمار
 من جاهك الأعلى أعز جوار
 واسحب ذيول العسكر الجرار
 ما شئت من نصر ومن انصار
 شف الثناء بها على الأزهار
 مستمتع الأسماع والأبصار
 عاطيتها منها كؤوس عقار

مقتل السلطان أبي سالم رحمة الله والسبب في ذلك

كان السلطان أبو سالم رحمة الله قد غلب على هوا الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق وألقى زمام الدولة بيده، فنقم خاصة السلطان وحاشيته ذلك عليه وسخطوا الدولة من أجله، ومرضت قلوب أهل الحل والعقد من تقدمه فتربيصوا بالدولة الدوائر إلى أن كانت أواخر سنة الثنتين وستين وسبعيناً، فتحول السلطان أبو سالم عن دار الملك من فاس الجديد إلى القصبة من فاس القديم، واختلط بها إيواناً فخماً لجلوته، فلما استولى عمر بن عبد الله ابن علي بن سعيد الفودودي أحد كبراء الدولة وزرائها على دار الملك، إذ كان السلطان أبو سالم قد خلفه أميناً عليها، حدثته نفسه بالتوب، وسهل

ذلك عليه ما كان قد عرفه من مرض القلوب على السلطان لمكان ابن مرزوق، فداخل قائد جند النصارى غرسية بن أنطول، واتعدوا لذلك ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذي القعدة من السنة المذكورة، فعملوا إلى تأشفين الموسوس ابن أبي الحسن فخلعوا عليه، وألبسوه شارة الملك وقربوا له مركباً وأجلسوه مجلس السلطان، وأكرهوا شيخ الحامية والناشبة محمد بن الزرقان على البيعة، وجاهروا بالخلعان وقرعوا الطبول ودخلوا إلى بيت المال ففرضوا العطاء من غير تقدير ولا حساب، وماج الجندي بفاس الجديد بعضهم في بعض، واحتطفوا ما وصلوا إليه من العطاء ثم انتهوا ما كان بالمخازن الخارجية من السلاح والعتاد، وأضرموا النيران في بيتها ستراً على ما ضاع منها، وأصبح السلطان أبو سالم يمكّنه من قصبة فاس القديم، وكان قد تحول إليها فراراً من قاطع فلكي خوفه إيه بعض متجمعيه فكان البلاء فيه موكلأً بالمنطق، فلما علم بالكافنة ركب واجتمع إليه من حضر من أوليائه، وغدا على فاس الجديد وطاف بها يروم اقتحامها فامتنعت عليه، ثم اضطرب معسكته بكدية العرائس لمحارتها ونادى في الناس بالاجتماع إليه، ولما كان وقت الهاجرة دخل فسطاطه للقليلة فتسابيل الناس عنه إلى فاس الجديد فوجأ بعد فوج بمرأى منه إلى أن انقض عنه خاصته وأهله مجده فطلب التوجه بنفسه، وركب في لمة من الفرسان وفيهم وزيره سليمان بن داود ومسعود بن عبد الرحمن بن ماسي، ومقدم الموالى والجندي ببابه سليمان بن ونصار، وأذن لابن مرزوق في الدخول إلى داره، ومضى هو على وجهه فيمن معه، ولما غشיהם الليل انقضوا عنه حتى يقي وحده، ورجع الوزيران إلى طر الملك فتقبض عليهم رئيس الثورة عبد الله الفودوري، ومشاركة فيها غرسية بن أنطول النصراني، واعتقلهما متفرقين، وبعث عمر بن عبد الله الطلب في أثر السلطان أبي سالم فعثروا عليه نائماً من الغد في بعض المجاشر بوادي ورغة وقد غير لباسه اختفاء بشخصه وتوارياً عن العيون بمكانه، فتقبضوا عليه وحملوه على بغل وطبروا بالخبر إلى عمر بن عبد الله فأزاعج لتلقيه شعيب بن ميمون بن داود، وفتح الله بن عاصر بن فتح الله

السدراتي وأمرهما بقتله وإنفاذ رأسه، فلقياه بخندق القصب إزاء كدية العرائش فأمرا بعض جند النصارى أن يتولى ذبحه ففعل، وحملوا رأسه في مخلة ووضعوه بين يدي الوزير الشائر ومشيخته، وكان ذلك يوم الخميس الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة اثنين وستين وسبعمائة ودفن بالقلة خارج باب الجيسة بأعلى جبل العرض المعروف بجبل الزعفران^(١).

قال ابن الخطيب في الإحاطة: «كان السلطان أبو سالم رحمة الله بقية البيت وأخر القوم دمائة وحياة وبعداً عن الشرور وركونا للعافية» قال: وأنشدت على قبره الذي ووريت به جثته قصيدة أدبت فيها بعض حقه:

«بني الدنيا بني لمع السراب لدوا للموت وابنوا للخراب»

ومن أعيان وزرائه: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق العجبي الخطيب المشهور الذي مر ذكره آنفاً.

ومن قضاة عسكره: أبو القاسم محمد بن يحيى الأندلسي البرجي.

ومن أعيان كتابه: الرئيس أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون صاحب التاريخ.

وأبو القاسم^(٢) عبد الله بن يوسف بن رضوان التجاري من أهل مالقة صاحب كتاب السياسة وغيره، ومما نظمه هذا الفاضل عن إذن السلطان أبي سالم رحمة الله ليكتب في طرة قبة رياض الغزلان من حضرته قوله:

(١) ومن أولاده: السلطان أبو العباس أحمد، والسلطان أبو الفضل محمد، ومحمد آخر.

(٢) أبو القاسم بن رضوان صاحب كتاب السياسة. لما وقعت هزيمة طريف قرب القيروان على أبي الحسن رجع أبو القاسم هذا إلى الأندلس وبقي بها إلى أن تم الأمر لأبي عنان فرجع حيث شد للMaghrib وكله أبو عنان بكتابه العلامة أما صاحب درة الحجال فإنه ذكر كاتبين من هذه العائلة أحدهما: اسمه محمد بن يوسف بن رضوان المتوفى سنة 868 وثانيهما يسمى أبي القاسم بن محمد بن يوسف بن رضوان المتوفى سنة 783 أما الكاتب أبي القاسم عبد الله فقد ترجمه في جذوة الاقتباس وذكر أنه توفي بأنفها ودفن بمقدمة الحاج صالح سنة 733 راجع ترجمته طبع فاس.

من حله فهو بالأمان محبور
 تهوى محاسنه الولدان والجحور
 يضاحك النور من لأناته النور
 ينافح الندى نشر منه منشور
 غر الغمام وحلته الأزاهير
 مما ارتضاه لرأي العين تحبير
 دراهم النور تبديد وتشير
 ففرقفت فوقه منها دنانير
 بشكر مالكها والفضل مشكور
 همساً وصوت غناء الطير مجهور
 سيفاً ولكته في السلم مشهور
 كالأيم جد انسياب وهو مذعور
 شمل السرور وأمر السعد مأمور
 لشكلها العين إلا عز تنظير
 إلا ومنه لكل الحسن تصوير
 من المحسن إلا صد تقدير
 الله ما جمعت تلك المقاصير
 ويستقيم بها في السعد تسخير
 من عنبر الشحر إنشاء وتسخير
 ماء من الورد يذكرو منه تعطير
 مما أحب به مسك وكافور
 غير تلاؤاً منهن الأسارير
 تبسم الدهر منه وهو مسror
 ومضى في مدح السلطان والله تعالى يتغمد الجميع برحمته بمنته
 وكرمه .

هذا محل المعنى بالأمن معمور
 مأوى النعيم به ما شئت من ترف
 ويطلع الروض منه مصنعاً عجباً
 ويسطع الزهر من أرجائه أرجأ
 معنى السرور سقاه الله ما حملت
 انظر إلى الروض تنظر كل معجبة
 من النسيم به يبغى القراء فقرأ
 وهامت الشمس في حسن الظلال به
 كأنما الطير في أفنائها صدحت
 والدوخ ناعمة تهتز من طرب
 والنهر شق بساط الأرض تحبسه
 يناسب للجنة الخضراء أزرقه
 هذى مصانع مولانا التي جمعت
 وهذه القبة الغراء ما نظرت
 ولا يصورها في الفهم ذو فكر
 ولا يرام بحصر وصف ما جمعت
 فيها المقاصير تحميها مهابته
 كأنها الأفق تبدو النيرات به
 وينشاً المزن في أرجائه وله
 وينهي القطر منه وهو منسكب
 وتخفق الريح منه وهي ناسمة
 ويشرق الصبح منه وهو من غرر
 وتطلع الشمس فيه من سنا ملك

الخبر عن دولة السلطان أبي عمر تاشفين الموسوس ابن أبي الحسن المريني

هذا السلطان كان محجوباً لوزيره عمر بن عبد الله الفودودي لا يملك معه ضرراً ولا نفعاً. أمه: أم ولد اسمها ميمونة، صفتها: طويلة القامة، عظيم الهيكل بعيد ما بين المنكبين، أعين أدعج، وكان فارساً بطلأً قوي الساعد إلا أنه كان ناقص العقل.

ولما ثار عمر بن عبد الله بالسلطان أبي سالم وسعى في هلاكه إلى أن قتل كما مر استبد بأمر الدولة ونصب هذا الموسوس يموه به على الناس فبويغ ليلة الثلاثاء التاسع عشر من ذي القعدة سنة اثنين وستين وسبعمائة حسبما سبق، وكان نقصان عقل تاشفين من أجل الأسر الذي أصابه بوقعة طريف أيام والده السلطان أبي الحسن إلى أن افتدى وبقي ناقص العقل مختل المزاج^(١) إلى أن كان من أمره ما كان.

الفتك بغرسية بن أسطول قائد النصارى ومقتل جنده معه والسبب في ذلك

لما قبض عمر بن عبد الله على الوزيرين مسعود بن عبد الرحمن بن ماسي، وسليمان بن داود سجنهما متفرقين فأخذ إليه ابن ماسي لمكان صهره منه ودفع لغرسية سليمان بن داود، وكان سليمان بن ونصر قد فر مع السلطان أبي سالم كما مر، ولما رجع عنه فيمن رجع نزل على غرسية فقبله وأكرمه. وكان يعاصره الخمر فقاوته ذات ليلة في الشورة بعمر بن عبد الله واعتقاله، وإقامة سليمان بن داود المسجون بداره مقامه لما هو عليه من السن ورسوخ القدم في الأمر، ونما الخبر بذلك إلى عمر بن عبد الله فارتبا،

(١) انظر ما كتبه المؤلف في هذه المسألة في كتابه «كشف العرين عن ليوث بنى مرین» أثناء كلامه على دولة السلطان تاشفين الموسوس ابن أبي الحسن أيضاً.

وكان خلواً من العصبية ففزع إلى قائد المركب السلطاني من ناشبة الأندلس ورماتها، وهو يومئذ إبراهيم البطروجي، فعاقده على أمره، وبايده على الاستحسانة دونه، ثم رأى أن ذلك لا يكفيه ففزع ثانياً إلى يحيى بن عبد الرحمن شيخ بنى مرين وصاحب شوارهم، فشكى إليه فاشكا، ووعله الفتى بابن أنطول وأصحابه وابنهم عقد ابن أنطول، وسلامان بن ونصار أيضاً على عمر بن عبد الله وغدوا إلى القصر، وداخل ابن أنطول طائفة من النصارى استظهاراً بهم، وتواتفت بنو مرين بمجلس السلطان على عادتهم، وحضر ابن أنطول، والبطروجي، ويحيى بن عبد الرحمن، وغير هؤلاء من الوجوه، فسأل عمر بن عبد الله من ابن أنطول تحويل سليمان بن داود من داره إلى السجن فأبي، وضن به عن الإهانة، حتى سأله مثلها من ابن ماساي صاحبه، فأمر عمر بالقبض عليه فكسر في وجوه الرجال، واختلط سكته للمدافعة، فتواثبت بنو مرين عليه وقتلوا لحيته، واستلهموا من وجدوا بالدار من جنده النصارى عند دخولهم مع قائدتهم، وفر بعضهم إلى معسكرهم، ويعرف بالملحاج جوار فاس الجديد، وأرجف الغوغاء بالمدينة أن ابن أنطول قد غادر بالوزير، فقتلوا جند النصارى حيث وجدوهم من سكك المدينة، وتزاحفوا إلى الملاح لاستلحام من يقي به منهم، وركبت بنو مرين لحماية جندهم من معرة الغوغاء، وانتهت يومئذ الكثير من أموالهم وأثيتمهم وأمتعتهم، وقتل النصارى أيضاً كثيراً من مجان المسلمين كانوا يعاورون الخمر بالملحاج، ثم سكنت الهيئة وما كادت.

واستبد عمر بن عبد الله بدار الملك، واعتقل سليمان بن ونصار إلى الليل ثم بعث من قتلها بمحبسه، وحول سليمان بن داود إلى بعض الدور من دار الملك فاعتقله بها واستولى على أمره، ثم خاطب عامر بن محمد الهاشمي في اتصال اليد به واقتسم ملك المغرب بينه وبينه، وبعث إليه أبي الفضل ابن السلطان أبي سالم اعتدته عنده ليوم ما، ثم فسد ما بينه وبين مشيخة بنى مرين فاجتمعوا على كبيرهم يحيى بن عبد الرحمن وعسكرروا بباب الفتوح واستدعوا عبد الحليم بن أبي علي ابن السلطان أبي سعيد من تلمسان على ما نذكره.

ظهور عبد الحليم بن أبي علي بن أبي سعيد ومحاصرته لفاس الجديد ثم فراره عنها

قد قدمنا في أخبار السلطان أبي الحسن أن أخاه أبا على صاحب سجلماسة كان قد انتقض عليه فأمكنته الله منه فقتله وكفل أولاده فلم يميز بينهم وبين أولاده في شيء من الأشياء، ولما أفضى الأمر إلى أبي عنان بعث جماعة من إخوته وقرباته إلى الأندلس تحت حياطة ابن الأحمر، وكان فيهم أولاد أبي علي هؤلاء ثم بعد حين سرحوه وقدموه تلمسان على سلطانها أبي حمو بن يوسف فكانوا عنده إلى هذا التاريخ فلما فسد ما بين عمر بن عبد الله وشيخ بنى مرين بعثوا^(١) إلى تلمسان جملة منهم لاستقدام عبد الحليم المذكور فسرحه أبو حمود، وأعانه بشيء من الآلة، وجمع عليه من رغب في طاعته، وزحف إلى فاس فتلقته جماعة بنى مرين بسبو، ونزلوا على فاس الجديد يوم السبتسابع محرم سنة ثلاثة وستين وسبعيناً، واضطربوا معسكرهم بكدية العرائس، وحاصروا دار الملك سبعة أيام، وتتابعت وفودهم وحشودهم، ثم إن عمر بن عبد الله برب يوم السبت القابل في مقدمة السلطان تاشفيني بمن معه من جند المسلمين والنصارى رامحة وناشبة، ووكل بالسلطان من جاء به في الساقية على التعبية المحكمة، وناوشهم الحرب فزحفوا إليه فاستطرد لهم ليتمكن الناشبة من عقرهم من الأسوار حتى فشت فيهم الجراحات، ثم صمم نحوهم فانفرج القلب وانقضت الجموع، ثم زحف السلطان تاشفيني في الساقية فابذعنوا في الجهات، وافترق بنو مرين إلى مواطنهم، ولحق يحيى بن عبد الرحمن بمراكش مع مبارك بن إبراهيم شيخ الخلط، ولحق عبد الحليم وإخوته بتازا بعد أن شهد لهم رجال الدولة بصدق الجlad وحسن البلاء في ذلك المقام.

(١) راجع ما عند يحيى بن خلدون في بنية الرواد صحيحة ٩٥ ج ٢ طبع الجزائر سنة ١٣٢٨.

ثم إن الوزير عمر بن عبد الله راجع بصيرته في تقديم المعتوه للأمر، وعلم أن الأمر لا يستقيم له بذلك، فبادر باستقدام أبي زيان محمد بن أبي عبد الرحمن يعقوب ابن السلطان أبي الحسن، وكان عند الطاغية بدار الحرب قدّم، وخلع الوزير المذكور سلطانه الموسوس يوم الاثنين الحادي والعشرين من صفر سنة ثلاثة وستين وسبعمائة فكانت دولته ثلاثة أشهر ويومن ومات سنة ستون سنة، والله تعالى أعلم.

الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي زيان محمد بن أبي عبد الرحمن يعقوب بن أبي الحسن المريني

هذا السلطان كان محجوباً للوزير عمر بن عبد الله أيضاً كنيته: أبو زيان، لقبه: المتوكل على الله، أمّه: أم ولد اسمها فضة. صفتـه: آدم اللون شديد الأدمة، معتدل القامة، متدرج الأنف، دقيق العينين.

وقال ابن الخطيب في الإحاطة: حاله فاضل سكون، منقاد مشتغل بخاصة نفسه، قليل الكلام حسن الشكل، درب برकض الخيل، مفوضن للوزراء، عظيم الثنائي لأغراضهم، وكان قبل ولادته عند الطاغية^(١) بالأندلس فر إليه خوفاً على نفسه، ولما التبس الأمور على عمر بن عبد الله طلب إلى الطاغية فسمح به بعد اشتراط واشتطاط، وفصل من إشبيلية في المحرم فاتح سنة ثلاثة وستين وسبعمائة ونزل بسينته، وبها سعيد بن عثمان من قرابة الوزير عمر بن عبد الله أرصده لقادمه، فطير إليه بالخبر، فحيثئذ خلع عمر تاشفين الموسوس، ويعث إلى السلطان أبي زيان بالبيعة والآلة والفساطيط، ثم جهز عسكراً للقائه، فتلقوه بطنجة، وأخذ السير إلى الحضرة فنزل متصرف

(١) انظر ما كتبه المؤلف في هذا الموضوع في كتابه «كشف العرين عن ليوثبني مرين» أثناء الكلام على دوته هذا السلطان رحمة الله.

صفر بـكديـة العـرـائـسـ، وـاضـطـربـ مـعـسـكـرـهـ بـهاـ وتـلـقـاهـ يـوـمـئـذـ الـوـزـيـرـ عمرـ بنـ عبدـ اللهـ الـيـابـانـيـ وـبـايـعـهـ، وـأـخـرـجـ فـسـطـاطـهـ فـاـضـطـربـ بـمـعـسـكـرـهـ وـتـلـومـ السـلـطـانـ أـبـوـ زـيـانـ هـنـالـكـ ثـلـاثـاـ ثـمـ دـخـلـ فـيـ الـيـوـمـ الـرـابـعـ إـلـىـ قـصـرـهـ وـاقـتـدـعـ أـرـيـكـتـهـ وـتـوـدـعـ مـلـكـهـ.

وقـالـ اـبـنـ الـخـطـيـبـ فـيـ الإـحـاطـةـ: «ـكـانـ دـخـولـهـ دـارـهـ مـغـرـبـ لـيـلـةـ الـجـمـعـةـ بـطـالـعـ الـثـامـنـ مـنـ السـرـطـانـ، وـبـهـ السـعـدـ الـأـعـظـمـ كـوـكـبـ الـمـشـتـريـ مـنـ السـيـارـةـ السـبـعـةـ»ـ اـهـ وـلـمـ تـمـ لـهـ الـأـمـرـ خـاطـبـهـ اـبـنـ الـخـطـيـبـ مـنـ سـلاـ مـهـتـأـ لـهـ بـقـولـهـ:

يـامـنـ عـلـاهـ لـيـسـ يـحـصـرـ حـاـصـرـ لـوـلـاكـ أـصـبـحـ وـهـ رـسـمـ دـاـثـرـ بـسـعـودـهـ فـلـكـ الـمـشـيـثـةـ دـاـثـرـ إـذـ كـنـتـ أـنـتـ لـهـ الـوـلـيـ النـاـصـرـ حـرـبـ مـضـرـسـةـ وـبـحـرـ زـاـخـرـ حـسـنـتـ لـهـ الـعـقـبـيـ وـعـزـ الـآـخـرـ وـالـلـهـ يـعـلـمـ مـاـ تـكـنـ ضـمـائـرـ كـسـرـىـ وـحـظـيـ مـنـكـ حـظـ وـافـرـ فـوـسـيـلـتـيـ لـعـلـاـكـ نـورـ باـهـرـ يـلـقـىـ لـمـلـكـ سـيفـ أـمـرـكـ عـاـمـرـ وـقـضـىـ الـعـزـيمـةـ وـهـ سـيفـ بـاتـرـ خـذـلـتـ عـلـاهـ قـبـائـلـ وـعـشـائـرـ فـيـ كـلـ مـعـضـلـةـ طـبـيـبـ مـاـهـرـ فـهـيـ الـرـيـاضـ وـلـلـرـيـاضـ بـواـكـرـ	يـاـ اـبـنـ الـخـلـائـفـ يـاـ سـمـيـ مـحـمـدـ أـبـشـرـ فـأـنـتـ مـجـدـ الـمـلـكـ الـذـيـ مـنـ ذـاـ يـعـانـدـ مـنـكـ وـارـثـ الـذـيـ أـلـقـتـ إـلـيـكـ يـدـ الـخـلـافـةـ أـمـرـهـ هـذـاـ وـبـيـنـكـ لـلـصـرـيـخـ وـبـيـنـهـاـ مـنـ كـانـ هـذـاـ الصـنـعـ أـوـلـ أـمـرـهـ مـوـلـاـيـ عـنـدـيـ فـيـ عـلـاـكـ مـحـبـةـ قـلـبـيـ يـحـدـثـنـيـ بـأـنـكـ جـاـبـرـ بـثـرـيـ جـدـوـدـكـ قـدـ حـطـطـتـ حـقـيـقـيـتـيـ وـبـذـلـتـ وـسـعـيـ وـاجـهـادـيـ مـثـلـ مـاـ فـهـوـ الـوـلـيـ لـكـ الـذـيـ اـقـتـحـمـ الرـدـيـ وـوـلـيـ جـدـكـ فـيـ الشـدائـدـ عـنـدـمـاـ فـاسـتـهـدـ مـنـهـ النـصـحـ وـاعـلـمـ أـنـهـ إـنـ كـنـتـ قـدـ عـجـلـتـ بـعـضـ مـدـائـحـيـ ثـمـ أـتـيـعـهـاـ بـثـرـ أـضـرـبـنـاـ عـنـهـ اـخـتـصـارـاـ وـالـلـهـ تـعـالـىـ الـمـوـفـقـ.
---	---

وفادة ابن الخطيب من سلا على السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن رحمهما الله

قال في «الإحاطة»: وفدت على السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن ابن أبي الحسن من محل الانقطاع بسلا وأنشدته قوله:

لمن علم في هضبة الملك خفاق
تقل رياخ النصر عنه غمامه
وبيعة شوري أحكم السعد عقدها
قضى عمر فيها بحق محمد
أحلاماً ترى عيناي أم هي فترة
وفاض لفضل الله في الأرض بتغفي
وسرح تهنيه الكلاء بالكلا
وقد كان طيف الحلم لا يعمل الخطا
للغيث إمساك وفي الأرض رجة
فكمل فريق فيه للبغى راية
أجل إنه من آل يعقوب وارت
له من جناح الروح ظل مسجف
أطل على الدنيا وقد عاد ضوءها
فأشرقت الأرجاء من نور ربها
فمن ألسن بالشكر لله أعلنت
وليس لأمر أبرم الله ناقض
محمد قد أحبيت دين محمد
ولو لم تشب غطى على شفق الضحا
فأيمن بمشحون من الفلك سابع
أقلك والدماء تظهر طاعة
إلى هدف السعد انبرى منه والدجا
أفاقت به من غشية الهرج آفاق
تمد لها أيدٍ وتخضع أعناق
وأعمل إجماع عليها وإصفاق
فسجل عهد للوفاء وميثاق
أعندكما في مشكل الأمر مصدق
ومجتمعات لا تربّب وأسوق
وقلح لسقي الغيث قام له ساق
وللفتن العمياء في الأرض إطباقي
وللدين والدنيا وجوم وإطراف
وكيل طريق فيه للغيث طراق
يحن له البيت العتيق ويشتاق
ومن رفف العز الإلهي رستاق
دجي وعلى الأحداث للذعر إحداق
واساح بها الله لطف وإشفاق
وكان لها من قبل همس وإطباقي
وليس لمعنى النجح في الله إخفاق
وللخلق أدماء تفليس وأرماق
دم لسيوف البغي في الأرض مهراق
له باختيار الله حط وإيساق
إليك وصفح الماء أزرق رقراق
تضليل الحجى سهم من السعد رشاق

فقطت لتقويم القوام جداول
تبارك من أهداك للخلق رحمة
هو الله ييلو الناس بالخير فتنة
سمت منك أعناق الورى لخليفة
وقالوا بناه ما استقل بكفه
وأطنب فيك المادحون وأغرقوا
ألاست من القوم الذين أكفهم
الاست من القوم الذين وجوهم
رياض إذا العافي استظل ظلالها
أبوك ولبي العهد لو سالم الردي
فمن ذاله جد كجدك أو أب
وحب العلا في آل يعقوب أنهم
أسود سروج أو يللوه أمراء
يطول لتحصيل الكمال سعادتهم

ومنها:

لقد نسيت إحسان جلك فرقة
أجازت خروج ابنه عن تراثه
ومن دون ما راموه θ قدرة
خذ العفر وابنل فيهم العرف ولتشع
فريما تنبوا مهنته الظبي
وما الناس إلا مذنب وابن مذنب
ولا ترج في كل الأمور سوى الذي
إذا هو أعطى لم يضر منع مانع
عرفت الردى واستثارت بك للعدا
فيسر للسرى وأحيى بك الورى

تزر على أعناقهم منه أطواق
ولم تدر ما خضت من الذكر أوراق
ومن دون ما أموه للفتح إغلاق
جريرة من أبيدى لك العذر أخلاق
وتنهفو حلوم القوم والقوم حذاق
ولله إرفاد عليهم وإرفاق
خرائبها ما ضرها قط إنفاق
وإن حشدت طسم وعاد وعملاق
تخوم لمختط الصليب وأعمالق
وللروع إرعاد عليك وإبراق

فجاز صنيع الله وازدد بشكره
 وأوف لمن أوفى وكاف الذي كفى
 وتهنىك يا مولى الملوك خلافة
 فقد بلغت أقصى المنى بك نفسها
 فلا راع منها السرب للدهر راع
 أمولاي راع الدهر سري وغالبي
 وليس لكسرى غيرك اليوم جابر
 ولي فيك ود واعتداد غرسته
 وقد عيل صبرى في ارتقابي خلية
 وأنت حسام الله والله ناصر
 وأنت الأمان المستجار من الردى
 وأهون ما يرجى لديك شفاعة
 ودونكها من ذاتي الحمد مخلص
 إذا قال أما كل سمع لقوله
 ودم خافق الأعلام بالنصر كلما
 ذهبت لمسعي لم يكن فيه إخفاق

قال: «وعدت منه بير كبير واحترام شهير»: يشير بذلك إلى ما أكرمه
 به وكتب له من الظهير الذي يتضمن كمال الاحترام والتوقير، ونصه:
 «هذا ظهير كريم من أمير المسلمين فلان أيده الله ونصره، وسنلي له الفتح
 المبين ويسره، للشيخ الفقيه الأجل الأسئى الأعز الأحظى، الأرفع الأمجد
 الأسمى الأوحد الأنور الأرقى العالم العلم الرئيس الأعرف المتفتن
 الأربع، المصنف المقيد الصدر الأحفل، الأفضل الأكمل، أبي عبد الله
 ابن الشيخ الفقيه الوزير الأجل الأسئى الأعز الأرفع الأمجد الوجيه الأنور
 الأحفل، الأفضل الحبيب الأصيل الأكمل، المبرور المرحوم أبي محمد
 ابن الخطيب قابله أيده الله بوجه القبول والإقبال، وأضفني عليه ملابس
 الإنعام والإفضال، ورعى له خدمة السلف الرفيع، الجلال، وما تقرر من

مقاصده الحسنة في خدمة أمتنا العال، وأمر في جملة ما سوغره من الآلاء الوارفة للظلال، الفسيحة المجال، بأن يجدد له حكم ما بيده من الأوامر المتقدم تاريخها، المتضمنة تمثية خمسمائة دينار من الفضة العشرية في كل شهر عن مرتب له ولولده الذي لنظره من مجيبي مدينة سلا حرسها الله، ومن حيث جرت العادة أن تمشي له، ورفع الاعتراض ببابها فيما يجلب من الأدم والأقوات على اختلافها من حيوان وسواء، وفيما يستفيده خدامه بخارجها وأحوازها من عنب وقطن وكتان وفاكهه وخضر وغير ذلك فلا يطلب في شيء من ذلك بمغرم ولا وظيف ولا يتوجه فيه إليه بتکلیف، يتصل له حكم جميع ما ذكر في كل عام تجدیداً تاماً واحترااماً عاماً، أعلن بتجديد الحظوة واتصالها، واتمام النعمة وإكمالها، من تواريخ الأوامر المذكورة إلى الآن ومن الآن إلى ما يأتي على الدوام واتصال الأيام، وأن يحمل جانبه فيمن يشركه أو يخدمه محمل الرعي والمحاشاة في السخر مهما عرضت، والوظائف إذا افترضت، حتى يتصل له نالد العناية بالطارف، وتتضاعف أسباب المتن والعوارف بفضل الله، وتحرر له الأزواج التي يحرثها بتالماغت من كل وجية، وتحاشى من كل مغرم أو ضريبة بالتحرير الثام يحول الله وعونه، ومن وقف على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه وليمض ما أمضاه إن شاء الله، وكتب في العاشر من شهر ربيع الآخرة من سنة ثلاثة وستين وسبعمائة وكتب في التاريخ أهد قوله وكتب في التاريخ هو العلامة السلطانية في ذلك الزمان يكتب بقلم غليظ، وبعض ملوك المغرب يكتب عند العلامة: «صح في التاريخ».

وفادة ابن محمد الهاشمي على السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن رحمهما الله

كان للوزير عمر بن عبد الله الياباني مودة ومصافحة مع الرئيس الشهير أبي ثابت عامر بن محمد الهاشمي كبير جبل درن والبلاد المراكشية، وكان الوزير عمر المذكور قد بعث إليه بصوره وظاهره على الملك مسعود بن عبد الرحمن ابن ماساي يكون عنده عدة وعنداداً ليوم ما، فلما بُويع السلطان أبو زيان استقدم عمر بن عبد الله صوره المذكور لوزارته، وكان عامر بن محمد مجتمعًا القدوم على السلطان المذكور، فقدم في صحبته مسعود، ونزلًا من الدولة بخير منزل.

وعقد السلطان أبو زيان لمسعود المذكور على وزارته بإشارة الوزير عمر بن عبد الله فاضططلع بها، ودفعه عمر إليها استمالة اليد وثقة بمكانه واستظهاراً بعصبيته، وعقد مع عامر بن محمد الحلف على مقاومة المغرب شق الأبلمة، وجعل إمارة مراكش لأبي الفضل ابن السلطان أبي سالم إساعفاً لغرض عامر بن محمد في ذلك.

وخطب إليهم عامر بنت السلطان أبي بكر الحفصي التي توفي عنها السلطان أبو عنان^(١) فأجابوه، وحملوا أولياءها على العقد عليها، وإنكفاء راجعاً إلى مكان عمله بمراكش يجر الدنيا وراءه عزاً وثروة وتابعه، وذلك في جمادى الأولى من سنة ثلاثة وستين وسبعيناً، فاستقل بأمر الناحية الغربية من مراكش وجبار المصاومة وما إليها من الأعمال واستبد بها، ونصب أبي الفضل ابن السلطان أبي سالم صورة، واستوزر له وتمكن سلطانه وعلا ذكره، وصارت كأنها دولة مستقلة، فصرف إليه النازعون منبني مرين عن

(١) والصحيح أبو الحسن لأن المصاهرة لم تتعقد بين أبي عنان والحفصيين راجع ابن خلدون ج 2 صحيفة 472 وتاريخ الدولتين للزركي صحيحة 83 وصحيفة 84.

الدولة وجده مفراهم، ولجؤوا إليه فأجارهم على السلطان واجتمع إليه منهم ملأ، واتسع الخرق على الرافع، واضطربت الأحوال بالمغرب، وخرج على السلطان أبي زيان الأمير عبد الحليم بن أبي علي بن أبي سعيد، وتغلب على سجلماسة وأعمالها، ثم غالب عليه أخيه عبد المؤمن بن أبي علي فخرج عبد الحليم إلى المشرق لقضاء فريضة الحج، واستمر عبد المؤمن بسجلماسة، وأقام بها دولة كما كان لوالده من قبل إلى أن فتحها الوزير مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي وأضافها إلى مملكة فاس، ثم انتقض الوزير مسعود أيضاً وبائع الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن بن أبي علي، ونصبه للأمر وصار يشوش به على الدولة، وشرق عمر بن عبد الله بذاته في أخبار طوبية، ولما لم يتم له أمر عبر هو وسلطانه البحر من مرسى غسasse إلى الأندلس فاتح سنة سبع وستين وسبعمائة، وأقبل على الجهاد واستراح الوزير عمر وسلطانه أبو زيان من شغبهما. والله غالب على أمره.

مقتل السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن رحمه الله

لما طال استبداد الوزير عمر بن عبد الله على السلطان أبي زيان وحجره أيام إذ كان وضع عليه الرقباء والعيون حتى من حرمه وأهل قصره عزم على الفتاك بالوزير المذكور، وتناجي بذلك مع بعض ندمائه وأعدائه طائفة من العبيد كانوا يختصون به، فنما ذلك إلى الوزير بواسطة بعض الحرم كانت عيناً له عليه فعاجله، وكان قد بلغ من الاستبداد عليه أن كان الحجاب مرفوعاً له عن خلوات السلطان وحرمه، فدخل عليه وهو في وسط حشمه فطردهم عنه، ثم غطه حتى فاظ، وأمر به فالقي في بئر بروض الغزلان، واستدعي الخاصة فأراهم مكانه بها، وأنه سقط عن دابته وهو سكران، وذلك في محرم فاتح سنة ثمان وستين وسبعمائة كذا عند ابن خلدون. وقال في «الجنوة»: «توفي يوم الأحد الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة سبع وستين وسبعمائة وله ثمان وعشرون سنة، ودفن بجامع

قصره فكانت دولته أربع سنين وعشرة أشهر ويوماً واحداً والله أعلم.

الخبر عن دولة السلطان أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن رحمة الله

هذا السلطان هو الذي أنعش دولة بني مرين بعد تلاشيهما، وأعاد إليها شبابها بعد هرمتها، وتقاضيها، وأزال عنها وصمة الحجر والاستبداد، وأعادها من العز إلى حالها المعتمد، وهو الذي ذكره ابن خلدون في أول تاريخه الكبير وألفه برسمه، وحلى ديجاجته باسمه، أمه: مولدة اسمها مريم، صفتة: آدم اللون شديد الأدمة، طويل القامة، يشرف على الناس بطوله، نحيف الجسم، أعين أدعى أحلى، في وجهه أثر جدري. وكان عفأً متمسكاً بالدين، محباً في الخير وأهله، لم يشرب خمراً ولا وقع في فاحشة قط، وبالجملة فقد كان من صالحـي الملوك رحمة الله.

ولما كان من الوزير عمر بن عبد الله الياباني إلى السلطان أبي زيان رحمة الله ما كان من الخنق والإلقاء في البئر، استدعي عبد العزيز بن أبي الحسن هذا، وكان في بعض الدور من القصبة بفاس محتاطاً عليه من قبل الوزير المذكور، فأحضره بالقصر، وأجلسه على سرير الملك وبايعه، وفتحت الأبواب لبني مرين وسائر الخاصة وال العامة فازدحموا على تقبيل يده، معطين الصفة بطاعته، فتم أمره وثبت ملكه وذلك يوم الأحد الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة سبع وستين وسبعمائة، ثم إن الوزير عمر جرى معه على عادته من الاستبداد، ومنع التصرف في شيء من أمور الملك فأنف السلطان عبد العزيز من ذلك وتافق منه، ودارت بينه وبين الوزير أمور إلى أن عمل السلطان على الفتـك به فأعاد له جماعة من الخصيان بزوايا داره، ثم أحضره ووبيخه وثار به أولئك الخصيان فتناولوه هبراً بالسيوف، وصاح الوزير المذكور صيحة أسمع بها بطانته خارج الدار فوثبوا على الأبواب فكسروها،

واقتحموا الدار فإذا صاحبهم مدرج بدمائه قد فرغ منه فولوا الأدبار هاربين، ثم تتبع السلطان عبد العزيز حاشية الوزير بالاعتقال والقتل حتى أتى على الجميع في خبر طويل، واستبد بملكه واضططع به وأدار الأمور فيه على ما ينبغي والله تعالى أعلم.

انتقام أبي الفضل بن أبي سالم ثم مقتله بعد ذلك

قد قدمنا أن أبي الفضل بن أبي سالم كان قد عقد له الوزير عمر بن عبد الله على مراكش إسعافاً لكافله عامر بن محمد الهاشمي، فلما فتك السلطان عبد العزيز بالوزير المذكور سوت لأبي الفضل نفسه مثلها في عامر بن محمد لاستباده عليه، وأغراء بذلك بطانته فأحس عامر بالشر فتمارس بدراه من مراكش، ثم استأذنه في الصعود إلى معتصمه من الجبل ليمرضه هنالك حرمه وأقاربه، فارتحل بجملته واحتل بحصته وكان أعز من الأبلق الفرد، فيش أبو الفضل من الاستمكان منه، ثم أغرته بطانته إذ فاتهم عامر بالفتوك بعد المؤمن بن أبي علي، وكان قد انتصاف إليه بعد إجفاله عن سجلة، فسكت أبو الفضل ذات ليلة وبعث عن قائد الجندي من النصارى فأمره بقتل عبد المؤمن بمكان معقله من قصبة مراكش فجاء برأسه إليه، وطار الخبر بذلك إلى عامر فارتاع وحمد الله إذ خلصه من غائلته وبعث بيته إلى السلطان عبد العزيز، وأغراء بأبي الفضل ورغبه في ملك مراكش، ووعده بالمظاهرة، فأجمع السلطان أمره على التهوض إليها، ونادي في الناس بالعطاء، وقضى أسباب حركته، وارتخل من فاس سنة تسعة وستين وسبعين، وقد استبد أبو الفضل بمراكش وأعمالها.

وأقام بها رسم الملك، واستوزر واستلحق وجعل شوراه لمبارك بن إبراهيم بن عطيه الخاطي.

ولما نهض السلطان عبد العزيز من فاس اتصل خبره بأبي الفضل وهو

منازل لعامر بن محمد فانقض معسكره ولحق بتأدلاً ليتعرض بجبلبني جابر منها، فتبعد السلطان عبد العزيز إليها ونازله، وأخذ بمخففه وقاتلته فقتل عسكره. ثم دخل بعضبني جابر في جر الهزيمة عليه على مال يعطيه لهم ففعلوا، وأنهزمت جيشه وتقبض على أشياعه وسيق مبارك بن إبراهيم إلى السلطان عبد العزيز فأعتقله إلى أن قتله مع عامر بن محمد كما ذكر.

ولحق أبو الفضل بقبائل صناعة وراءبني جابر فدخل بنو جابر في شأنه، وينزلوا لهم عن السلطان مالاً دثراً في إسلامه فأسلموه، وبعث السلطان إليهم وزيره يحيى بن ميمون فجاء به أسيراً، وأحضره أمام السلطان فوبخه، ثم اعتقله بفساطط مجاور له، ثم غط من الليل فكان مهلكه في رمضان سنة تسع وستين وسبعيناً لمضي ثمان سنين من إمارته على مراكش، وبعث السلطان عبد العزيز إلى عامر بن محمد يختبر طاعته فأبى عليه، وجاهر بالخلاف إلى أن كان من شأنه ما ذكره.

انتقاض عامر بن محمد الهاشمي وحصار السلطان عبد العزيز إيه وظفره به

كان عامر بن محمد الهاشمي مجرر السلطان أبي الحسن من ابنه أبي عنان على ما وصفنا من بلوغ الغاية في الرياسة والاعتزاز على الدولة وطول الاستبداد بمراكش وأحوازها، وكان قد حصل في مدة رياسته على ثروة عظيمة وجاه كبير، وكان له معتصم بجبل درن أعز من بيس الأنوق قد حصن فيه ماله وسلاحه وذخيرته، وكان كلما هاجه هائح صعد إليه وأمن على نفسه، فلما صفا الأمر للسلطان عبد العزيز جعل عامراً هذا من أهم أمره فنصب له واستعد لقتاله وعقد على وزارته لأبي بكر بن غازي بن يحيى بن الكاس ونهض إليه من فاس سنة سبعين وسبعيناً فحاصره في جبله سنة كاملة. ولما طال الحصار على عامر وشييعته اختلفت كلمتهم عليه وفسد ما

بينه وبين ابن أخيه فارس بن عبد العزيز بن محمد، قُبِعَتْ إلى السلطان وسهل له الطريق لاقتحام الجبل، فزحفت العساكر والجنود وشارفت المعتصم، ولما استيقن عامر أن قد أحاط به بعث إلى ابنه أبي بكر أن يلحق بالسلطان مختاراً له ومشيراً عليه بما هي أحسن وأسلم، فألقى الولد بنفسه إلى السلطان فقبله، وبذل له الأمان وألحقه بحملته، وانتبذ عامر عن الناس وذهب لوجهه ليخلص إلى السوس فرده الثلج، وقد كانت السماء أرسلت به منذ أيام حتى تراكم بالجبل بعضه على بعض وسد المسالك فاقتصر حجمه عامر حتى هلك فيه بعض حرمه ونفق مركوبه، وعاين الهلكة العاجلة فرجع أدراجه مختفياً حتى آوى إلى غار مع أدلاء كان قد استخلصهم، وبذل لهم مالاً على أن يسلكوا به ظهر الجبل إلى صحراء السوس، فأقاموا ينتظرون إمساك الثلج وقد شدد السلطان عبد العزيز في التقرير عنه والبحث، فعثر عليه بعض البربر بالغار المذكور، فسيق إلى السلطان فأحضره بين يديه ووبخه فاعتذر واعترف بالذنب ورغب في الإقالة فحمل إلى مضرببني له بزاوه فسطاط السلطان، واعتقل هنالك، وانطلقت الأيدي على معاقل عامر ودياره فاتهبه من الأموال والسلاح والذخيرة والزرع والأقوات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

واستولى السلطان على الجبل ومعاقله في رمضان من سنة إحدى وسبعين وسبعمائة لحول من يوم حصاره، وعقد على همتةة لابن أخي عامر، وهو فارس بن عبد العزيز بن محمد بن علي الهمتاني، وارتحل إلى فاس فاحتل بها آخر رمضان المذكور ودخلها في يوم مشهود برز فيه الناس، وحمل عامر وسلطانه تاشفين من يبني عبد الحق كان نصبه للأمر ممروهاً به على عادته، فحملها معاً على جملين وقد أفرغ عليهمما لباس رث، وعشت بهما أيدي الإهانة فكان ذلك عبرة لمن رأه.

ولما قضى السلطان عبد العزيز نسك عبد الفطر أحضر عامراً فقرعه بذنبه، وأتى بكتاب بخطه يخاطب فيه أبا حمو بن يوسف الزياني ويستنجد به على

السلطان فشهد عليه به وأمر السلطان بامتحانه فلم يزل يجلى حتى انتشر لحمه وضرب بالعصى حتى ورمت أعضاؤه، وهلك بين يدي الوعزة، وجنب تاشفين سلطانه إلى مصر عه فقتل عصاً بالرماح وجنب مبارك بن إبراهيم الخلطي من مجسيه بعد الاعتقال فألحق بهم، ولكل أجل كتاب، وصفا الجو للسلطان عبد العزيز من المنازعين وتفرغ لغزو تلمسان على ما ذكره إن شاء الله.

ارتجاع الجزيرة الخضراء من يد الإسبانيوو

قد قدمنا ما كان من استيلاء الطاغية على الجزيرة الخضراء أيام السلطان أبي الحسن رحمة الله فاستمرت في ملكتهم إلى هذا التاريخ فنشأت بينهم فتنة وتقاتلوا على الملك وأغروا ثغورهم الموالية للمسلمين من الحامية والجند فبقيت عورة، وتشوف المسلمون إلى ارتجاع الجزيرة الخضراء التي قرب عهدهم بانتظامها في ملحة المسلمين.

وكان السلطان عبد العزيز في شغل عن ذلك بفتنة أبي الفضل بن أبي سالم وعامر بن محمد وانتقامهما، فبعث إلى ابن الأحمر صاحب الأندلس أن يزحف إليها بعساكره وعليه عطاوهـم وإمدادـهم بالمال والأساطيل على أن تكون مثوية جهادـه خالصة له، فأجاب ابن الأحمر إلى ذلك، وبعث إليه السلطان عبد العزيز بأحملـ المـال، وأوـعزـ إلىـ أـسـاطـيلـهـ بـسـيـةـ فـانـعـمـرـتـ وأـقـلـعـتـ حـتـىـ اـحـتـلـتـ بـمـرـسـىـ الـجـزـيـرـةـ الـخـضـرـاءـ لـحـصـارـهـاـ،ـ وـزـحـفـ ابنـ الأـحـمـرـ بـعـساـكـرـ الـمـسـلـمـيـنـ عـلـىـ أـثـرـهـاـ بـعـدـ أـنـ قـسـمـ فـيـهـمـ عـطـاءـ وـأـزـاحـ العـدـدـ.ـ وـأـعـدـ الـآـلـاتـ لـلـحـصـارـ،ـ فـنـازـلـهـاـ أـيـامـ قـلـائـلـ،ـ ثـمـ أـيـقـنـ النـصـارـىـ بـلـهـلـكـةـ لـبـعـدـهـمـ عـنـ الصـرـيـخـ وـيـأسـهـمـ مـنـ مـدـ مـلـوـكـهـمـ،ـ فـأـلـقـواـ بـالـيـدـ وـسـأـلـوـاـ التـنـزـولـ عـلـىـ الـصـلـحـ،ـ فـأـجـابـهـمـ ابنـ الأـحـمـرـ إـلـيـهـ،ـ وـنـزـلـهـاـ عـنـ الـبـلـدـ وـأـقـيـمـتـ فـيـهـ شـعـائـرـ الـإـسـلـامـ وـمـحـيـتـ مـنـهـ كـلـمـةـ الـكـفـرـ،ـ وـكـتـبـ اللهـ أـجـرـهـاـ لـمـنـ أـخـلـصـ فـيـ مـعـاملـتـهـ^(١)

(١) انظر الإحاطة ج 2 - صحفة 56.

وكان ذلك سنة سبعين وسبعين، وولي ابن الأحمر عليها من قبله ولم تزل إلى نظره إلى أن وقع الاختيار على هدمها خشية استيلاء النصرانية عليها مرة أخرى فهدمت أعواام الثمانين وسبعين وأصبحت خاوية كأن لم تغن بالأمس.

نهاية السلطان عبد العزيز إلى تلمسان واستيلاؤه عليها وفرار سلطانها أبي حمو بن يوسف عنها

كان أبو حمو بن يوسف الزياني قد فسد ما بينه وبين عرب سويد وبعض على بعض رؤسائهم محمد بن عريف فاستصرخوا عليه السلطان عبد العزيز، وكانت القوارص لا تزال تسرى إليه من أبي حمو المذكور فصادفوا منه صاغية إلى ما التمسوا منه، واعتمز على النهاية إلى تلمسان، ويعث المحاربين إلى الجهات المراكشية فتوافى الناس إليه على طبقاتهم، واجتمعوا عنده أيام مني سنة إحدى وسبعين وسبعين فأفاض العطاء وأزاح العلل، ولما قضى نسك عيد الأضحى عرض الجنادل ونهض إلى تلمسان فاحتل بتازا.

وأتصل خبره بأبي حمو فجمع الجموع وهم باللقاء ثم اختلفت كلمة أصحابه وتفرق عنه العرب منبني معقل فأجفل هو وأشياعه منبني عامر بن زغبة فدخلوا القفر.

وتقدم السلطان عبد العزيز فاحتل بتلمسان يوم عاشوراء من سنة اثنين وسبعين وسبعين فدخلها في يوم مشهود، واستولى عليها وعقد لوزيره أبي بكر بن غازي بن الكاس على عساكر مرين والعرب وسرحه في اتباع أبي حمو فأدركه ببعض بلاد زناتة الشرق فأجهضوه عن ماله ومعسكره فانتهت بأسره واكتسحت أموال العرب الذين معه ونجا بذمائه إلى مصاب، وتلاحق به ولده وقومه متفرقين على كل مقازة، ثم دخلوا القفر بعد ذلك ودوخ الوزير المذكور بلاد المغرب الأوسط وشد عصاته واستنزل ثواره في أخبار طويلة.

واستولى السلطان عبد العزيز علىسائر الوطن من الأنصار والأعمال، وعقد عليها للولاة والعمال واستوسق له ملك المغرب الأوسط كما كان لسلفه واستمر مقيناً بتلمسان إلى أن كان ما ذكره.

نزع الوزير ابن الخطيب عن سلطانه الغني باش إلى السلطان عبد العزيز بتلمسان

قد قدمنا ما كان من رجوع الغني باش ابن الأحمر إلى ملكه بالأندلس سنة ثلات وستين وسبعيناً، ولما استولى على غرناطة وثبت قدمه بها بعث عن مخلفه بفاس من الأهل والولد، والقائم بالدولة يومئذ عمر بن عبد الله فاستقدم عمر ابن الخطيب من سلا وبعثهم إلى نظره، فسر السلطان ابن الأحمر بقدمه ورده إلى منزلته ودفع إليه تدبير المملكة وخلط بينه بندمانه وأهل خلوته، وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد، وانصرفت إليه الوجوه وعلقت به الآمال وغشى بابه الخاصة والكافة، وغضبت به بطانة السلطان وحاشيته فتوافقوا على السعاية فيه، وقد صم السلطان عن قبولها، ونما بذلك الخبر إلى ابن الخطيب فشعر عن ساعده للرحلة عن الأندلس واللحاق بالمغرب، وكان له حنين إليه ورغبة في الإيالة المرinية من قبل ذلك، فقدم الوسائل إلى السلطان عبد العزيز وأوعز إليه بما عزم عليه من اللاحق بحضوره فوعده السلطان بالجميل ووسط أمله، فحيثند استأذن السلطان الغني باش في تفقد الشعور الغربية من أرض الأندلس فأذن له، وسار إليها في جماعة من فرسانه، ومعه ابنه علي فلما حاذى جبل طارق مال إليه، فخرج قائد الجبل لتلقيه، وقد كان السلطان عبد العزيز أوعز إليه بذلك وجهز إليه الأسطول من حينه، فاحتل بسبعة ثم سار منها فقدم على السلطان عبد العزيز بتلمسان سنة ثلاث وسبعين وسبعيناً، فاهتزت له الدولة وأركب السلطان خاصته لتلقيه وأحله بمجلسه محل الأمان والغبطة، ومن دولته بمكان الشرف والعزة،

وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبي مدين سفيراً إلى الأندلس في مطلب أهله وولده فجاء بهم على أكمل الحالات من الأمن والتكرمة، ثم نزل بعد ذلك مدينة فاس القديمة فاستكثر بها من شراء الفساع وتألق في بناء المساكن وأغتراس الجنات وحفظت عليه رسومه السلطانية وتوقيراته، وأقام مطمئناً بخير دار عند أعز جار.

وفاة السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن رحمه الله

كان السلطان عبد العزيز قد أصابه مرض التحول في صغره ولأجل ذلك تجافى السلطان أبو سالم عن بعثه مع الأبناء إلى الأندلس فأقام بال المغرب، ولما شب أفق من مرضه وصلح بدنه ثم عاوده وجعه في مثواه بتلمسان وتزايد حوله، ولما كمل الفتح واستفحلاه الملك اشتد به الوجع فصابره وكتمه عن الناس خشية الإرجاف ثم عسکر خارج تلمسان للحاق بال المغرب. ولما كانت ليلة الخميس الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وسبعمائة قضى نحبه رحمه الله بظاهر تلمسان بين أهله وولده وسيق إلى فاس فدفن بجامع قصره، وسنة يومئذ أربع وعشرون سنة، وكانت دولته ست سنين وأربعة أشهر⁽¹⁾.

ومن نظمه ما ذكره ابن الأحمر في «نثیر الجمان» مذيلاً بيتي والده السلطان أبي الحسن اللذين هما قوله:

أرضي الله في سر وجهه	وأحامي العرض من دنس ارتياط
وأعطي الوفر من مالي اختياراً	وأشيرب بالسيوف طلي الرقاب
فقال هو وأحسن:	

وأرغب خالقي في العفو عنني	وأطلب حلمه يوم الحساب
وأرجو عونه في عز نصر	على الأعداء محروس الجناب

(1) ومن أولاده: السلطان محمد السعيد ومحمد عبد الله.

وعبدك واقف بالباب فارحم غبيداً خائفًا لم العقاب

الخبر عن دولة السلطان السعيد باشا أبي

زيان محمد بن عبد العزيز بن أبي الحسن

هذا السلطان ممن ولـي الأمر وهو صبي، وفيه ألف ابن الخطيب كتابه المسمى: «بأعلام الأعلام بمن بوريـع من ملوك الإسلام قبل الاحتلال» كتبته: أبو زيان. أمه: عائشة بنت القائد فارح العلـج، صفتـه: آدم اللون شـديد الأدمة.

ولما مات السلطان عبد العزيز رحـمه الله بـظاهر تـلمـسان خـرج الوزير أبو بـكر بن غـازي بن الكـاس عـلى النـاس، وقد اـحـتـمـلـ أـبـا زـيانـ اـبـنـ السـلـطـانـ عبدـ العـزـيزـ، فـعـزـاهـمـ عـنـ سـلـطـانـهـمـ ثـمـ طـرـحـ اـبـهـ بـيـنـ أـيـدـيـهـمـ، فـازـدـحـمـواـ عـلـيـهـ باـكـينـ مـتـفـجـعـينـ يـعـطـوـنـهـ الصـفـقـةـ وـيـقـبـلـونـ يـدـيـهـ لـلـيـعـةـ، ثـمـ أـخـرـجـوهـ لـلـمـعـسـكـرـ وـأـنـزـلـوـهـ بـفـسـاطـيـطـ أـبـيـهـ وـتـمـ أـمـرـهـ وـكـفـلـهـ الـوـزـيـرـ المـذـكـورـ فـكـانـ إـلـيـهـ الإـبـرـامـ وـالـنـفـضـ، وـالـصـبـيـ كـالـعـدـمـ، إـذـ لـمـ يـكـنـ فـيـ سـنـ التـصـرـفـ.

ثـمـ إـنـ الـوـزـيـرـ اـرـتـحـلـ بـالـنـاسـ وـجـدـ السـيـرـ فـدـخـلـ حـضـرـةـ فـاسـ وـأـجـلسـ الصـبـيـ لـيـعـةـ الـعـامـةـ فـبـاـيـعـواـ، ثـمـ تـوـافـتـ لـدـيـهـ وـفـوـدـ الـأـمـصـارـ عـلـىـ الـعـادـةـ، وـاستـبـدـ الـوـزـيـرـ أـبـوـ بـكـرـ وـاستـعـمـلـ عـلـىـ الـجـهـاتـ وـجـلـسـ بـمـجـلـسـ الـفـصـلـ وـاشـغـلـ بـأـمـرـ الـمـغـرـبـ إـبـرـاماـ وـنـفـضاـ.

ولـمـ فـصـلـ بـنـوـ مـرـينـ عـنـ تـلـمـسانـ عـادـ إـلـيـهـ سـلـطـانـهـ أـبـوـ حـمـوـ بـنـ يـوسـفـ الـرـيـانـيـ، وـالـتـفـتـ عـلـيـهـ بـنـوـ عـبـدـ الـوـادـ مـنـ كـلـ جـانـبـ وـمـحـاـ دـعـوـةـ بـنـيـ مـرـينـ مـنـ ضـواـحـيـ الـمـغـرـبـ الـأـوـسـطـ وـأـمـصـارـهـ، وـاتـصـلـ الـخـبـرـ بـالـوـزـيـرـ أـبـيـ بـكـرـ بـنـ غـازيـ فـهـمـ بـالـنـهـوضـ إـلـيـهـ ثـمـ ثـنـىـ عـزـمـهـ مـاـ كـانـ مـنـ خـرـوجـ الـأـمـيـرـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ أـبـيـ يـفـلـوـسـنـ بـنـ أـبـيـ عـلـيـ بـنـ سـعـيدـ بـنـاحـيـةـ بـطـوـيـةـ، فـإـنـ السـلـطـانـ اـبـنـ الـأـحـمـرـ كـانـ قـدـ سـرـحـهـ مـنـ الـأـنـدـلـسـ صـحـبـةـ وـزـيـرـهـ مـسـعـودـ بـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ مـاسـايـ

لطلب ملك المغرب تشغيباً على الوزير أبي بكر بن غازي، ثم أتبعه بالأمير أبي العباس أحمد ابن السلطان أبي سالم الذي كان محاطاً عليه بطنجة، فزحف الأمير أبو العباس المذكور إلى فاس وظاهره ابن عمه الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن فحاصروا الوزير أبي بكر بن غازي وسلطانه أبي زيان ابن عبد العزيز، وضربوا على فاس الجديد سياجاً بالبناء للحصار، وأنزلوا به أنواع القتال بعد أن بعث ابن الأحمر رسلاً إلى الأمير عبد الرحمن باتصاله يابن عمه الأمير أبي العباس ومظاهرته على ملك سلفه بفاس واجتماعهما لمنازلتها، وعقد بينهما الاتفاق والمواصلة وأن يختص عبد الرحمن بملك سلفه من سجله وأعمالها، فترافقا وزحفاً إلى فاس كما قلنا، وأتمهم ابن الأحمر بجمع من جنده، فاستمر الحال على حصار فاس إلى أن تذعن الوزير أبو بكر لخلع سلطانه أبي زيان وبمبايعة الأمير أبي العباس، فخلعه يوم الأحد السادس من محرم فاتح سنة ست وسبعين وسبعينة وغرب إلى الأندلس فكانت دولته سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً والله غالب على أمره.

الخبر عن الدولة الأولى للسلطان المستنصر بالله أبي العباس أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن

هذا السلطان يقال له: ذو الدولتين لأنه ولد الملك مرتين كما سيأتي. أمه: حرة بنت أبي محمد السبائي. كنيته: أبو العباس، لقبه: المستنصر بالله، صفتة: أبيض اللون ربعة تعلوه صفة رقيقة، أدعج أسود الشعر أكحل الحاجبين ضيق البلع أسيل الخدين براق الثنایا جميل الوجه مليح الصورة ظريف المنزع لطيف الشمائل حسن الشكل إذا ركب، بوييع أولاً بطنجة في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وسبعينة، ثم بوييع البيعة العامة بالمدينة البيضاء بعد استيلائه عليها يوم الأحد السادس من محرم سنة ست وسبعين

وبعما، وكان الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن عندما أشرفوا على فتح فاس شرط عليهم ولاده مراكش عوضاً عن سجل ماسة فعقدوا له على كره مخافة أن تفترق كلمتهم ولا يتم أمرهم ففعلوا، وطروا له على النكث فارتحل إلى مراكش واستولى عليها، ثم فارقه وزيره مسعود بن عبد الرحمن وأجاز البحر إلى الأندلس فاستقر بها في إبالة ابن الأحمر.

واستقل السلطان أبو العباس بن أبي سالم بملك فاس وأعمالها، واستوزر محمد بن عثمان بن الكاس وفوض إليه أمره فغلب على هواه وجعل أمر الشورى إلى سليمان بن داود فاستقل بها وحاصر رئاسة المشيخة، واستحكمت المودة بينه وبين ابن الأحمر وجعلوا إليه المرجع في نقضهم وإبراهيم، فصار له بذلك تحكم في الدولة المرغنية وأصبح المغرب كأنه من بعض أعمال الأندلس وذلك بما كان لابن الأحمر من إعانته السلطان أبي العباس على ملك المغرب حتى تم له، وبما كان تحت يده من أبناء الملك المرشحين للأمر، فكان أبو العباس وحاشيته يصانونه لأجل ذلك، والله تعالى أعلم.

محة الوزير ابن الخطيب ومقتله رحمه الله

لما لجأ ابن الخطيب إلى بني مرين وأصابع عندهم داراً وقراراً عز ذلك على ابن الأحمر، وسعى بطاته عنه في ابن الخطيب لعداوتهم له، ثم بلغه أنه يغري السلطان عبد العزيز بتملك أرض الأندلس وقطع دعوة بني الأحمر منها، فعظم عليه ذلك ودبر الحيلة في قتل ابن الخطيب، وتتبع أعداؤه كلمات زعموا أنها صدرت منه في بعض تأليفه فأحصوها عليه ورفعوها إلى قاضي غرناطة أبي الحسن النباوي فاسترعاها وسجل عليه بالزنقة، ويعث ابن الأحمر برسم الشهادة مع هدية لم يسمع بمثلها إلى السلطان عبد العزيز وطلب منه إقامة الحد على ابن الخطيب أو إسلامه إليه، فصم السلطان عبد العزيز عن ذلك وأنف لذمه أن تخفر ولجوائه أن يؤذى، وقال للوفد: «هلا

انتقمت منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه، وأما أنا فلا يخلص إليه بذلك أحد ما كان في جواري» ثم وفر الجرارة والإقطاع له ولبنيه ولم يجأ من فرسان الأندلس في جملته.

ثم لما مات السلطان عبد العزيز رحمة الله وولي ابنه أبو زيان وقام بأمره الوزير أبو بكر ابن غازي عاود ابن الأحمر الكلام في شأن ابن الخطيب وبعث بهدية أخرى إلى الوزير المذكور وطلب منه إسلامه إليه، فأبى الوزير وأساء الرد، وعادت رسائل ابن الأحمر إليه مخففين، وقد رهبا سطوطه، فعند ذلك عمد ابن الأحمر إلى الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن، وكان عنده بالأندلس فأطعمه في ملك المغرب وأركبه البحر، فقذف به بساحل بطورية من بلاد الريف تشغيلياً على الوزير أبي بكر بن غازي كما مر، ثم ثاب له رأي آخر فأغرى محمد بن عثمان بن الكاس وهو ابن عم أبي بكر بن غازي المذكور، وكان يومئذ بسبعة قائمًا على ثغرها، فدخله في البيعة لأبي العباس ابن أبي سالم، وكان يومئذ بسبعة محتاطاً عليه في جملة من القرابة، والتزم أن يمده بالمال والرجال حتى يتم أمره، لكن بشرط أن ينزل له عن جبل طارق، ويعث له بالقرابة الذين هم بطنجة ليكونوا تحت يده، ويسلم إليه ابن الخطيب متى قدر عليه، فكان الأمر كذلك، فإن السلطان أبي العباس لما استولى على الأمر نزل لابن الأحمر عن جبل طارق فمحا دعوه بني مرين من وراء البحر، ثم ملك بعد ذلك سبعة فاستولى عليها، وبعث إليه بالقرابة المذكورين فأوسم لهم جنابه بغرناطة، ثم قبض السلطان أبو العباس ووزيره محمد بن عثمان على ابن الخطيب وطبروا بالأعلام لابن الأحمر، فحينئذ بعث وزيره أبي عبد الله بن زمرك، وكان من تلاميذه ابن الخطيب وبه تخرج، فقدم على السلطان أبي العباس وأحضاروا ابن الخطيب بالمشور في مجلس الخاصة وأهل الشورى من الفقهاء، وعرضوا عليه بعض كلمات وقعت له في بعض كتبه فعظم عليه التكير فيها فوبخ ونكل، وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك

الملأ، ثم ثُل إلى محبسه، وتفاوضوا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه فأفتقى بعض الفقهاء بقتله، فدس سليمان بن داود إليه بعض الأوّلاد من حاشيته فطرقو السجن ليلاً ومعهم زعانفة من أهل الأندلس جاؤوا في لفيف ذلك الوفد فقتلوه خنقاً في محبسه وأخرجوا شلواه من الغد فلُدُن في مقبرة باب المحرق، ثم أصبح من الغد طريحاً على شابة قبره وقد جمعوا له أعواداً فأضرمواها عليه ناراً فاحترق شعره وأسود بشره، وأعيد إلى حفرته، وكان في ذلك انتهاء محنته، وعجب الناس من هذه السفاهة التي جاء بها سليمان بن داود واعتذروا من هتاته، وعظم التكبير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته.

وكان ابن الخطيب رحمه الله أيام مقامه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فتجيش هواقه بالشعر يبكي نفسه فما قال في ذلك:

بعدنا وإن جاورتنا البيوت	وجئنا برعاظ ونحن صموم
وأنفسنا سكنت ذفعة	كمجزر الصلاة ثلاثة القنوت
وكنا عظاماً فصرنا عظاماً	وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا	غربنا فناحت عليها السموات
فكم جدلت ذا الحسام الظبي	وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سبق للقبر في خرقة	فتنى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب	وفات ومن ذا الذي لا يفوت
فمن كان يفرح اليوم من لا يموت	فقل يفرح اليوم من لا يموت

وكانت نكتة رحمة الله أوائل سنة ست وسبعين وسبعمائة، وعنده الله تجتمع الخصوم.

بقية أخبار أمير مراكش عبد الرحمن بن أبي يفلوشن رحمه الله

قد تقدم لنا ما كان من معاقدة السلطان أبي العباس والأمير عبد الرحمن ابن أبي يفلوشن على ولاية سجلماسة أولاً ثم التعریض عنها بمراکش ثانياً، فلما فتح السلطان أبو العباس فاساً وفي للأمير عبد الرحمن بعده فسار إلى مراكش واستولى عليها وعلى أعمالها، واقتسمت مملكة المغرب الأقصى يومئذ بنصفين.

وكان الحد بين الدولتين ثغر آزمور فكانت في إيالة صاحب فاس، وما وراءها إلى مراكش في إيالة صاحب مراكش، ثم كانت بينهما بعد ذلك مواصلات ومناقصات ومسالمات ومحاربات يطول جلها، واتصل ذلك إلى منتصف سنة أربع وثمانين وسبعمائة فظفر السلطان أبو العباس بعد الرحمن بعد محاصرته بقصبة مراكش تسعة أشهر، ولما أشرف السلطان أبو العباس على فتحها وانقض الناس من حول الأمير عبد الرحمن ونزلوا من الأسوار ناجين إلى السلطان ويقي هو في قصبه متفرداً بات ليلته يراود ولديه على الاستماتة وهما: سليم وأبو عامر، وركب السلطان أبو العباس من الغد في التعبية إلى القصبة فاقتربوها بقدمته ولقيه الأمير عبد الرحمن وولدها مسابقين إلى الميدان ومبashرين القتال بين أبواب دورهم فجالوا معهم جولة قتل فيها الولدان قتلهم علي بن إدريس وزيان بن عمر الوطاسي.

قال ابن خلدون: «وطالما كان زيان يعتري ثدي نعمتهم ويجر ذيله خيلاً في جاههم فذهب مثلاً في كفران النعمة وسوء الجزاء والله لا يظلم مثقال ذرة» وكان ذلك خاتم جمادي الآخرة سنة أربع وثمانين المذكورة لمضي عشر سنين من إمارة عبد الرحمن على مراكش، ثم رحل السلطان أبو العباس منقلباً إلى فاس وقد استولى على سائر أعمال المغرب وظفر بعده ودفع النازعين عن ملكه والله غالب على أمره.

ذكر الشاوية وبيان نسبهم وأولياتهم وشرح لقبهم وتسميتهم

ذكر ابن خلدون أن الشاوية من ولد حسان بن أبي سعيد الصبيحي نسبة إلى صبيح بالتصغير بطن من سويد، وسويد إحدى قبائلبني مالك بن زغبة الهلاليين، وكان دخول حسان وأخيه موسى ابني أبي سعيد إلى المغرب الأقصى أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمة الله، قدموا في صحبة عبد الله بن كندوز العبد الوادي ثم الكمي، وكان عبد الله هذا قد نزع عن يغمراسن بن زيان إلى السلطان يعقوب المذكور فقدم عليه قبل فتح مراكش، فاهتزت السلطان يعقوب لقدومه وأحله بالمكان الرفيع من دولته وأنزل قومه بجهات مراكش وأقطعهم البلاد التي كفتهم مهماته وجعل انتجاج إيله ورواحله وسائر ظهره في إحياءهم، فقدم عبد الله بن كندوز على رعايتها حسان وأخاه موسى الصبيحيين وكانتا عارفين برعاية الإبل والقيام عليها فأقاموا يتقلبون في تلك البلاد ويتعدون في نجعاتها إلى أرض سوس، وكانت ماشية السلطان يعقوب متفرقة في سائر المغرب فجمعها العبد الله بن كندوز، وجمعها عبد الله لحسان الصبيحي المذكور، فكان حسان يباشر أمور السلطان في شأن تلك الماشية ويطالعه بمهماته فحصلت له مداخلة معه جلبت إليه العحظ حتى ارتفع قدره، ونشأ بنوه في ظل الدولة وعزها وتصرفاً في الولايات منها وانفردوا بخطة الشاوية فلم تزل ولايتها متواترة فيهم منقسمة بينهم لهذا العهد إلى ما كانوا يتصرفون فيه من غير ذلك من الولايات، وكان لحسان من الولد علي ويعقوب وطلحة وغيرهم، ومن حسان هذا تفرعت شعوبهم في ولده.

قال ابن خلدون: «وهم لهذا العهد يتصرفون في الدولة على ما كان لسلفهم من ولاية الشاوية والنظر في رواحل السلطان والظاهر الذي يحمل من الإبل ولهم عدد وكثرة ونباهة في الدولة» اهـ. قلت: ولفظ الشاوية نسبة إلى الشاء التي هي جماعة الغنم مثلاً قال الصحاح: «والنسبة إلى الشاء شاوي قال الراجز:

لا ينفع الشاوي فيها شاته ولا حماراه ولا علاته

وإن سمي به رجالاً قلت شائي وإن شت شاوي» اهـ.

واعلم أن الشاوية اليوم يطلقون على سكان تامسنا من قبائل شتى بعضها عرب وبعضها زناتة وبربر غير أن لسان الجميع عربي، وكان أصل جمهورهم من هؤلاء الذين ذكر ابن خلدون، ثم انضافت إليهم قبائل آخر، واختلطوا بهم فأطلق على الجميع شاوية تغليباً، وهكذا وقع في سائر عرب المغرب الأقصى المواطنين بتلوله فإنهم وقع فيهم اختلاط كبير حتى نسوا أنسابهم وأصولهم الأولى إلا في النادر، وذلك بسبب تعاقب الأعصار وتناسخ الأجيال وتواتي المجاعات والاحتجاجات ووقعات الملوك بهم في كثير من الأحيان وتفرق بعضهم من بعض ونقل بعضهم إلى بلاد بعض، ومع ذلك فأسماوهم الأولى لا زالت قائمة فيهم لن تتغير إلى الآن فمنها يهتدى الفطن إلى التنوير عن أنسابهم وإلتحق فروعهم بأصولهم متى احتاج إلى ذلك. والله تعالى أعلم.

نهوض السلطان أبي العباس إلى تلمسان وفتحها وتخربيها

لما نهض السلطان أبو العباس إلى مراكش وحاصر بها عبد الرحمن بن أبي يفلوسن خالقه إلى المغرب أبو حمو بن يوسف الزياني في جمع من أولاد حسين عرب معقل وذلك بإغراء عبد الرحمن المذكور، فدخلوا إلى أحواز مكناسة وعاثوا فيها ثم عمدوا إلى مدينة تازا فحاصروها سبعاً وخرموا قصر الملك هناك ومسجده المعروف بقصر تازروت وبينما هم على ذلك بلغهم الخبر اليقين بفتح مراكش وقتل الأمير عبد الرحمن فأجلفوا من كل ناحية ومر أبو حمو في طريقه إلى تلمسان بقصر ون Zimmerman بن عريف السويدي في نواحي بطوطية المسمى بمرادة فهدمه.

ووصل السلطان أبو العباس إلى فاس فأراح بها أياماً ثم أجمع النهوض إلى تلمسان فانتهى إلى تاوريرت، وبلغ الخبر إلى أبي حمو فاضطر رأيه

واعترض على الحصار وجمع أهل البلد عليه فاستعدوا له، ثم بدا له فخرج في بعض تلك الليالي بولده وأهله وخاصته وأصبح مخيناً بالصفيفصف فأهرع أهل البلد إليه بعيالهم وأولادهم متعلقين به تفاديًّا من معرة هجوم العسكر عليهم فلم يزعه ذلك عن قصده، وارتاح ذاهبًا إلى البطحاء، ثم قصد بلاد مغراوة فنزل فيبني بو سعيد قريباً من شلف وأنزل أولاده الأصغراء وأهله بحصن تاجحوموت وجاء السلطان أبو العباس إلى تلمسان فملكتها واستقر بها أيامًا ثم هدم أسوارها وقصور الملك بها بإغراء وليه ون Zimmerman جزاء بما فعله أبو حمو في تخريب قصر تازروت وحصن مرادة، ثم خرج من تلمسان في اتباع أبي حمو ونزل على مرحلة منها وهنالك بلغه الخبر بإجازة موسى بن أبي عنان من الأندلس إلى المغرب، وأنه خالفه إلى دار الملك فانكفأ راجعاً عوده على بدئه ورجع أبو حمو إلى تلمسان فاستقر ملوكه بها إلى أن كان ما ذكره إن شاء الله.

خلع السلطان أبي العباس بن أبي سالم وتغريبه إلى الأندلس والسبب في ذلك

قد قدمنا ما كان من تحكم ابن الأحمر في مملكة المغرب ودالته على السلطان أبي العباس بما أنه كان السبب في ولاته وبما تحت يده من القرابة المرشحين الذين أرصدتهم للتشغيب على دار الملك بالمغرب متى رأى من أحدهم ما لا يوافق هواه، وكان مع كثرة تحكمه فيه يتمنى عليهم في بعض الأوقات بما يأتونه من تقصير في شفاعة أو مخالفة في أمر لا يجدون عنها محيصاً فيضطغرن ذلك عليهم، وكان يعتد على السلطان أبي العباس بشيء من هذه الهنات.

فلما نهض إلى تلمسان واستولى عليها سنة خمس وثمانين وسبعمائة اتصل بابن الأحمر أن دار الملك بفاس قد بقيت عورة من الجندي والحرامية فانتهز الفرصة وياذر بتسریع موسى ابن السلطان أبي عنان إلى المغرب

واستوزر له مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي رئيس الفتنة وقطب رحاما، وكان عنده بالأندلس بعد مفارقة عبد الرحمن بن أبي يفلوشن، فنزل موسى ابن أبي عنان سبتة فاستولى عليها وسلمها لابن الأحمر فدخلت في طاعته، ثم تقدم إلى فاس فدخلها من يومه واستقر قدمه بها.

وأتصل الخبر بالسلطان أبي العباس وهو بتلمسان فجاء مبادراً ونزل بتازا فأقام بها أربعاً ثم تقدم إلى الموضع المعروف بالركن فانتقض عليه رؤساء جيشه وتسللوا إلى موسى طوائف وأفراداً ولما رأى ما نزل به رجع إلى تازا بعد أن انتهب معسكره وأضرمت النار في خيامه وذلك يوم الأحد الموافق ثلاثة من ربيع الأول سنة ست وثمانين وسبعمائة.

ثم بعث موسى بن أبي عنان من أتاه بالسلطان أبي العباس في الأمان فقدم عليه وقيده وبعث به إلى ابن الأحمر فبقي عنده محاطاً عليه إلى أن كان من أمره ما ذكره إن شاء الله.

وكانت دولته هذه عشر سنين وشهرين وأربعة وعشرين يوماً، ومن وزرائه في هذه الدولة: محمد بن عثمان بن الكاس المجدولي ومن كتابه: عبد المهيمن ابن أبي سعيد بن عبد المهيمن الحضرمي تحمد الله الجميع برحمته.

الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي فارس موسى ابن أبي عنان بن أبي الحسن

أمها: مولدة اسمها تاملالت، صفتها: أسمراً مائل إلى السواد قصير القامة جاحظ العينين عظيم اللحية تماماً صدره قائم الأنف وإذا تكلم يملأ لسانه فمه فيخرج من بين شفتيه ويتحرك فيقبع كلامه، بويع يوم الخميس الموافق عشرين من شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين وسبعمائة وقام بأمر دولته وزيره مسعود بن ماساي مستبداً عليه، ولما استقر أمره بالحضرمة وجه إليه ابن الأحمر أمها وعياله وكانوا عنده وهناء وزيره أبو عبد الله بن زمرك بتوضيح يقول في مطلعه:

قد نظم الشمل أتم انتظام
ولاحت الأقمار بعد المغيب
و Paxاحلك الروضن ثغور الغمام عن مبسم الزهر البرود الشيب
إلى أن قال في آخره:

قد نظم الشمل كنظم السعد	مولاي بهنيك وحق الها
وأنجز السعد جميع الوعود	قد فزت بالفخر ونيل المدى
وكلما مر صنيع يعود	وقرت العين وزال العنا
يحوز في التخليد أوفي نصيب	ولم يزل ملك حلف الدوام
نصر من الله وفتح قريب	يتلو عليك الدهر بعد السلام

خروج الحسن بن الناصر بغمارة ونهوض الوزير ابن ماساي إليه

كان الحسن بن الناصر بن أبي علي بن أبي سعيد قد لحق من مقره بالأندلس بحضورة تونس في سبيل طلب الملك، وكان الوزير مسعود بن ماساي قد قتل محمد بن عثمان بن الكاس وافتقرت حاشيته في الجهات فطلبوا بطن الأرض دون ظهرها، وليحق منهم ابن أخيه العباس بن المقداد بتونس فعثر على الحسن بن الناصر بها فثار له رأي في الرجوع به إلى المغرب لطلب الأمر، فخرج به من تونس وقطع المفاوز إلى أن انتهى إلى جبال غمارة ونزل على أهل الصفيحة منهم فأكرموا مثواه ومنقلبه وأعلناوا بالقيام بدعوته، واستوزر العباس بن المقداد.

وبلغ الخبر إلى مسعود الوزير فجهز العساكر مع أخيه مهدي بن عبد الرحمن بن ماساي فحاصره بجبل الصحيفة أيامًا فامتنع عليه فنهض إليه مسعود بنفسه على ما ذكره.

وفاة السلطان موسى بن أبي عنان رحمه الله

لما كان من استبداد ابن ماساي على السلطان موسى ما قدمته استنكاف من ذلك وداخل بطانته في الفتوك به فتـما ذلك إليه وحصلت له نفـة من السلطان طلب لأجلها بعد عنه وبادر إلى الخروج لدافعـة الحسن بن الناصر القائم بـغمـارة، واستـختلف على دار الملك أخاه يعيش بن عبد الرحمن بن ماسـاي، فـلما انتـهي إلى قصر كـتابـة بلـغـهـ الخبرـ بـوفـاةـ السـلـطـانـ مـوسـىـ،ـ وـكـانـ وـفـاتـهـ فـيـ جـمـادـيـ الـآـخـرـةـ طـرـقـهـ المـرـضـ فـهـلـكـ ليـومـ وـلـيـلةـ مـنـ مـرـضـهـ،ـ وـكـانـ النـاسـ يـرـمـونـ يـعـيشـ أـخـاـ الـوـزـيرـ بـأـنـهـ سـمـهـ،ـ قـالـهـ اـبـنـ خـلـدونـ.

وقـالـ اـبـنـ القـاضـيـ فـيـ الجـذـوةـ:ـ «ـتـوـفـيـ السـلـطـانـ مـوسـىـ بـنـ أـبـيـ عـنـانـ مـسـمـوـاـ يـوـمـ الـجـمـعـةـ الـثـالـثـ مـنـ شـهـرـ رـمـضـانـ سـنـةـ ثـمـانـ وـثـمـانـيـنـ وـسـبـعـمـائـةـ وـلـهـ إـحـدـىـ وـثـلـاثـونـ سـنـةـ فـكـانـ دـوـلـتـهـ سـتـيـنـ وـأـرـبـعـةـ أـشـهـرـ وـوـلـيـ بـعـدـهـ مـحـمـدـ بـنـ أـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ سـالـمـ»ـ اـهـ.

وـمـنـ كـتـابـهـ:ـ أـبـوـ الفـضـلـ مـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ عـمـرـوـ التـمـيمـيـ وـأـبـوـ القـاسـمـ مـحـمـدـ بـنـ سـوـدـةـ الـمـرـيـ،ـ وـمـنـ قـصـانـهـ:ـ أـبـوـ عـبـدـ اللـهـ مـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ الـمـغـيلـيـ وـالـلـهـ تـعـالـىـ أـعـلـمـ.

الـخـبـرـ عـنـ دـوـلـةـ الـمـنـتـصـرـ باـهـ السـلـطـانـ أـبـيـ زـيـانـ مـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ عـبـاسـ اـبـنـ أـبـيـ سـالـمـ بـنـ أـبـيـ الـحـسـنـ

أمـهـ:ـ حـرـةـ وـهـيـ رـقـيـةـ بـنـتـ السـلـطـانـ أـبـيـ عـنـانـ،ـ صـفـتـهـ:ـ أـبـيـضـ الـلـوـنـ قـائـمـ الـأـنـفـ أـسـيـلـ الـخـدـيـنـ،ـ بـوـيـعـ بـعـدـ خـالـهـ مـوـسـىـ بـنـ أـبـيـ عـنـانـ يـوـمـ الـجـمـعـةـ الـثـالـثـ مـنـ شـهـرـ رـمـضـانـ سـنـةـ ثـمـانـ وـثـمـانـيـنـ وـسـبـعـمـائـةـ،ـ وـسـنـهـ يـوـمـ بـوـيـعـ خـمـسـ سـنـينـ وـخـلـعـ يـوـمـ الـجـمـعـةـ الـخـامـسـ عـشـرـ مـنـ شـوـالـ مـنـ السـنـةـ الـمـذـكـورـةـ وـغـرـبـ إـلـىـ الـأـنـدـلـسـ مـعـ أـبـيـهـ فـكـانـ دـوـلـتـهـ ثـلـاثـةـ وـأـرـبـعـينـ يـوـمـاـ تـحـتـ اـسـتـبـداـدـ الـوـزـيرـ مـسـعـودـ عـفـاـ اللـهـ عـنـهـ.

الخبر عن دولة السلطان الواثق بالله أبي زيان محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن

أمه: أم ولد اسمها عسيلة، صفتها: أسود اللون عظيم الخلق رحب الوجه طويل القامة والساقين ممتليء الأنف عظيم الساعدين، وكان قبل ولادته عند ابن الأحمر بالأندلس في جملة القرابة ولما استوحش الوزير مسعود من السلطان موسى بن أبي عنان بعث ابنه يحيى إلى ابن الأحمر يسأل منه إعادة السلطان أبي العباس إلى ملكه فأخرجه ابن الأحمر من الاعتقال وجاء به إلى جبل الفتح يروم إجازته إلى العدوة، فلما توفي السلطان موسى بدا للوزير مسعود في أمره ودس لابن الأحمر في رده وأن يبعث إليه بالواثق هذا ورأه أليق بالاستبداد والحجر فأسعفه ابن الأحمر في ذلك ورد السلطان أحمد إلى مكانه بالحمراء وجيء بالواثق فحضر بجبل الفتح عنده فأجازه إلى سبطة، واتفق أن جماعة من الحاشية انتقضوا على الوزير مسعود ولحقوا بسبطة فقدم عليهم الواثق بها ورجعوا به إلى المغرب وتقلدوا في نواحيه إلى أن وصلوا إلى جبل مغيلة قرب فاس، فبرز الوزير مسعود في العساكر ونزل قبالتهم وقاتلهم هنالك أياماً ثم وقع الاتفاق على أن يبايع مسعود للواثق بشرط الاستبداد فتم العقد على ذلك.

قال في «الجذوة»: بطبع السلطان الواثق بالله أبو زيان محمد بن أبي الفضل يوم الجمعة الخامس عشر من شوال سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وقام بأمره الوزير مسعود بن ماساي، ثم حدثت الفتنة بين الوزير المذكور وأبن الأحمر بسبب أن الوزير طلب منه إعادة سبطة إلى الإيالة المرinية وكان موسى ابن أبي عنان قد نزل له عنها كما مر وكان طلبه على سبيل الملاطفة فاستشاط ابن الأحمر غصباً وأساء الرد فجهز ابن ماساي العساكر لمحاربة سبطة مع العباس بن عمر بن عثمان الوستاني ويحيى بن علال بن آصمود والرئيس محمد بن أحمد الأبكم من بني الأحمر فاستولى عليها،

ثم سرح ابن الأحمر السلطان أبي العباس من اعتقاله ويعثه إلى المغرب لطلب ملكه وللتخفيف على ابن ماساي الجاحد لإحسانه، فعبر السلطان أبو العباس البحر إلى المغرب فاحتل سبتة واستولى عليها، ثم تقدم إلى فاس فحاصرها وضيق على ابن ماساي وسلطانه الواثق بالله، وأهرب الناس إلى الدخول في طاعته حتى من مراكش، فاستمر الحصار على فاس الجديد ثلاثة أشهر، ثم أذعن الوزير مسعود للطاعة على شرط أن يبقى وزيرًا ويغرب سلطانه إلى الأندلس فأجيب وخلع الواثق بالله، ثم خرج إلى السلطان أبي العباس فبادره وتقدم أمامه فدخل داخل ملكه يوم الخميس الخامس رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمائة، ولحين دخوله قبض على الواثق بالله فقيده ويعث به إلى طنجة فقتل بها بعد ذلك وسنة يوم قتل ثمان وثلاثون سنة وبها قبر.

ومن وزرائه: يعيش بن علي بن فارس الياباني ومسعود بن رحو بن ماساي، ومن كتابه: منصور بن أحمد بن محمد التميمي، وأبو يحيى محمد ابن محمد بن أبي القاسم بن أبي مدین، ومن قضاته: أبو يحيى محمد بن محمد السكاك رحمهم الله تعالى بمنه.

الخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبي العباس بن أبي سالم بن أبي الحسن

لما دخل السلطان أبو العباس حضرة فاس الجديد في التاريخ المتقدم بريئ البيعة العامة في اليوم الثالث من دخوله وهو يوم السبت السابع من رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمائة لمضي ثلاث سنين وخمسة أشهر وستة أيام من خلعته.

ولما ملك أمر نفسه قبض على الوزير ابن ماساي وعلى إخوته وحاشيته وأمتحنهم امتحاناً يليغاً فهلكوا من العذاب، ثم سلط على مسعود من العذاب

والانتقام ما لا يعبر عنه واعتد عليه بما كان يفعله في دوربني مرين النازعين عنه إليه، فإنه كان متى هرب منهم أحد عمد إلى بيته فتهبها فأمر السلطان أبو العباس بعقابه في أطلالها فكان يؤتى به إلى كل بيت فيها فيضرب عشرين سوطاً إلى أن يرجم به العذاب وتجاوز الحد، ثم أمر به فقطعت أربعة فهلك عند قطع الثانية وذهب مثلاً للآخرين.

ظهور محمد بن عبد الحليم بن أبي علي بسجلماسة ثم اضمحلاله بعد ذلك

قد قدمنا أن الأمير عبد الحليم بن أبي سعيد كان تغلب على سجلماسة ثم غلبه عليها أخيه عبد المؤمن، وسافر عبد الحليم إلى المشرق فهلك في سفرته تلك، وكان قد ترك ابنه محمداً هذا رضيعاً فشب متقلباً بين الدول من ملك إلى آخر على أن أكثر مقامه إنما كان عند أبي حمو صاحب تلمسان، ولما حاصر السلطان أبو العباس فاس الجديد كان محمد هذا عند العرب الأحلاف، فلما اشتد الحصار على مسعود بن ماساي دس إلى الأحلاف أن ينصبوا محمد بن عبد الحليم للأمر ويجلبوا به على المغرب ليأخذ بحجزة السلطان أبي العباس عنه ففعلوا ودخل محمد بن عبد الحليم سجلماسة فملكتها حتى إذا استولى السلطان أبو العباس على فاس الجديد وأوقع بمسعود ابن ماساي وإخوته خرج محمد بن عبد الحليم عن سجلماسة ولحق بأحياء العرب فسارت طائفة منهم معه إلى أن أبلغوه مأنه ونزل على أبي حمو بتلمسان إلى أن هلك فesar إلى تونس ونزل على صاحبها أبي العباس الحفصي، ثم ارتحل بعد وفاته إلى المشرق لحج الفريضة والله تعالى أعلم.

نوبة الكاتب ابن أبي عمرو وحركات بن حسون ومقتلهم

كان محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي، وقد تقدم ذكر والده، في دولة السلطان أبي عنان كاتباً عند السلطان أبي العباس في دولته الأولى، فلما خلع وللي موسى بن أبي عنان تقرب إليه بسالف المخالصة لأبيه من أبي عنان فقد كان أعز بطانته كما مر، فاستخلصه السلطان موسى للشوري ورفع منزلته على منازل أهل الدولة وجعل إليه كتابة علامته على المراسيم السلطانية كما كان لأبيه، وكان يفاوضه في مهماته ويرجع إليه في أمره حتى غص به أهل الدولة وسعى هو عند السلطان موسى في جماعة من بطانة السلطان أبي العباس فأتى عليهم النكال والقتل لكلمات كانت تجري بينهم وبينه في مجالس المنادمة عند السلطان أبي العباس حقداً عليها، فلما ظفر بالحظ من السلطان موسى سعى بهم عنده فقتلهم، وكان القاضي أبو إسحاق إبراهيم اليزناسي من بطانة السلطان أبي العباس وكان يحضر مع ندائه فيجدد عليه ابن أبي عمرو وأغرى به السلطان موسى فضريبه وأطافه، وجاء بها شناعة غريبة في التبيح، ثم سفر ابن أبي عمرو عن سلطانه موسى إلى الأندلس فكان يمر ب مجلس السلطان أبي العباس من محل اعتقاله فلا يلم به وربما يلقاه فلا يحييه ولا يوجب له حقّاً، فاحفظ ذلك السلطان أبي العباس فلما رد الله عليه ملكه وفرغ من ابن ماساي قبض على ابن أبي عمرو هذا وأودعه السجن ثم امتحنه بعد ذلك إلى أن هلك تحت السيناط وحمل إلى داره، وبينما أهله يحضرونها إلى قبره إذا بالسلطان قد أمر بأن يسحب في نواحي المدينة إيلاغاً في النكال فحمل من نعشة وقد ربط في رجله حبل وسحب في سكك المدينة ثم ألقى على بعض المزابيل.

ثم قبض السلطان على حركات بن حسون شيخ العرب وكان مجلباً في الفتنة، وكان العرب المخالفون من معقل لما أجاز السلطان أبو العباس إلى

سبتة وحركات هذا بتادلا ، راودوه على طاعة السلطان فامتنع أولاً ثم أكرهوه وجاؤوا به إلى السلطان فطوى على ذلك حتى إذا استقام أمره وملك حضرة فاس الجديد قبض عليه وامتحنه إلى أن هلك . وإلى الله عاقبة الأمور .

أخبار تلمسان واستيلاء السلطان أبي العباس عليها

كان السلطان أبو حمو بن يوسف الزياني قد عاد إلى تلمسان وثبت قدمه بها كما قلنا إلى أن خرج عليه ابنه أبو تاشفين آخر سنة ثمان وثمانين وسبعمائة فوّقعت بينهما حروب وشّرق أبوه بداره ، ثم عادت له الكراة عليه في أخبار طويلة ، فاستمد أبو تاشفين السلطان أبي العباس فأمده بابنه الأمير أبي فارس ووزيره محمد بن يوسف بن علال عقد لهما على جيش كثيف منبني مرين وغيرهم ، فانتصر أبو تاشفين على أخيه فقتله وبعث برأسه إلى السلطان أبي العباس ، ثم تقدم فدخل تلمسان آخر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة واستمر بها مقيماً لدعوة السلطان أبي العباس فكان يخطب له على منابر تلمسان وبعث إليه بالضربيّة كل سنة كما شرط على نفسه عند توجيه العساكر معه واستمر على ذلك إلى أن مات سنة خمس وتسعين وسبعمائة^(١) ، فتغلب على تلمسان أخيه يوسف بن أبي حمو .

ولما اتصل الخبر بالسلطان أبي العباس خرج من الحضرة إلى تازا ومن

(١) وكان نازعاً أخيه أبو زيان بن أبي حمو صاحب الجزائر وزحف إليه مراراً فلم يغُن شيئاً ثم وفَدَ على السلطان أبي العباس متظاهراً عليه على الانتصاف من أخيه فاقام عنها مدة ثم أسعفه وجهز معه عسكراً إلى تلمسان متتصف سنة 795 فانتهى إلى تازا وهناك اتصل به خبر وفاة أبي تاشفين وحيثند خرج السلطان أبو العباس من قاس انظر «كشف العرين» المؤلف .

هناك بعث ابنه الأمير أبي فارس في العساكر إلى تلمسان فاستولى عليها وأقام فيها دعوة والده وفر يوسف بن أبي حمو إلى بعض الحصون فاعتضم به إلى أن كان ما ذكره

وصول هدية صاحب مصر السلطان الظاهر برررقق إلى السلطان أبي العباس بتازا والسبب في ذلك

كان العلامة الرئيس ولی الدين ابن خلدون قد استوطن في آخر عمره مصر القاهرة ونزل من سلطانها بالمنزلة الرفيعة قال رحمة الله: «وكان يوسف ابن علي بن غانم أمير أولاد حسين من معلم ثم من أولاد جرار منهم قد حج سنة ثلاث وسبعين وسبعين، واتصل بصاحب مصر الملك الظاهر برررقق أول ملوك الجراكسة من الترك قال: فتقدمت إلى السلطان المذكور فيه وأخبرته بمحله من قومه فأكرمه تلقيه وحمله بعد قضاء حجه هدية إلى صاحب المغرب يطرفة فيها بتحف من بضائع بلده على عادة الملوك، فلما قدم يوسف بها على السلطان أبي العباس أعظم موقعها وجلس في مجلس حفل لعرضها والمباهلة بها وشرع في المكافأة عليها بمتخير الجياد والبضائع والثياب حتى إذا استكمل من ذلك ما رضيه وعزم على بعثها مع يوسف بن علي حاملها الأول وإنه يبعثه بها من موضع مقامه بتازا احترمه المنية دون ذلك.

وفاة السلطان أبي العباس بن أبي سالم رحمه الله

كانت وفاة السلطان أبي العباس بمحل مقامه من تازا وهو يشارف أحوال ابنه أبي فارس ووزيره صالح بن حمو الياباني وكان قد قدمهما لفتح تلمسان والبلاد الشرقية فأصاباه حمامه هنالك ليلة الخميس السابع من محرم فاتح سنة ست وتعين وسبعين وسبعمائة وحمل إلى فاس فدفن بالقلعة وسنّه يومئذ تسع وثلاثون سنة فكانت دولته الثانية ست سنين وأربعة أشهر، ومن وزرائه في هذه الدولة: صالح بن حمو الياباني ومحمد بن يوسف بن علال الصنهاجي، ومن حجاجه: أبو العباس أحمد بن علي القبائلي، ومن كتابه: الشريف أبو القاسم محمد بن عبد الله الحسني السبتي، والقائد محمد بن موسى بن محمود الكردي، ويحيى بن الحسن بن أبي دلامة التسولي، ومن قضاته: القاضي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم اليزناسي: قال في «الجذوة»: وكان السلطان أبو العباس شاعراً مفلقاً بداع التشيه فمن نظمه قوله:

«أما الهوى يا صاحبي فألقته وعهده من عهد أيام الصبا
ورأيته قوت النفوس وحلوها فتختذه ديناً إلى مذهبها
ولبست دون الناس منه حلة كان الوفاء لها طرزاً مذهبها
لكن رأيت له الفراق منفصلاً لا بفارقنا لا مرحباً»

ومن أخبار السلطان أبي العباس ما حكاه في «فتح الطيب»: «أن الأديب الكاتب أبي الحسن علي ابن الوزير لسان الدين ابن الخطيب كان مصاحباً للسلطان أبي العباس هذا، فحضر معه ذات يوم في بستان سع فيه ماء المذاكرة الهتان وقد أبدى الأصيل شواهد الأصفرار وأزمع النهار لما قدم الليل على الفرار فقال السلطان أبو العباس لما لان جانبه وسألت بين سرحات البستان جداوله ومذاته:

يا فاس أبي وأيم الله ذو شغف بكل ربع به مغناه يسببني
وقد أنسنت بقربك منك يا آملي ونظرة فيكم بالأنس تحيني

فأجابه أبو الحسن ابن الخطيب بقوله المصيب:
 لا ألوحن الله ربيعاً أنت زائره يا بهجة الملك والدنيا مع الدين
 يا أحمد الحمد أباقاك الإله لنا فخر الملوك وسلطان السلاطين
 ومن أخباره أيضاً: أن كاتبه أبي زكرياء يحيى بن أحمد بن عبد المنان
 دخل عليه عشاء فقال له: «أنعم الله صباح مولانا» فأنكر السلطان ذلك وظن
 أنه ثعلب ففضلن أبو زكرياء لما صدر منه وتدارك ذلك فأنشد مرتجلاً⁽¹⁾:
 صبحته عند المساء فقال لي ماذا الكلام وظن ذاك مزاحا
 فأجبته إشراق وجهك غرني حتى توهمت المساء صباحا

الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله أبي فارس
عبد العزيز ابن أبي العباس بن أبي سالم رحمة الله
 من الاتفاق الغريب: أن سلطان فاس والمغرب في هذا التاريخ كان اسمه
 عبد العزيز بن أحمد، وسلطان تونس وإفريقية كان اسمه أيضاً عبد العزيز بن
 أحمد، وكانت ولايتهما في سنة واحدة إلا أن مدة الحفصي طالت جداً.
 أم هذا السلطان: أم ولد اسمها جوهر، صفتها: شاب السن ربيعة من
 القوم أدعع العينين جميل الوجه.

لما توفي السلطان أبو العباس بن أبي سالم رحمة الله بتازا كان ابنه أبو
 فارس هنا بتلمسان فاستدعاه رجال الدولة منها فقدم عليهم بتازا وبايعوه بها
 يوم السبت التاسع من محرم سنة ست وتسعين وسبعمائة، ولما تم أمره
 أطلق أبي زيان بن أبي حمو الزياني وكان معتقداً عنده بفاس لاتجاته إلى أبيه
 من قبل في خبر ليس تفصيله من غرضنا، وبعثه إلى تلمسان أميراً عليها من
 قبله، فسار إليها أبو زيان وملكتها وأقام فيها دعوة السلطان أبي فارس، ثم

(1) إنما تمثل بهما.

خرج عليه أخوه يوسف بن أبي حمو واتصل بأحياء بنى عامر بن زغبة وعزم على الإجلاب عليه بهم فسرب أبو زيان فيهم الأموال فقتلوه وبعثوا إليه برأسه فسكنت أحوال تلمسان وذهب الفتنة بذهاب يوسف واستقامت أمور دولة السلطان أبي فارس قاله ابن خلدون، وهو آخر ما ورخه عن دولة المغرب.

واعلم أن ما نسقه بعد هذا من الأخبار عن هذه الدولة المرinية لم يسمح لنا الوقت بال الوقوف عليه في تأليف يخصها أو موضوع يقص أخبارها نسقاً وينصها، وإنما تتبعنا ما ثبتناه من ذلك في موضع ذكرت فيها بحسب التبع لا بالقصد الأول وعلى الله تعالى في الهدایة إلى الصواب المعمول.

بقية أخبار السلطان عبد العزيز ووفاته

قالوا: كان السلطان عبد العزيز بن أبي العباس رحمه الله كثير الشفقة رقيق القلب منقبضاً عن الغدر متوقفاً في سفك الدماء وكان فارساً عارفاً برفض الخيل ويحسن قرض الشعر ويحب سماعه فمن نظمه، وقد نزل المطر، يشكراً الله تعالى عليه، قوله:

الله يلطف بالعباد فواجب	أن يشكروا في كل حال نعمته
فهو الذي فيهم ينزل غيثه	من بعد ما قنطوا وينشر رحمته

توفي رحمه الله يوم السبت ثامن صفر سنة تسع وتسعين وسبعمائة ودفن مع أبيه بالقلة فكانت دولته ثلاثة سنين وشهراً ومن وزرائه: صالح بن حمو الياباني ويحيى بن علال بن آمصمود الهسكوني ومن كتابه: يحيى بن الحسن ابن أبي دلامة ومن قضااته: عبد الحليم بن أبي إسحاق اليزناسني رحمهم الله تعالى بمنه.

الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله أبي العباس بن أبي سالم رحمة الله تعالى

هذا السلطان شقيق الذي قبله، أمه: الجوهر المتقدمة. صفتة: أدعج العينين حسن الأنف لامي العذار. يو碧ع بعد أخيه عبد العزيز يوم السبت الثامن من صفر سنة تسع وتسعين وسبعمائة، وكان التصرف والنقض والإبرام في هذه المدة كلها للوزراء وتوفي السلطان المذكور بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء الموافق ثلاثة من جمادي الآخرة سنة ثمانمائة، فكانت دولة سنة وخمسة أشهر سوى أيام، ومن وزرائه: صالح بن حمو ويحيى بن علال، ومن قضايه: عبد الرحيم البزناسني، ومن حجاجه: أبو العباس أحمد بن علي القبائلي وفارح بن مهدي العلچ والله تعالى أعلم.

وأما أخبار العني بالله ابن الأحمر بالأندلس فإنه كان أسقط رياسته الجهاد منبني مرين بها ومحا رسماها من مملكته أيام أجاز عبد الرحمن بن أبي يفلوسن للتشغيب على أبي بكر بن غازي بن الكاس حسبما تقدم. وصار أمر الغزاة والمجاهدين إليه وياشر أحوالهم بنفسه واستمر الحال على ذلك إلى أن هلك سنة ثلاثة وتسعين وسبعمائة، فولي مكانه ابنه أبو الحجاج يوسف وبابيعه الناس وقام بأمره خالد مولى أبيه وتقبض على إخوته: سعد ومحمد ونصر فكان آخر العهد بهم ولم يوقف لهم بعد على خبر، ثم سعى عنده في خالد القائم بدولته وأنه أعد السم لقتله وأن يحيى بن الصائغ اليهودي طبيب دارهم قد دخله في ذلك ففتك بخالد وتناوشته السيف بين يديه لسنة أو نحوها من ملكه، ثم حبس الطبيب المذكور فذبح في محبسه، ثم هلك ستة أربع وتسعين وسبعمائة لستين أو نحوها من ولاته.

وقد وقفت لبعض الإسبانيين، واسمها: منويل باولو القشتيلي، على كتاب موضوع في أخبار المغرب الأقصى فنقلت منه بعض أخبار لم أجدها إلا عنده وهو وإن كان ينقل الغث والسمين والرخيص والثمين إلا أن الناقد

البصیر یمیز حصباء من دوه ویفرق بین حشفه وثمره، فمن ذلك أنه حکى عن السلطان أبي الحجاج المذکور ما صورته قال: «کانت مراسلات السلطان المرینی، يعني السلطان أبا العباس مع السلطان یوسف بن الغنی بالله صاحب غرناطة حسنة في الظاهر تدل على الموافقة والمحبة وكان المرینی في الباطن یحب الاستیلاء على مملکة غرناطة ولما لم یمکته ذلك بالسیف عدل إلى أعمال الحيلة فأهدی إلى السلطان أبي الحجاج کسی رفیعة أحدها مسمومة فلبسها فهلك لحيته ومع ذلك فلم یدرك المرینی غرضه فإنه لم یلیث إلا یسیراً حتى توفی أيضاً» اهـ. ولما توفی أبو الحجاج بوبیع ابنه محمد بن یوسف وقام بأمره القائد أبو عبد الله محمد الخاصی من صنائع أبيه، قال ابن خلدون: «والحال على ذلك لهذا العهد» ولنذكر ما كان في هذه المدة من الأحداث:

ففي ستة خمسين وسبعمائة كان الوباء الذي عم المسكونة شرقاً وغرباً على ما نهانا عليه فيما مضى.

وفي سنة خمس وستين وسبعمائة توفي الولي الزاهد أبو العباس أحمد ابن عمر بن محمد بن عاشر الأندلسي نزيل سلا العارف المشهور. قال أبو عبد الله بن سعد التلمساني في كتابه: «النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب»: كان ابن عاشر أحد الأولياء الأبدال معدوداً في كبار العلماء مشهوراً بإجابة الدعاء معروفاً بالكرامات مقدماً في صدور الزهاد متقطعاً عن الدنيا وأهلها ولو كانوا من صالح العباد ملازماً للقبور في الخلاء المتصل ببحر مدينة سلا منفرداً عن الخلق لا يفكر في أمر الرزق، وله أخبار جليلة وكرامات عجيبة مشهورة ممن جمع الله له العلم والعمل وألقى عليه القبول من الخلق شديد الهيئة عظيم الورق كثير الخشية طويل التفكير والاعتبار، قصدهه أمير المؤمنين أبو عنان وارتحل إليه سنة سبع وخمسين وسبعمائة فوقة ببابه طويلاً فلم يأذن له وانصرف وقد امتلاً قلبه من حبه وإجلاله ثم عاود

الوقوف ببابه مراراً فما وصل إليه فبعث إليه بعض أولاده بكتاب كتبه إليه يستعطفه لزيارةه ورؤيته فأجابه بما قطع رجاءه منه وأيأسه من لقائه فاشتد حزنه وقال: «هذا ولی من أولياء الله تعالى حبه الله عنا» أهـ. ومناقب الشيخ ابن عاشر وكراماته كثيرة وقد ألف فيها أبو العباس بن عاشر الحافي من علماء سلا كتابه المسمى «بحفة الزائر في مناقب الشيخ ابن عاشر» فاتظره.

وفي سنة ست وسبعين وسبعمائة وهي السنة التي قتل فيها ابن الخطيب كان الجوع بالمغرب قال أبو العباس ابن الخطيب القسنطيني المعروف: بابن قنفدي كتابه «أنس الفقير» ما حاصله: «أنه رجع من هجرته بالمغرب الأقصى في السنة المذكورة إلى بلده قسنطينة فاجتاز في طريقه بتلمسان» قال: وفي هذه السنة كانت المجاعة العظيمة وعم الخراب المغرب فأقمت بتلمسان نحو شهر أنتظر تيسير سلوك الطريق فالتجأت إلى قبر الشيخ أبي مدين ودعوت الله عنه فوقع ما أملته وارتحلت بعد أيام يسيرة فرأيت في الطريق من الخير ما كان يتعجب منه من شاهده، وكان أمر الطريق في الخوف والجوع بحيث أن كل من نقدم عليه يتعجب من وصولنا سالمين، ثم عند ارتحالنا من عنده يتأسف علينا حتى أن منهم من يسمعنا ضرب الأكف خلفنا تحسراً علينا حتى انتهى سفرنا على وفق اختيارنا والحمد لله».

وفي سنة ثمان وسبعين وسبعمائة توفي الشيخ الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمران الفنزاري السلاوي المعروف بابن المجراد صاحب «لامية الجمل» و«شرح الدرر» وغيرهما من التأليف الحسان، قال صاحب «بلغة الأمينة ومقصد البيب» فيمن كان بستة في الدولة المرinية من مدرس وأستاذ وطبيب» في حق الشيخ المذكور: «كان محدثاً حافظاً راوية له معرفة بالرجال والمعازي والسير وكان رجلاً صاحلاً حسن السيرة صادق اللهجة انتفع به الناس وظهرت بركته على كل من عرفه أو لازم مجلسه أو قرأ عليه من صغير أو كبير» قال: «وذلك عندنا معروف بستة

مشهور بين أهلها وانتقل إلى بلده سلا وتوفي بها في السنة المذكورة» قلت: وقبره مشهور بها إلى الآن وعليه قبة صغيرة وهو من مزارات سلا خارج باب المعلقة منها عن يمين الخارج على نحو غلوة وأهل سلا يسمونه سيدى الإمام السلاوى رحمة الله ورضي عنه.

وفي سنة الثنتين وتسعين وسبعين توفي الشيخ العارف المحقق الرباني أبو عبد الله محمد بن إبراهيم النفرizi المعروف بابن عباد شارح (الحكم العطائية) وأحد تلامذة الشيخ ابن عاشر المذكور آنفاً، قال صاحبه وأخوه في الله الشيخ أبو زكرياء السراج في حقه ما نصه: «كان حسن السمت طويل الصمت كثير الوقار والحياء جميل اللقاء حسن الخلق والخلق على الهمة متواضعاً معظمًا عند الخاصة وال العامة، نشا ببلدة رندة على أكمل طهارة وعفاف وصيانة وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، ثم اشتغل بعد بطلب العلوم النحوية والأدبية والأصولية والفروعية حتى رأس فيها وحصل معانيها، ثم أخذ في طريق الصوفية والمباحثة عن الأسرار الإلهية حتى أشير إليه وتكلم في علوم الأحوال والمقامات والعلل والآفات وألف فيها تأليف عجيبة وتصانيف بديعة غريبة، وله أجوبة كبيرة في مسائل العلوم نحو مجلدين، ودرس كتاباً وحفظها كلها أو جلها» إلى أن قال: «ولقي بسلا الشيخ الحاج الصالح السنى الزاهد الورع أحمد بن عاشر وأقام معه ومع أصحابه سنتين عديدة» قال رحمة الله: «قصدتهم لوجдан السلامة معهم»، وتوفي رحمة الله بفاس بعد صلاة العصر من يوم الجمعة ثالث رجب من السنة المذكورة وحضر جنازته السلطان أبو العباس بن أبي سالم فمن دونه وهمت العامة بكسر نعشة تبركاً به رحمة الله ورضي عنه.

ومن فوائد هذه التي نقلها عن شيخه ابن عامر ما ذكره في رسائله قال: «كنت قد ما خرجت في يوم مولد النبي ﷺ صائماً إلى ساحل البحر فوجدت هناك سيدى الحاج أحمد بن عاشر رحمة الله ورضي عنه وجماعة من

أصحابه ومعهم طعام يأكلونه فأرادوا مني الأكل فقلت: إني صائم فنظر إلي سيد الحاج نظرة منكرة وقال لي: «هذا يوم فرح وسرور يستحب في مثله الصوم كالعيد» فتأملت قوله فوجدته حقاً وكأنه أيقظني من النوم» اهـ.

واعلم أنه في آخر هذا القرن الثامن تبدلت أحوال المغرب بل وأحوال المشرق ونسخ الكثير من عوائد الناس وأملاكهم وأزيائهم. قال ابن خلدون في مقدمة تاريخه بعد أن ذكر أن الأحوال العامة للأفاق والأجيال والأعصار هي أنس المؤرخ الذي تبني عليه أكثر مقاصده ما نصه: «وأما لهذا العهد وهو آخر المائة الثامنة فقد انقلب أحوال المغرب الذي نحن شاهدوه وتبدلت بالجملة، واعتراض من أجيال البربر أهله على القدم بمن طرأ فيه من لدن المائة الخامسة من أجيال العرب بما كثروهم وغلبواهم وانتزعوا منهم عامة الأوطان، وشاركونهم فيما يقي من البلدان بملكتهم وبأسهم، هذا إلى ما نزل بالعمران شرقاً وغرباً في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم وذهب بأهل الجيل وطوى كثيراً من محاسن العمran ومحاتها، وجاء للدول على حين هرمها وبلغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وفل من حدتها وأوهن من سلطانها وتداعت إلى التلاشي والاضمحلال أحوالها، وانتقض عمران الأرض بانتقاد البشر فخربت الأمصار والمصانع، ودرست السبل والمعالم، وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن وكأني بالشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبة ومقدار عمرانه، وكأنما نادي لسان الكون في العالم بالخمول والانقضاض فبادر بالإجابة والله وارث الأرض ومن عليها، وإذا تبدلت الأحوال جملة فكأنما تبدل الخلق من أصله وتحول العالم بأسره وكأنه خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث» إلى آخر كلامه رحمة الله، فافهم هذه الجملة وتفطن لأحوال الدول التي سردنا أخبارها فيما مضى وأحوال التي نسرد أخبارها فيما بعد وتأمل الفرق بين ذلك والسبب فيه والله تعالى الموفق للصواب بمنهـ.

الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد عثمان بن أبي العباس ابن أبي سالم

هذا السلطان هو ثالث الإخوة الأشقاء من بني أبي العباس الذين ولوا الأمر من بعده ولاء. أمه: الجواهر أم أخرى قبله. بويغ بعد صلاة العصر له من يوم الثلاثاء الموافق لثلاثين من جمادى الآخرة سنة ثمانمائة وستمائة يوم متذكرة عشرة سنة وكان النقض والإبرام وسائر التصرفات في دولته للوزراء والحجاب والسلطان متفرغ لاستيفاء لذاته، ومن أكبر حجابه: أبو العباس القبائلي الذي نذكر خبره الآن.

حجابة أبي العباس القبائلي ونكتبه ومقتله والسبب في ذلك^(١)

بيت بني القبائلي بيت مشهور في الوزارة والحجابة والكتابة من لدن الدولة الموحدية بمراكم إلى هذا التاريخ، وكان الرئيس الفقيه أبو العباس أحمد بن علي القبائلي كاتباً مشهوراً وحاجباً مذكوراً وكان قد بد الأقران وتتصدر على الأعيان ويبلغ من الجاه ونفوذ الكلمة مبلغاً عظيماً، وكان يحابي بالخطط السلطانية الأقارب والأرحام لا يعدل بها عن سواهم فاضطخت عليه القلوب وكثرت فيه السعيات إلى أن نفذ أمر الله فأوقع به السلطان أبو سعيد وقعة شناء كان من خبرها: أنه كان للحاجب المذكور ولد اسمه عبد الرحمن وكان من فضلاء وقته، وكان لعبد الرحمن هذا ولد اسمه علي وكان من نجفاء الأبناء فكان لجده أبي العباس لذلك ميل إليه ومحبة وافتتان به، فاتفق أن مرض هذا الحافظ ذات يوم فنزل جده أبو العباس من الحضرمة بفاس الجديد لعيادته بدار ولده عبد الرحمن من عدوة القرطبيين من فاس القديم

(١) انظر ترجمة القبائلي هنا في «الضوء اللامع» للسخاري ولا بد، فقد أفاد ج ١ صفحة

وكان الدار بزقة الجيلة من الطالعة فبات الشيخ عند حافده تلك الليلة، وكان منذ ولد خطة الحجابة لم يغب عن دار الملك ليلة واحدة بل كان يأخذ في ذلك بالحزم بحيث يسد أبواب الحضرة ويفتحها ويباشر سائر الأمور السلطانية بنفسه، فلما أراد الله إنفاذ قدره غطى على عقله وبصره فتساهل في تلك الليلة وبعث ولده أبي القاسم ليقوم مقامه في غلق الأبواب وفتحها مع صاحب السقيف ومساهمه في القيام بالأمور السلطانية أبي محمد عبد الله الطريفي الآتي ذكره فغلقاً الأبواب على العادة، ولما كان الصباح من الغد تقدم الولد أبو القاسم لأخذ المفاتيح من دار الخلافة فأخرجت إليه وتولى فتح الأبواب وحله دون أن يحضر الطريفي المشارك له في ولاية السقيف، فلما جاء أبو محمد المذكور ورأى الأبواب مفتوحة بدون حضوره أخذه من ذلك ما قدم وما حدث وأسرها في نفسه حتى إذا كان المساء وحضر الوقت المعهود لغلق الأبواب طلع للحضرة ولد آخر من ولد الحاجب القبائي يعرف بأبي سعيد فبادر أبو محمد فسد الأبواب في وجهه قبل أن يصل إليه وأمسك المفاتيح عنده واستبدل بها فطلب منه أبو سعيد أن يفتح له الباب فتجهمه وامتنع وكأنه أمر دبر بليل، ثم تقدم القائد أبو محمد المذكور إلى السلطان أبي سعيد فاعلمه بما اتفق له مع أولاد الحاجب فأوزع إليه السلطان أن لا يفتح الباب بعد غلقه إلا وقت فتحه المعتمد وزاد في الرصبة بأن لا يفتح ولا يغلق إلا بمحضر السعيد ابن السلطان أبي عامر رحمة الله، ولما رجع أبو سعيد إلى والله بعذوة القرؤين من قاس أعلمته بما اتفق له مع القائد الطريفي فامتلاً غيظاً وقامت قيامته وكانت فيه دالة على السلطان فتخلف عن الحضور ولم يذكر ما قالته الحكماء: (إذا عاديت من يملك فلا تلمه إنه يهلكك)، ثم استعطفه السلطان فأبي أن يعطف ثم بعث إليه ببراءة بخطه ليزيل ما بصدره من الموجدة فكتب الحاجب جوابها، وأقسم أن لا يطاً بساطاً فيه فارح بن مهدي العلوج وكان فارح هذا بعين التجلة من السلطان فلما وقف السلطان أبو سعيد على جواب الحاجب حمى أنفه وأظلمت الدنيا في عينيه وأمر بالإيقاع بالحاجب في الحين فذبح هو وولده عبد الرحمن يوم الخميس الموافق ثلاثة

من شوال سنة اثنين وثمانمائة، وكان عبد الرحمن هذا فاضلاً شاعراً فمن شعره في الغزل قوله:

أتسمع في الهوى قول اللواحي
غزال خلف الصب المعني
وقد قتلت ولا إثم عليها
يقول ولحظه بالعقل يزري
فقلت فنون سحر فيك راقت
جبينك والمقلد والثانيا
وقد أبصرت خشفبني رياح
من الوجه المبرح غير صالح
مراضن جفونه كل الصحاح
علام تطيل وصفي وامتداحي
قضت للقلب بالعشق الصراح
صباح في صباح في صباح

ويقي الحافظ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن المذكور مرتبأ في جملة الكتاب وكان فاضلاً شاعراً أيضاً ولما مرض السلطان أبو سعيد في شعبان سنة سبع وثمانمائة وصح من مرضه وهنأه الشعرا بقصائد كثيرة فكان من جملتهم أبو الحسن المذكور فقال:

هنيئاً لنا ولكل الأئم
إمام أقام رسوم العلا
به قررت العين لما بدا
وهل هو إلا كبدر الدجا
ويظهر طوراً فيجلو به
أو الليث يعكف في غيله
أمولاي عثمان بحر الندى
لقد رفع الله مقداركم
أمولاي عبدك قد ضره
وأضحي كثيبة لإبعادكم
فكن راحماً يا إمام الورى
لعل الذي ناله ينقضى
فأيدك الله بالنصر ما

براحة فخر الملوك الهمام
وحل من المجد أعلى السنام
صحيحأ وما إن به من سقام
يواري قليلاً وراء الغمام
عن الناس يا صاح ساجي الظلام
فتتحذر منه السبع اهتجام
ومردي العداوة ونجل الكرام
فنفسى الفداء لكم من إمام
أفول رضاكم وبعد المرام
مشوقاً لتقبيل ذاك المقام
عطوفاً بمملوتك المستهام
وتشمل منك هبات جسام
ترنم فوق الغصون حمام

حجابة فارح بن مهدي وأوليته وسيرته

قال ابن خلدون: «يا فارح بن مهدي من معلوخي السلطان يعني أبي العباس وأصله من مواليبني زيان ملوك تلمسان» اه. وقال في «الجذوة»: «هو من موالي السلطان أبي سعيد بن أبي العباس». ولا منافاة بين الكلامين والله أعلم. ولما قتل أبو العباس القبائلي ولبي الحجابة من بعده فارح بن مهدي هذا. قال في «الجذوة»: ولم يكن من أهل العلم لكنه كان شيخاً مجرباً للأمور عارفاً مجيداً في التدبير قد أعطى الرياسة حقها والخطط مستحقها وكان ممسكاً عنانه فلا يميل مع نفسه ولا يسحب أرданه ولا يوحش سلطانه موسمًا عند الخلافة بالأمانة ملحوظاً لديها بعين المروءة والصيانة. وكان السلطان أبو سعيد يعني به لأجل كبر سنّه وتربيته الحرّة: آمنة بنت السلطان أبي العباس^(١) كانت تبدي له وجهها في حالٍ صغرها وكبرها فكانت له بذلك مزية لم تكن لغيره. بهذا ذكره التاورتي ولعل فيه تعريضاً بالحاجب قبله. ولما تكلم أبو عبد الله محمد العربي الفاسي في كتابه: «مراة المحسن» على مدينة ثيوجساس وصفها بقوله: «إنها في شرقٍ تطاوين على مسيرة يوم منها في موضعٍ كثير الحجارة والصخر في سفح جبل من غريبها وتحتها من شمالها جرفٌ كثير الصخر عظيمه على مكسر موج البحر ولها نهرٌ نفاعٌ يجلب إليها منه جدول ولها يسيط تركب الجداول من كل جهة فتسقي الزرع والكتان والثمار فأهلها في أمنٍ من القحط» إلى أن قال: «ولم تزل عامرة إلى حدود ثمانمائة فجلاً عنها أهلها بسبب جور فارح بن مهدي الوالي عليها من قبل بني مرين فخلت من سكانها وانتقلوا إلى القبائل وغيرها ولم يزل سورها ماثلاً إلى الآن» اه. قلت: وفي هذه المدة خربت تطاوين القديمة أيضاً فزعم متوبيل في تاريخه: أن قراصين المسلمين من أهل تطاوين وغيرهم

(١) آمنة المربيّة التي ينسب إليها البستان (للمؤلف).

كانت تغير على سواحل أصيانيا وتعتمد مراكبها ولما كانت سنة ألف وأربعينمائة مسيحية الموافقة لسنة ثلاثة وثمانمائة هجرية بعث الطاغية الريكي الثالث شكاوادرة لغزو تطاوين ومراكبها فانتهت إلى وادي مرطيل وأفسدت قراصين المسلمين التي به ثم نزلت عساكر الإصبيون للبر فاقتحمت مدينة تطاوين بعد أن جلا أهلها عنها وخربتها واعاثت فيها وبقيت خربة نحو تسعين سنة ثم جدد بناؤها على يد الرئيس أبي الحسن علي المنظري الغرناطي كما سيأتي . وكانت وفاة فارح بن مهدي في الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة ست وثمانمائة والله تعالى أعلم .

حجابة أبي محمد الطريفي وسيرته

لما توفي الحاجب فارح بن مهدي ولـيـ الحجـابةـ منـ بـعـدـهـ أـبـوـ مـحـمـدـ عـبـدـ اللهـ الطـريـفيـ وـكـانـ مـنـ فـضـلـاءـ الـحـاجـابـ وـهـوـ الـذـيـ بـنـىـ مـسـجـدـ السـوقـ الـكـبـيرـ بـفـاسـ الـجـلـيدـ وـجـبـسـ عـلـيـ كـثـيرـةـ فـكـانـ ذـلـكـ مـنـ حـسـنـاتـ الـبـاقـيـةـ نـفـعـهـ اللهـ يـقـصـلـهـ .

حديث الفتنة بين السلطان أبي سعيد والسلطان أبي فارس الحفصي والسبب في ذلك

لما توفي السلطان أبو العباس الحفصي صاحب تونس ولـيـ الـأـمـرـ منـ بـعـدـهـ اـبـنـهـ أـبـوـ فـارـسـ المـذـكـورـ فـوـزـ الـوـظـائـفـ مـنـ الـإـمـارـةـ وـالـوـزـارـةـ وـوـلـاـيـةـ الـأـعـمـالـ عـلـىـ إـخـوـتـهـ فـاعـتـضـدـ بـهـمـ ،ـ وـكـانـ مـنـ جـمـلـتـهـ أـخـوـهـ أـبـوـ بـكـرـ بـنـ أـبـيـ الـعـبـاسـ بـقـسـطـنـطـيـةـ فـتـازـعـهـ بـهـاـ بـنـ عـمـهـ الـأـمـيرـ أـبـوـ عـبـدـ اللهـ مـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ زـكـرـيـاءـ الـحـفـصـيـ صـاحـبـ بـوـنـةـ وـأـلـحـ عـلـيـهـ فـيـ الـحـصـارـ فـصـمـدـ إـلـيـهـ السـلـطـانـ أـبـوـ فـارـسـ الـحـفـصـيـ وـأـوـقـعـ بـهـ عـلـىـ سـيـبـوسـ وـقـعـةـ شـنـعـاءـ اـنـتـهـتـ بـهـ هـزـيـمـتـهـ إـلـىـ فـاسـ مـسـتـصـرـخـاـ صـاحـبـهـ ،ـ وـهـوـ يـوـمـئـذـ أـبـوـ فـارـسـ الـمـرـيـنيـ ،ـ فـأـقـامـ أـبـوـ عـبـدـ اللهـ بـفـاسـ

إلى سنة عشر وثمانمائة في دولة السلطان أبي سعيد فاتتفق أن فسد ما بين السلطان أبي فارس الخصي وبين أعراب إفريقيية من سليم فقدمت طائفته منهم حضرة فاس مستنجدين السلطان أبي سعيد على صاحبهم أبي فارس فألفوا عنده الأمير أبي عبد الله المنهزم بسيوس كما مر، فعقد له السلطان أبو سعيد على جيش منبني مرين وغيرهم وبعثه مع العرب فلما انتهى إلى بجاية تلقته أعراب إفريقيية طائعة وهون عليه المرابط شيخ حكيم منها أمر تونس فرد الجيش المريني وقصدها بمن انضم إليه من الحشود فأخذ بجاية من أبي يحيى وفر في البحر، وعقد أبو عبد الله عليها لابنه المنصور ثم زحف إلى السلطان أبي فارس فخالقه إلى بجاية فافتكتها من يد ابنه المنصور ووجه به مع جماعة من كبار أهلها معتقلين إلى الحضرة، وعقد عليها لأحمد ابن أخيه ونهض لقتال ابن عمه أبي عبد الله المذكور فنزع المرابط عنه إلى السلطان أبي فارس لعهد كان بينهما، فانقض جمع أبي عبد الله وقتل وأحتز رأسه ووجهه السلطان أبو فارس مع من علقه بباب المحروق أحد أبواب فاس إغاثة للسلطان أبي سعيد وذلك سنة الثنتي عشرة وثمانمائة. ثم تحرك السلطان أبو فارس إلى جهة المغرب قاصداً أخذ الشار من السلطان أبي^(١) سعيد فاستولى على تلمسان ثم قصد حضرة فاس فلما شارفها جنح السلطان أبو سعيد إلى السلم فوجه إليه بهدايا جليلة فقبل ذلك أبو فارس وكافأ عليه وانكفا راجعاً إلى حضرته، ولحقته في طريقه بيعة أهل فاس وانتظم له ملك المغرب وبايته صاحب الأندلس أيضاً قاله صاحب «الخلاصة الندية» وهو الأديب أبو عبد الله محمد الباجي أحد كتاب الدولة التركية بتونس.

(١) كان زحف أبي فارس إلى المغرب سنة 827 كما عند الزركشي صفحة 110 وهلك أبو سعيد سنة 823 وعليه فإن السلطان المريني المأخوذ منه الشار هو أحد الملوك الذين تعاقبوا على مملكة المغرب قبل السلطان عبد الحق كما يعلم تحقيق ذلك في تأليفنا الموضوع في تاريخ المغرب فراجعه تستفيد والله أعلم للمؤلف.

استيلاء البرتغال على مدينة سبتة أعادها الله

كان جنس البرتغال وهو البردقيز في هذه السنين قد كثُر بعد القلة واعتزل بعد الذلة وظهر بعد الخمول وانتعش بعد الذبول فانتشر في الأقطار وسما إلى تملك الأمصار فانتهى إلى أطراف السودان بل وأطراف الصين على ما قيل، وألح على سواحل المغرب الأقصى فاستولى في سنة ثمان عشرة وثمانمائة على مدينة سبتة أعادها الله بعد محاصرته لها حصاراً طويلاً، وسلطان المغرب يومئذ أبو سعيد بن أحمد صاحب الترجمة، وسلطان البرتغال يومئذ خوان الأول.

وذكر منويل في تاريخه: أن سلطان المغرب يومئذ عبد الله بن أحمد أخو أبي سعيد المذكور وسيأتي كلامه بتمامه.

وذكر صاحب «نشر المثاني»: في كيفية استيلاء البرتغال على سبتة قصة تشبه قصة قصير مع الزباء قال: «رأيت بخط من يظن به التثبت والصدق أن النصارى جاؤوا بصناديق مقلفة يوهمنون أن بها سلعاً وأنزلوها بالمرسى كعادة المعاهدين وذلك صبيحة يوم الجمعة من بعض شهور سنة ثمان عشرة وثمانمائة وكانت تلك الصناديق مملوءة رجالاً عددهم أربعة آلاف من الشباب المقاتلة فخرجوا على حين غفلة من المسلمين واستولوا على البلد وجاء أهله إلى سلطان فاس مستصرخين له، وعليهم المسوح والشعر والوبر والنعال السود رجالاً ونساء ولدانأً فأذلتهم بمالح المسلمين ثم ردّهم إلى الفحص قرب بلادهم لعجزه عن نصرتهم حتى تفرقوا في البلاد والأمر لله وحده» قال: «وسمعت من بعضهم أن الذي جرأ النصارى على ارتکاب تلك المكيدة هو أنهم كانوا قد قاطعوا أمير سبتة على أن يفرض إليهم التصرف في المرسى والاستبداد بعجلتها وينزلوا له خراجاً معلوماً في كل سنة فكان حكم المرسى حيثئذ لهم دون المسلمين ولو كان المسلمين هم الذين يلون حكم المرسى ما تركوه ينزلون ذلك العدد من الصناديق مقلفة لا يعلمون ما فيها والله أعلم بحقيقة الأمر».

ولما استولى البرتغال على سبتة اعتنى بها وحصنتها واستمرت في ملكتهم مدة تزيد على مائتين وخمسين سنة ثم ملكها منهم طاغية الإصبعيول في سبيل مهادنة وشروط انعقدت بينهم بمدينة أشبونة في حدود الثمانين وألف، وأخبار السلطان أبي سعيد كثيرة، وقد أرخ دولته وسيرته الكاتب أبو إسحاق إبراهيم ابن أحمد التاورتي رحمه الله. وتوفي السلطان المذكور سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة، وولي الأمر من بعده ابنه عبد الحق الأخير، كذا ذكره في «جدوة الاقتباس». وقد ذكر متوايل في أمر أبي سعيد ووفاته ما يخالف هذا، قال: «لما كانت دولة السلطان أبي سعيد المربي كأن المسلمين أهل جبل طارق قد ستموا ملكرة ابن الأحمر صاحب غرناطة وتحققوا بأن المربي أقوى منه شوكة وأقدر على تخلصهم مما عسى أن ينالهم به الإصبعيول من حصار ونحوه، فبعثوه إليه يخطبون ولاليته ويعرضون عليه الدخول في طاعته إن هو أمدhem بما يدفعون به في نحر ابن الأحمر فأعجب أبي سعيد ذلك وللحين بعث إليهم أخيه عبد الله بن أحمدالمعروف بسيدي عبو ومعه طائفة من الجيش إمداداً لهم وكان قصد أبي سعيد ببعث أخيه عبد الله الحصول على إحدى الفائدتين: أما فتح جبل طارق إن كان الظهور له، أو الاستراحة منه إن كان عليه، لأنه كان يشوش عليه فجاء الأخ المذكور حتى نزل ببازاء جبل طارق ففتح أهل البلد الباب وأدخلوه وأدخلوا جنده، وتحصن قائد الغرناطي وعسكره بقلعة الجبل وطير الأعلام بذلك إلى صاحبه، فبعث إليه جيشاً قويتاً به نفسه فنزل من القلعة وانضم إليه مدده وقاتلوا جيش المربي فهزمه، وقبضوا على عبد الله باليد وعلى جماعة من أصحابه وبعثوا بهم أسرى إلى صاحب غرناطة، فعمد صاحب غرناطة إلى عبد الله وأنزله في محل معتبر وأحسن إليه، فتخلطف ظن السلطان أبي سعيد فيما كان يحب لأخيه من التلف وغاظه فعل ابن الأحمر معه من الإحسان والإبقاء عليه، ثم أن أبي سعيد دبر حيلة بأن بعث من قبله رجلاً إلى أخيه ليستقيه السم ويستريح

منه، مع أن غوغاء أهل المغرب وقبائله المنحرفة عن السلطان كانوا قد تشوّقوا لقدومه عليهم وقيامهم معه، فبطلت حيلة أبي سعيد في السم ولم يحصل على طائل. ثم إن ابن الأحمر اتفق مع عبد الله على أن يمده بالعسكر والمال ويسرحه إلى المغرب ليستولي على ملكه ويأخذ له بالثار من أخيه، فقبل عبد الله ذلك وأمده ابن الأحمر وسرحه إلى المغرب، فلما احتل به تبعه عدد وافر من قبائله الذين كانوا مستقلين لوطأة أبي سعيد، فنهض إليه أبو سعيد فكانت الكثرة عليه ورجع مفلولاً في يسير من الجندي إلى فاس فقبض عليه أهليها وسجنه وأعلنوا بنصر أخيه عبد الله، وفتحوا الباب فدخل الحضرة واستولى عليها وتم أمره، وسجن أخيه أبو سعيد إلى أن مات». قال: «ولما استقل عبد الله بأمر المغرب كله هدأت الرعية واستقامت الأحوال، إلا أنه تقدر عيشه بذهب سبعة التي استولى عليها طاغية البرتغال خوان الأول بعد ما حاصرها أشد الحصار، وكان ذلك على السلطان من أعظم النحوس، وتقدر المسلمين غاية لفواث هذه المدينة العظيمة منهم. ثم ثاروا على السلطان عبد الله واعتورته رماحهم حتى فاظ، ولما قتل تنازع الملك بعده إثنان من إخوته، وبعد قتال شديد ولم ينتصِ أحدُهما من صاحبه اتفق أهل الحل والعقد على أن يولوا عبد الحق بن أبي سعيد» لهـ كلام منويلـ وهذا السلطان عبد الله الذي زاده منويل بين أبي سعيد وعبد الحق لم يذكره صاحب «جذوة الاقتباس» وبعد أن يكون هذا الخبر الذي ساقه منويل لا أصل له والله أعلم بحقيقة الأمر.

ومن جملة حجاب السلطان أبي سعيد الرئيس أبو فارس عبد العزيز بن أحمد الملياني. قال في «الجذوة»: أصله من زرهون وتولى حجابة السلطان المذكور» قال: «فغدر مولاه ومخدومه، وهتك ستره، وخرب داره وعبث بحريرمه، وقتل أولاده وإخوانه، ورفع الأذناب، وحط الرؤساء، وكان فساد المغرب على يده، وقد ذكره التاورتي فأثني عليه. قال في «الجذوة»:

«ووجدت في طرة ذمه وتنقيصه» والله أعلم.

ومن وزراء السلطان أبي سعيد: صالح بن حمو الباباني، ويحيى بن علال بن أمصמוד الهمسكي، وقد تقدم ذكرهما، ومن كتابه: الفقيه الأديب أبو زكرياء يحيى بن أبي الحسن بن أبي دلامة، وكان صاحب العلامة عند السلطان المذكور، ومن شهد له أهل عصره بالتبشير في النظم الفائق. ثم ابنه محمد من بعده، ومن قصاته: الفقيه أبو محمد عبد الرحيم بن إبراهيم اليزناسي وقد تقدم ذكره، والله تعالى أعلم.

الخبر عن دولة السلطان عبد الحق بن أبي سعيد ابن أبي العباس بن أبي سالم العريفي رحمة الله

هذا السلطان هو آخر ملوكبني عبد الحق منبني مرین، وهو أطولهم مدة، وأعظمهم محة وشدة، وهو أبو محمد عبد الحق بن أبي سعيد عثمان ابن أبي العباس أحمد بن أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن علي بن أبي سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق الزناتي العريفي، أمه علجة إصينيلية على ما ذكره منويل، وفي أيامه ضعف أمربني مرین جداً وتداوى إلى الانحلال وكان التصرف للوزراء والمحاجب شأن دولة أية من قبله على ما نذكره.

زحف البرتغال إلى طنجة ورجوعهم عنها بالخيبة

قال منويل: «كان لطاغية البرتغال خمسة إخوة شجعان، فلاردوا أن يدركوا فخراً باستيلائهم على ثغر من ثغور المغرب، يضيقونه إلى سبعة ويتوسعون به ما ملكوه من أعمالها، فركبوا قراصينهم في ستة آلاف عسكري وزلزوا بسبعة. ثم زحفوا إلى طنجة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة وحاصروها وضيقوا على أهلها ثم عاجلتهم سلطان فاس وسلطان مراكش وأرهقوهم عن

فتحها وأوقعوا بهم وقبضوا على كبير عسكرهم فرناندو وجماعة من أصحابه وعادوا بهم أسرى إلى فاس، فلما صارت عظماء البرتغال في يد المسلمين وأسرهم جنحوا إلى السلم فسالمهم المسلمون على أن يردوا لهم سبعة ويسرحوا لهم كبيرهم وأصحابه الذين معه، فرضي البرتغال بذلك وانعقد الصلح عليه ثم كان من قدر الله أن هلك كبير البرتغال الذي وقع الشرط عليه في سجن فاس واستمرت سبعة في يد العدو وعد ذلك من سوء بخت المسلمين والأمر لله وحده.

وقد ذكر صاحب «المرآة»: أن البرتغال استولى على طنجة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة وهو غير صواب، وإنما كان الحصار فقط. والله تعالى أعلم.

أخبار الوزراء والحجاب وتصرفاتهم

كان من جملة وزراء السلطان عبد الحق الوزير صالح بن صالح بن حمو الياباني، قالوا: وهو الذي أوقع بالفقيه القاضي أبي محمد عبد الرحيم ابن إبراهيم اليزنasti قته ذبحاً سنة أربع وثلاثين وثمانمائة. ومن وزراء السلطان المذكور الوزير أبو زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي. قالوا: وفي سنة ست وأربعين وثمانمائة غزا الوزير المذكور الشاوية، وكانوا قد تمردوا على الدولة وأعطل داؤهم فقل الوزير المذكور جمعهم وخرب منازلهم ثم كانت وفاته سنة ثلاثين وخمسين وثمانمائة، قتلته عرب أنكاد على سبيل الغدر قعضاً بالرماح وحمل قتيلاً إلى فاس فدفن بالقلة خارج باب الحبيسة. وولي الوزارة بعده علي بن يوسف الوطاسي، قالوا: فكانت أيامه مواسم لديانته وصياته وحفظه أمور الملك ورفقه بالرعاية مع العدل وحسن الإدارة، ثم توفي بتامسنا خامس رمضان سنة ثلاثة وستين وثمانمائة، وحمل إلى فاس فدفن بالقلة أيضاً. وفي هذه السنة أو التي قبلها استولى البرتغال على

قصر المجاز وهو المعروف بقصر مصمودة والقصر الصغير وهو الآن خراب. والله أعلم.

وزارة يحيى بن يحيى الوطاسي ومقتله ومقتل الوطاسين معه والسبب في ذلك

لما توفي الوزير علي بن يوسف رحمة الله قدم للوزارة بعده أبو زكرياء يحيى بن يحيى بن عمر بن زيان الوطاسي، قالوا: فكانت ولاية هذا الوزير هي مبدأ الشر ومنشأ الفتنة، وذلك أنه لما استقل بالحجابة أخذ في تغيير مراسم الملك وعوايد الدولة، وزاد ونقص في الجناد ونقض جل ما أبرمه قبله الوزراء، وعامل الرعية بالعسف ومن جملة ما نقم عليه أنه عزل قاضي فاس الفقيه أبي عبد الله محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودي وقدم مكانه الفقيه يعقوب التسولي^(١): وكان المصمودي من الذين وتحري المعدلة بمكان، فلما رأى السلطان عبد الحق فعل الوزير واستحوذه على أمور الدولة وتبين له أن الوطاسين قد التحقوا معاً رداء الملك وشاركته في بساط العز وكادوا يغلبونه على أمره سطا بهم سطوة استأصلت جمهورهم إلا من حمام الأجل منهم فتقبضن على الوزير يحيى وعلى أخيه أبي بكر وأبي شامة وعلى عمهم فارس بن زيان وقربتهم محمد بن علي بن يوسف وأتى الذبح على جميعهم واستمر البحث عن محمد الشيخ ومحمد الحلو أخي الوزير المذكور فلم يوجدا لذهب الشیخ في ذلك اليوم للصيد واختفاء الحلو عند قيام الهيئة، فكان ذلك من لطف الله بهما، واتصل بهما ما جرى على عشيرتهم وبني أبيهم فذهبوا إلى منجاتهما وكان من أمرهما ما ذكره. وكانت هذه الحادثة الصماء بعد مضي سبعين يوماً من وزارة يحيى بن يحيى

(١) راجع «درة الحجال» ج ١ ص ٢٢٠ فقد ذكر أن الذي قدم للقضاء بعده هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله المكتاسي.

المذكور، وصفا للسلطان عبد الحق أميره ورأى أن قد شفا نفسه من الوطاسيين ونقى بساط حضرته من قضضهم، وأبرا جسم ملكه من مرضهم والله غالب على أمره.

ريادة اليهوديين هارون وشاوبل وما نشأ عن استبدادهما من المحنّة والفتنة

قالوا: كان السلطان عبد الحق منذ أربعين يوماً وطاب لم تسمح نفسه بإعطاء منصب الوزارة لأحد ثم نما إليه أن العامة وكثيراً من الخاصة قد نعموا عليه إيقاعه بالوطاسيين، وأن أذنهم صاغية إلى محمد الشيخ صاحب آصيلاً، وكان قد استولى عليها بعد فراره حسبما ذكر، وربما شافه البعض منهم بذلك. فولى عليهم اليهوديين المذكورون تأدباً لهم وتشفيأً منهم زعموا فشرع اليهوديان فيأخذ أهل فاس بالضرب والمصادرة على الأموال، واعتبر اليهود بالمدينة وتحكموا في الأشراف والفقهاء فمن دونهم، وكان اليهودي هارون قد ولّى على شرطته رجالاً يقال له: الحسين لا يألو جهداً في العسف واستلاب الأموال، واستمر الحال على ذلك والناس في شدة.

وفي سنة سبع وستين وثمانمائة انتزع الإصينيون جبل طارق من يد ابن الأحمر.

استيلاء البرتغال على طنجة

ثم في سنة تسعة وستين وثمانمائة استولى البرتغال على طنجة، زحفوا إليها من سبتة في ألف من العساكر واستولوا عليها واستمرت بأيديهم أكثر من مائتين وخمس سنتين ثم بذلوا لها لطاغية النجليز سنة أربع وسبعين وألف في سبيل المهادة والصهر الذي انعقد بينهما كما سيأتي.

مقتل السلطان عبد الحق بن أبي سعيد والسبب في ذلك

ثم إن اليهودي عمد إلى امرأة شريفة من أهل حومة البليدة فقبض عليها والبليدة: حومة بفاس. قالوا: وكانت بدار الكومي قرب درب جنارة فأناهى عنها بالضرب، ولما ألهبها السياط جعلت تتسلل برسول الله ﷺ ف humiliating her. And when she was caught, she was flogged in the house of the Kumi, near the road of Janara. And when she was flogged, she fled to the prophet ﷺ who forgave her.

فحمي اليهودي وكاد يتميز غيطاً من سماع ذكر الرسول، وأمره بالإبلاغ في عقابها، وسمع الناس ذلك فأعظموه، وتمشت رجالات فاس بعضهم إلى بعض، فاجتمعوا عند خطيب القرويين الفقيه أبي فارس عبد العزيز بن موسى الورياكلي وكانت له صلابة في الحق وجلادة عليه، بحيث يلقي نفسه في العظام ولا يبالي، وقالوا له: «ألا ترى إلى ما نحن فيه من الذلة والصغار وتحكم اليهود في المسلمين والعبث بهم حتى بلغ حالهم إلى ما سمعت» فنبع كلامهم فيه وللحين أغراهم بالفتوك باليهود وخلع طاعة السلطان عبد الحق وبيعة الشريف أبي عبد الله الحفيظ فأجابوه إلى ذلك واستدعوا الشريف المذكور فباعوه، والتفت عليه خاصتهم وعامتهم، وتولى كبر ذلك أهل حومة القلقليين منهم، ثم تقدم الورياكلي بهم إلى فاس الجديد فصمدوا إلى حارة اليهود فقتلوهم واستلبوهم واصطلموا نعمتهم واقتسموا أموالهم، وكان السلطان عبد الحق يومئذ غائباً في حركة له ببعض التواحي. قال في «نشر المثاني»: «خرج السلطان عبد الحق بجيشه إلى جهة القبائل الهبطية وترك اليهود يقبض من أهل فاس المغارم، فشدد عليهم حتى قبض على امرأة شريفة وأوجعها ضرباً، وحتى ما تقدم، فاتصل وبعد الحق الخبر وانقض مسرعاً إلى فاس واضطرب عليه أمر الجندي، ففسدت نياتهم، وتنكرت وجوههم، وصار في كل منزلة تنقض عنه طائفة منهم، فأيقن عبد الحق بالنكبة وعain أسباب المنية. ولما قرب من فاس استشار هارون اليهودي فيما نزل به فقال اليهودي له: «لا تقدم على فاس لغليان قدر الفتنة بها وإنما يكون قدومنا على مكتامة الزيتون لأنها بلدنا

وبها قوادنا وشيعتنا، وحيثئذ يظهر لنا ما يكون» فما استتم اليهودي كلامه حتى انتظمه بالرمع رجل منبني مرين يقال له تيان، وعبد الحق ينظر، وقال: «وما زلنا في تحكم اليهود واتباع رأيهم والعمل بإشارتهم» ثم تعاورته الرماح من كل جانب وخر صريراً للدين والفهم». ثم قالوا للسلطان عبد الحق: «تقدمنا أمامك إلى فاس فليس لك اليوم اختيار في نفسك». فأسلم نفسه، وانتهيت محلته، وفيت أمواله وحلت به الإهانة، وجاءوا به إلى أن بلغوا عين القوادس خارج فاس الجديد، فاتصل الخبر بأهل فاس وسلطانهم الحفيد فخرج إلى عبد الحق وأركبه على بغل بالبردعة، وانتزع منه خاتم الملك وأدخله البلد في يوم مشهود حضره جموع كبير من أهل المغرب وأجمعوا على ذمه وشكروا الله على أخذه، ثم جنباً إلى مصرعه فضربت عنقه صبيحة يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان سنة تسع وستين وثمانمائة ودفن ببعض مساجد البلد الجديد، ثم أخرج بعد سنة ونقل إلى القلة فدفن بها وانقرضت بملوكه دولةبني عبد الحق من المغرب والبقاء لله وحده^(١).

ونقل الثقات أن الشيخ أبي العباس أحمد زروق رحمة الله كان قد ترك الصلاة خلف الفقيه أبي فارس الوريacky لما صدر منه في حق السلطان عبد الحق، وكان يقول: «لا آمن الغندور على صلاتي يعييه بذلك»، والغندور في لسان المغاربة ذو النخوة والإباهة وما أشبه ذلك، والله يتغمدنا والمسلمين برحمته أمين.

ولذكر ما كان في هذه المدة من الأحداث فنقول:

في سنة سبع وثمانمائة توفي الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي عالم فاس وأديبها ونحوها صاحب المقتصورة وشرح

(١) وكانت دولته منذ تاريخ وفاته والده أبي سعيد ستة وأربعين سنة.

الخلاصة وغير ذلك من التأليف، قيل: هو آخر من درس كتاب سيبويه في النحو بفاس.

وفي سنة ثمان عشرة وثمانمائة توفي الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر ابن الفتوح التلمساني ثم المكناسي، يقال: إن سبب انتقاله من تلمسان أنه كان شاباً حسن الصورة، جميل الشارة، فمررت به امرأة جميلة فجعل ينظر إليها من طرف خفي فقال: «اتق الله يا ابن الفتوح يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور» فتأثر لقولها واتعظ وتاب إلى الله تعالى، وجعل من تمام توبته أن يهاجر من الأرض التي قارف الذنب فيها فارتاحل إلى فاس فأقام بها مدة وانتفع الناس به، ثم انتقل بعدها إلى مكناسة فتوفي بها في السنة المذكورة. قالوا: وهو أول من دخل مختصر الشيخ خليل مدينة فاس والمغرب.

وفي سنة ست وأربعين وثمانمائة كان الوباء العظيم بال المغرب، هلك فيه جمع من كبار العلماء والأعيان، ويسمى هذا الوباء عند أهل فاس بوباء عزونة.

وفي سنة تسع وأربعين وثمانمائة في ذي القعدة منها توفي الشيخ أبو محمد عبد الله العبدوسي مفتى فاس وعالمها الكبير ومحدثها الشهير وكان من أهل الصلاح والخير والإيثار.

وفي سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة في أواخر ذي القعدة منها توفي إمام الجماعة بفاس الشيخ أبو عبد الله محمد بن قاسم الأندلسي الأصل المعروف بالقروري ودفن بباب الحمراء منها.

وفي سنة تسع وتسعين وثمانمائة في أواخر صفر منها توفي الشيخ العارف بالله المحقق أبو العباس أحمد البرنسي الشهير بزروق وكانت وفاته بمسراته من أعمال طرابلس. والله أعلم.

بقية أخبار بنى الأحمر واستيلاء العدو على غرناطة وسائر الأندلس منها وإنقراض كلمة الإسلام منها

كانت دولة بنى الأحمر في هذه المدة متماسكة . والفتنة بين أعياصها متشابكة ، والعدو فيما بين ذلك يخادعهم عما بأيديهم ويراوغهم ويسالمهم تارة ويحاربهم إلى أن كانت دولة السلطان أبي الحسن علي ابن السلطان سعد ابن الأمير علي ابن السلطان يوسف ابن السلطان محمد الغني بالله ، فنزع عن أخيه أبو عبد الله محمد بن سعد المدعو بالزغل ، قدم من بلاد النصارى ويوبع بمالقة وبقي بها مدة ، وعظم الخطب واشتتدت الفتنة ، وشرق المسلمون بداء الخلاف . الواقع بين هذين الأخرين ، وتکالب العدو عليهم ووجد السبيل إلى تفريق كلمتهم والتمكן من فسخ عهدهم وذمتهم ، وذلك أعوام الثمانين وثمانمائة . ثم انقاد أبو عبد الله لأبي الحسن فسكنت أحوال الأندلس بعض الشيء ثم خرج عليه ولده أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن وأسره النصارى في بعض الوقعات فراجع الناس طاعة أبي الحسن ثم نزل لأخيه أبي عبد الله الزغل عن الأمر لآفة أصابته في بصره . ثم إن العدو عمد لأسيره أبي عبد الله ابن الحسن فوعده و منها ، وأظهر له من أكاذيبه وخدعه غاية منها ، وبعثه للتشغيب على عمه طلباً لتفريق كلمة المسلمين وعكس مرادهم وتوصلأ إلى ما بقي عليه من حصون المسلمين وببلادهم وطالت الفتنة بين العم وأبن الأخ وكل عقد كان بين العدو وبينه انحل وانفسخ ، وخبت العامة الذين هم أتباع كل ناعق في ذلك ووضعت ، وكان ذلك من أعظم الأسباب المعينة للعدو على التمكן من أرض الأندلس والتهاها واستصالح كلمة الإسلام منها . ثم إن ابن الأخ استولى على غرناطة بعد خروج العم عنها إلى الجهاد ففت ذلك في عضده وعطف إلى وادي آش فاعتضم بها ، وحاصر العدو مالقة فقاتله أهلها بكل ما أمكنهم حتى إذا لم يجدوا للقتال مساغاً نزلوا على الأمان ، فاستولى العدو عليها أواخر شعبان سنة اثنين وتسعين وثمانمائة ، ثم استولى بعد ذلك على وادي آش وأعمالها صلحًا ودخل في طاعته صاحبها أبو عبد الله العم بعد

أن استهوى العدو قواده بالأموال الجزيلة، ثم إن العدو خذله الله وأرسل أبا عبد الله بن أبي الحسن صاحب غرناطة وعرض عليه الدخول في الخطة التي دخل فيها عمه من التزول له عن البلاد على أموال جزيلة يبذلها له ويكون تحت حكمه مخيراً في أي بلاد الأندلس شاء فشاور رعيته فاتفق الناس على الامتناع والقتال، فعند ذلك أرهف العدو حده. وجعل غرناطة وأهلها من شأنه بعد أن استولىثناء هذه الفتنة والتضريريات على حصون كثيرة لم تتعرض لذكرها، حتى لم يبق له إلا غرناطة وأعمالها، وقد اختصرنا معظم هذه الأخبار إذ لم تكن من موضوع الكتاب وإنما ألممنا بهذه النبذة تتميماً للفائدة وزيادة في الامتناع. ولما كان اليوم الثاني والعشرون من جمادي الآخرة سنة ست وتسعين وثمانمائة خرج العدو بمحلاته إلى مرج غرناطة وأفسد الزرع ودوخ الأرض، وهدم القرى وأمر ببناء موضع بالسور والحفير فأحكمه، وكان الناس يظنون أنه عازم على الانصراف، فإذا به قد صرف عزمه إلى الحصار والإقامة وصار يضيق على غرناطة كل يوم ودام القتال سبعة أشهر، واشتد الحصار بال المسلمين غير أن النصارى على بعد، والطريق بين غرناطة والبشرات متصلة بالمرافق، والطعام يأتي من ناحية جبل شلير إلى أن تمكن فصل الشتاء وكلب البرد ونزل الثلوج، فانسد باب المرافق، وانقطع الجالب وقل الطعام، واشتد الغلاء، وعظم البلاء واستولى العدو على أكثر الأماكن خارج البلد، ومنع المسلمين من الحرج والسبب وضاق الحال وبيان الاختلال وعظم الخطب، وذلك أول سنة سبع وتسعين وثمانمائة. وطبع العدو في الاستيلاء على غرناطة بسبب الجوع والغلاء دون الحرب والقتال ففر ناس كثيرون من الجوع إلى البشرات، ثم اشتد الأمر في شهر صفر من السنة وقل الطعام وتفاقم الخطب، فاجتمع ناس مع من يشار إليه من أهل العلم كأبي عبد الله الموفق شارح «المختصر» وغيره وقالوا: «انظروا لأنفسكم وتكلموا مع سلطانكم» فاحضر السلطان أبو عبد الله بن أبي الحسن أهل دولته وأرباب مشورته وتكلموا في هذا الأمر وأن العدو يزداد مدد كل يوم ونحن لا مدد لنا وكنا نظن أنه يقلع علينا في فصل الشتاء فخاب الظن وبين وأسس وأقام وقرب

منا فانظروا لأنفسكم وأولادكم». فاتفق الرأي على ارتکاب أخف الضررين، وشاع أن الكلام وقع بين النصارى ورؤساء الأجناد قبل ذلك في إسلام البلد خوفاً على نفوسهم وعلى الناس، ثم عدداً مطالب وشروطًا أداروها وزادوا أشياء على ما كان في صلح وادي آش، منها: أن صاحب رومة يوافق على الالتزام والوفاء بالشرط إذا مكنوه من حمراء غرناطة والمعاقل والمحصون ويحلف على عادة النصارى في العهود، وتكلم الناس في ذلك وذكروا أن رؤساء أجناد المسلمين لما خرجوا للكلام في ذلك امتن عليهم النصارى بمال جزيل وذخائر، ثم عقدت بينهم الوثائق على شروط فرئت على أهل غرناطة فانقادوا إليها ووافقو عليها وكتبوا البيعة لصاحب قشتالة فقبلها منهم، ونزل سلطان غرناطة أبو عبد الله عن الحمراء ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي ثاني ربيع الأول من السنة، أعني سنة سبع وتسعين وثمانمائة، استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد أن استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الأعيان رهناً خوف الغدر، وكانت الشروط سبعة وستين شرطاً، منها: تأمين الصغير والكبير في النفس والأهل والمال، وإبقاء الناس في أماكنهم ودورهم ورباعتهم وعقارهم، ومنها: إقامة شريعتهم على ما كانت، ولا يحكم على أحد منهم إلا بشريعته، وأن تبقى المساجد كما كانت والأوقاف كذلك، وأن لا يدخل النصارى دار مسلم ولا يغصبو أحداً، وأن لا يولي على المسلمين نصراني أو يهودي من يتولى عليهم من قبل سلطانهم، وأن يفتک جميع من أسر في غرناطة حيث كانوا وخصوصاً أعياناً نص عليهم، ومن هرب من أسارى المسلمين ودخل غرناطة لا سبيل عليه لمالكه ولا لغيره، والسلطان يدفع ثمنه لمالكه، ومن أراد الجواز إلى العدو لا يمنع ويجوزون في مدة عينت في مراكب السلطان لا يلزمهم إلا الكراء ثم بعد تلك المدة يعطون عشر مالهم والكرياء، وأن لا يؤخذ أحد بذنب غيره، وأن لا يجبر من أسلم على الرجوع للنصارى ودينه، وأن من تنصر من المسلمين يوقف أياماً حتى يظهر حاله ويحضر له حاكم من المسلمين وأخر من النصارى فإن أبي الرجوع إلى الإسلام تمادي على ما أراد، ولا يعاتب.

على من قتل نصرياتي أيام الحرب ولا يؤخذ منه ما سلب من النصارى أيام العداوة، ولا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى ولا يسفر لجهة من الجهات ولا يزيدون على المغارم المعتادة، وترفع عنهم جميع المظالم والمغارم المحدثة، ولا يطلع نصرياتي للسور ولا يتطلع على دور المسلمين، ولا يدخل مسجداً من مساجدهم، ويسير المسلم في بلاد النصارى آمناً في نفسه وماليه، ولا يجعل علامة كما يجعل اليهود وأهل الدجن، ولا يمنع مؤذن ولا صائم ولا مصل ولا غيره من أمور دينه ومن ضمحك منهم يعاقب، ويتركون من المغارم سنين معلومة. وأن يوافق على كل الشروط صاحب رومة ويوضع خط يده وأمثال هذا مما تركنا ذكره.

وبعد اتبرام ذلك ودخول النصارى للحراء والمدينة جعلوا قائداً بالحراء وحكاماً ومقديرين بالبلد، ولما علم بذلك أهل البشرات دخلوا في هذا الصلح وشملهم حكمه على هذا الوجه، ثم أمر العدو ببناء ما يحتاج إليه في الحراء وتحصينها وتجديد بناء قصورها وإصلاح سورها، وصار الطاغية يختلف إلى الحراء نهاراً وبيت بمحلته ليلاً إلى أن اطمأن من خوف الغدر فدخل المدينة وتطوف بها وأحاط خبراً بما يروم منها، ثم أمر سلطان المسلمين أن ينتقل لسكنى البشرات وأنها تكون له في سكناه بأندرش، فانصرف إليها وأخرج الأجناد منها، ثم احتال عدو الله في نفيه لبر العدوة وأظهر أن السلطان المذكور طلب منه ذلك ثم كتب لصاحب المرية أنه ساعة وصول كتابي هذا لا سبيل لأحد أن يمنع مولاي أبي عبد الله من السفر حيث أراد من بر العدوة، ومن وقف على هذا الكتاب فليصرفه وليقف معه وفاء بما عهد له، فانصرف السلطان أبو عبد الله في الحين بنص هذا الكتاب وركب البحر فنزل بمليلة واستوطن فاساً وكان قبل ذلك قد طلب الجواز لناحية مراكش فلم يسعف بذلك، وحين جوازه لبر العدوة لقي شدة وغلاء وبلاء، ثم إن النصارى نكثوا العهد، ونقضوا الشروط عروة إلى أن آل الحال لحملهم المسلمين على التتصير سنة أربع وتسعينات بعد أمور وأسباب أعظمها عليهم أنهم قالوا: إن القسيسين كتبوا على جميع من أسلم من النصارى أن

يرجع مهرعاً لدينه، ففعلوا ذلك وتكلم الناس ولا جهد لهم ولا قوة. ثم تعدوا ذلك إلى أمر آخر وهو أن يقولوا للرجل المسلم إن جدك كان نصراينياً فأسلم فترجع أنت نصراينياً. ولما تفااحش هذا الأمر قال أهل البيازين على الحكم فقتلوا هم وهذا كان السبب الأعظم في التنصر، قالوا: لأن الحكم خرج من عند السلطان أن من قام على الحاكم فليس إلا الموت إلا أن يتنصر فينجو من الموت وبالجملة فإنهم تتصروا عن آخرهم باديه وحاضرة، وامتنع قوم من التنصر واعتزلوا النصارى فلم ينفعهم ذلك، وامتنعت قرى وأماكن كذلك منها بلقيق وأندرش وغيرهما فجمع لهم العدو الجموع واستأصلهم عن آخرهم قتلاً وسبباً إلا ما كان من جبل بللنقة فإن الله تعالى أعندهم على عدوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة مات فيها صاحب قرطبة وأخرجوا على الأمان إلى فاس بعيالهم وما خف من أموالهم دون الذخائر.

ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله في خفية وبصلي فشدد النصارى في البحث عنهم حتى إنهم أحرقوا كثيراً منهم بسبب ذلك ومنعوه من حمل السكين الصغيرة فضلاً عن غيرها من الحديد، وقاموا في بعض الجبال على النصارى مراراً فلم يقيض الله تعالى لهم ناصراً إلى أن كان إخراج النصارى لإيام جملة أعونا سبعة عشر وألف بعد أن ساكتوهم بغرناطة وأعمالها نحواً من مائة وعشرين سنة كانوا فيها تحت ذمة النصارى كما رأيت والأمر الله وحده. ولما أجلهم العدو عن جزيرة الأندرس خرجت ألف منهم بفاس وألف آخر بتلمسان ووهران وخرج جمهورهم بتونس فسلط عليهم في الطرق الأعراب ومن لا يخشى الله تعالى من الأوباش ونهبوا أموالهم وهذا بلاد تلمسان وفاس ونجا القليل من هذه المضرة. وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكثرهم وكذلك بتطاوين وسلا وببيجة الجزائر ولما استخدم سلطان المغرب الأقصى، وهو المنصور السعدي، منهم عسكراً جراراً وسكنوا سلا كان منهم من الع jihad في البحر ما هو مشهور، وحصنوا قلعة سلا. وهي رباط الفتح، وبنوا بها القصور والحمامات والدور.

قال أبو العباس المقربي في «نفح الطيب»: وهم الآن - يعني في حدود الثلاثين وألف - بهذا الحال، ووصل جماعة منهم إلى القسطنطينية العظمى وإلى مصر والشام وغيرها من بلاد الإسلام وانقضى أمر الأندلس وعادت نصرانية كما كانت أول مرة، «والله وارت الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين».

وفي السنة التي استولى الإصينيول على غرناطة انكشفت لهم أرض ماركان التي كانت مجهولة قبل هذا التاريخ لسائر الأمم. وذلك أن الحكماء الأقدمين من اليونان وغيرهم أجمعوا على أن شكل الأرض كرة وأن الماء قد غمر أحد جانبيها كله بحيث صارت الأرض فيه كأنها بيبة مغرفة في طست ماء قد رسب فيه أكثرها وبرز أقلها، وأجمعوا على أن هذا البارز منها هو المskون بيني آدم وغيرهم من الحيوانات وهو المقسم إلى سبعة أقسام تسمى الأقاليم ولم يهتدوا إلى أن الجانب الآخر منكشف عنه الماء ولا أنه مسكون بهذا الجانب بل جزموا بأنه ماء صرف يسمى البحر المحيط، واستمر هذا الاعتقاد عندهم ونقله الخلف عن السلف ووضعوا فيه التاليف العديدة إلى أن كانت سنة سبع وتسعين وثمانمائة وهي السنة التي استولى فيها الإصينيول على غرناطة وسائر الأندلس، فاتفق أن ظهر في تلك المدة رجل من فرنج جنوة اسمه كلتب بضم الكاف واللام كانت حرفته الملاحة والسفر في البحر وكان بعيد الهمة، مولعاً بالشهرة مغري بالذكر وحسن الصيت، فخطر بباله أن جانب الأرض الذي أغفل الحكماء الأولون ذكره وزعموا أنه بحر صرف ربما يكون مسكوناً بهذا الجانب.

وكان جنس البرتغال في هذه المدة قد كثرت أسفارهم في البحر وملكوا عدة محال من جزرائهم الحالدات، فحصل لكلتب الجنوبي بعض غيرة ونفاسة منهم وأراد أن يأتي بأعظم مما فعلوا فعزم على التلرجيج في البحر المحيط والإبعاد فيه عسى أن يظفر بمراده، فتطارح على ملك البرتغال واسميه يومئذ يوحنا الثاني في أن يعيشه على ما هو بصدده ويمده بما يكون سبباً في نيل مقصده، فلم يلتفت إلى قوله ولا عرج على رأيه ومن قبل ما كان أهل

جنوة يحققونه وينسبونه إلى التهور بمثل هذه الآراء، فلما لم يجد عند ملك البرتغال مراده تطراح على مملكة الإصينيول، وهي يومئذ إيسابيلا الشهيره الذكر عندهم، فأسعفته وهيات له ثلاث سفائن وشحنتها بالرجال والسلاح والزاد والمال ودفعت ذلك إليه، فسافر بها كلب في البحر المحيط على سمت المغرب حتى أرسى ببعض الجزائر الحالات فأراح بها أياماً ثم سافر على السمت المذكور ملجأً مدة من شهرين، ولما طال السفر على أصحابه الذين معه أرادوا قتلها، وبينما هم في ذلك ظهرت له أرض ماركان فسار حتى أرسى بأجفانه على ساحلها في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبع وستعين وثمانمائة المذكورة، فعثر منها على أرض واسعة ذات أقطار ونواحي وجبال وأنهار تفوت الحصر، حتى قيل: إنها تساوي نصف هذا المسكن من الأرض أو تزيد، وإذا فيها خلق كثير منبني آدم كهذه إلا أنهم لم يفقهوا قوله ولا فقه قولهم. فعاد كلب إلى مملكة الإصينيول بعد أن بنى هنالك حصناً وترك به بعض الجنود وساق من تلك الأرض بعض الغرائب من حيوان وغيره، إثباتاً لمدعاه فلما قدم على الملكة بعد مغيبه سبعة أشهر وأحد عشر يوماً أعظمت قدره، ونوهت باسمه، وسرت بما أتي به من ذلك كله، وعدت ذلك من سعادتها إلى ما تستنى لها من الظفر بجزيرة الأندلس والاستيلاء عليها، وتبين للفرنج حيثيت أن الأرض معمورة من كلا الجنانين لا من جانب واحد كما اعتقاده الأقدمون، فحيثيت تسارعت أجناسهم إلى أرض ماركان واقتسموها واعتنوا بعمرانها وسموها: الدنيا الجديدة، فكانت من أعظم الأسباب في انتعاشهم وتقويمهم وضخامة دولهم واتساع خطط ممالكهم، والأمور كلها بيد الله.

ومن جملة ما كان مفقوداً بأرض ماركان نوع الخيل وكذا غيرها من الحيوانات الأهلية. ولما رأوا الأدمي راكباً على الفرس مسرجاً ظنوه قطعة واحدة وأن الفارس وفرسه حيوان واحد خلق على تلك الكيفية إلى غير ذلك وأخبار أرض ماركان وكيفية العثور عليها ثم التردد إليها واعتمارها بعد ذلك طويلة وملخصها ما ذكرناه، والله تعالى الموفق بمحته.

وهذا آخر النصف الأول من كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، قد شرعنا في إملائه منتصف رجب الفرد الحرام من سنة سبع وتسعين ومائتين وألف وفرغنا منه في منتصف ذي الحجة الحرام في السنة المذكورة. ونشعر بعون الله تعالى في الجزء الثاني منه مفتتحاً بما يكون كالتوطئة لدولةبني وطاس من أخبار البرتغال على الجملة، وعلى الله تعالى الكمال بمنه وفضله^(١).

أخبار البرتغال بالمغرب الأقصى على الجملة

اعلم أن هذا المغرب الأقصى حرسه الله وكلأه بعين حفظه، لم يزل بجميع ثغوره وسواحله وأقطاره منذ الفتح الإسلامي إلى المائة التاسعة محفوظاً الجوانب من طروق أمم الفرنج وغيرهم من أعداء الدين، محفوف الأكتاف بالحامية من جنود المسلمين، مرهوبة شوكة ملوكه عند أمم النصرانية جيلاً بعد جيل، وأمة بعد أمة، ودولة بعد دولة. لم تكن الفرنج تحدث نفسها بغزو شيء من بلاده، أو طرق ثغر من ثغوره، أو الاستيلاء على شيء من سواحله، ولم يكن أهله أيضاً يتوقعون ذلك منهم ولا يخشونه، بل هم الذين كانوا يغزون الفرنج في عقر ديارهم وأعزّ بلادهم، ويحاصرون عن بلاد الأندرس وسواحل إفريقية وغيرها متى هاج أهلها هيج من ذلك حسبما تقدمت الأخبار المفصحة عن ذلك، ولم يبلغنا أن جنساً من أجناس الفرنج فيما قبل المائة التاسعة غزا شيئاً من أطراف المغرب الأقصى، أو ثغراً من ثغوره بقصد الاستيلاء والتملك، إلا ما كان من مدينة سلا التي دخلها الإسبانيون غدرًا أيام الفتنة بين اليعقوبيين ثم خرجوا عنها لمدة يسيرة حسبما مر، وإنما كان من محاصرة أهل جنوة لسبعة ثم الإقلاع عنها كذلك، ونحو هذا مما لا يعتير، فلما دخلت المائة التاسعة مضى صدرها وتداعت دول المغرب من بني أبي حفص يا فريقية، وبني زيان بالمغرب الأوسط، وبني مرين بالمغرب الأقصى،

(١) ما بين قوسين هو زيادة بخط المؤلف في الأصل بعد الطبعة الأولى.

وبني الأحمر بالأندلس، وأشرفت على الهرم وحدثت الفتنة بين المسلمين ودامت فيهم واستغلوا بأنفسهم دون الالتفات إلى جهاد العدو ومطالبته في أرضه وببلاده على ما كان لهم من العادة قبل ذلك، وافق ذلك ابتداء ظهور الجلالقة وهم الإصبيون والبرتغال، وهم البرطقيز، بجزيرة الأندلس واستفحال أمرهم، فكثرت أسفار البرتغال في البحر المتوسط ودام تقلبهم فيه ومنروا عليه حتى حصلوا على عدة جزائر منه، واكتشفوا بعض الرؤوس الساحلية من أرض السودان وغيرها، ثم شرّهوا لتمتلك سواحل المغرب الأقصى، فهجموا عليها وجالدوا أهلها دونها حتى تمكنا منها ونشبوا فيها، فقويت شوكتهم وعظم ضررهم على الإسلام وطمحت نفوسهم للاستيلاء على ما وراء ذلك حسبما تقف عليه مبينا في مواضعه إن شاء الله.

فاستولوا في سنة ثمان عشرة وثمانمائة على مدينة سبتة بعد محاصرتهم لها ست سنين على ما في بعض تواريخ الإفرنج، ثم في سنة اثنين وستين وثمانمائة استولوا على قصر المجاز، ثم استولوا في سنة تسعة وستين وثمانمائة على طنجة، ثم في حدود سنة ست وسبعين وثمانمائة ملكوا آصيلا، وفي هذا التاريخ نفسه أو قبله بيسير استولوا على مدينة آنفا وبعض سواحل السوس، ثم في حدود سنة سبع وتسعين نزلوا بأرض الجديدة فيما بين آزمور وتطيط وبنوا بها حصن البريجة وطال مقامهم بها، ثم في سنة عشر وتسعين استولوا على مدينة العرائش، ثم بعد ذلك بيسير في حدود العشر وتسعين استولوا على ما تقتضيه تواريخ الفرنج ملكوا حصن آكادير وما اتصل به من سواحل السوس الأقصى، ثم ملكوا في حدود اثنين عشرة وتسعين رباط آسفي ثم عطفوا على ثغر آزمور فاستولوا عليه في سنة أربع عشرة وتسعين، ثم المعمورة وهي، المهدية، ملكوها أيضاً في حدود سنة عشرين وتسعين، وفي هذا التاريخ نفسه رجعوا إلى مدينة آنفا بعد هدمها فبنوها وسكنوها، وبالجملة فلم يبق من ثغور المغرب الأقصى بيد المسلمين إلا القليل مثل سلا ورباط الفتح وفُجُّي المسلمون من هذا البرتغال بالأمر العظيم، ودهروا منه بالخطب الجسيم، واستحوذ عدو الله على بلاد الهبط وضايقهم بها حتى

انحازوا إلى الأمصار المنزوية عن الأطراف والقرى النائية عن السواحل، وكان ذلك كله فيما بين انقراض دولةبني طاس وظهور دولة الشرفاء السعديين، ولقد ذكر في «مرأة المحسن» أن قصر كتامة كان في صدر المائة العاشرة مقصداً للتجار وسوقاً تجلب إليه بضائع العدوتين وسلمها، قال: «إذ كان القصر المذكور ثغراً بين بلاد المسلمين وبين بلاد النصارى تحظى به رحال تجار المسلمين من آفاق المغرب وتجار الحريبيين من أصيلاً وطنجة وقصر المجاز وسبتاً وأنه كان محل عناية سلطان المغرب إذ ذلك محمد الشيخ بن أبي زكرياء الوطاسي، فإن القصر قاعدة بلاد الهبط التي كانت موقد شرارة السلطان المذكور، ومشب ناره، وموشج عصيته مع مجاورته لبلاد العرب، فكان نظره مصروفاً إليه واحتضانه موقوفاً عليه وتقبل بنوه من بعده مذهبة فيه» اهـ كلامه. فهذا يدلل على ما كان عليه العدو خذله الله من المضايقة للMuslimين في ثغورهم وببلادهم والله الأمر من قبل ومن بعد.

ولما نزل بأهل المغرب الأقصى ما نزل من غلبة عدو الدين واستيلائه على ثغور المسلمين، تباروا في جهاده وقتاله، وأعملوا الخيل والرجل في مقارعته ونزواله، وتوفرت دواعي الخاصة منهم وال العامة على ذلك، وصرفوا وجوه العزم لتحصيل الثواب فيما هنالك، فكم من رئيس قوم قام لنصرة الدين غيره واحتسباً، وكم من ولی عصر أو عالم مصر باع نفسه من الله ورأى ذلك صواباً حتى لقد استشهد منهم أقوام وأسر آخرون، وبلغ الله تعالى جميعهم من الثواب ما يرجون، فمن استشهد منهم في سبيل الله سيدی عیسی ابن الحسن المصباحی دفین الدعاۃ بأرض البروزی من بلاد طلیق، وأبو الحسن علی بن عثمان الشاوی من أصحاب الشیخ ابی محمد الغزواني، وأبو الفضل فرج الاندلسي ثم المکناسی، وأبو عبد الله محمد القصیر المعروف بسقین قتلہ النصاری عند ضريح الشیخ ابی سلہام، وكان قد قصده للزيارة ففتکوا به هنالک، وكل هؤلاء معدود في أولیاء الله تعالى، وممن أسر منهم ثم خلصه الله الشیخ ابو محمد عبد الله بن ساسی دفین تانسیفت من أحواز مراكش، والشیخ ابو محمد عبد الله الكوش دفین جبل العرض من أحواز

فاس، ووالد صاحب «دودحة الناشر» وهو أبو الحسن علي بن مصباح الحسني عرف بابن عسكر، والشيخ العلامة أبو العباس أحمد ابن القاضي المكتاسي أحد قضاة سلا وهو صاحب «جذوة الاقتباس» و«المتنقى المقصورة» وغيرهما من التأليف الحسان أسر وهو ذاهب إلى الحج، وأبو عبد الله محمد بن أبي الفضل التونسي المعروف بخروف نزيل فاس وشيخ الجماعة بها، هؤلاء كلهم أصحاب الأسر ثم خلصه الله بعد حين، وغير هؤلاء منمن لم يحضرنا ذكرهم، أجزل الله ثوابهم ويسر بعثة حسائهم، ولقد ألف الناس في ذلك العصر التأليف في الحض على الجهاد والترغيب فيه، وقال الخطباء والوعاظ في ذلك فأكثروا، ونظم الشعراء والأدباء فيه ونشروا، فممن ألف في ذلك الباب فأفاد: الشيخ المتقن البارع الصوفي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم ابن يحيى النازبي، قال في «الدوحة»: «ووافت له على تأليف ألفه في الحض على الجهاد في سبيل الله فكان مما يتبعني أن يتناول باليدين، ويكتب دون المداد باللجنين، أو دعه نظماً وتراثاً» ومن نظم في ذلك فأجاد، الشيخ الصالح المتتصوف المجاهد أبو عبد الله محمد بن يحيى البهلوبي، قال في «الدوحة»: «كان هذا الشيخ من لازم باب الجهاد وفتح له فيه، ولم في ذلك أشعار وقصائد زجليات وغيرها» وكان معاصرأً للسلطان أبي عبد الله محمد ابن محمد الشيخ الوطاسي المعروف بالبرتغالي، فكان إذا جاءه زائراً حضره على الغزو فيساعدته على ما أراد من ذلك، ولما توفي السلطان المذكور، ودالت الدولة لولده السلطان أحمد، وغضن بالشرفاء القائمين عليه ببلاد السوس، عقد الهدنة مع النصارى المجاورين له ببلاد الهبط واصحابهم سلطان البرتغال، فبلغ ذلك الشيخ أبي عبد الله المذكور فاكى على نفسه أن لا يلقى السلطان المذكور ولا يمشي إليه ولا يقبل منه ما كان عينه له والله من جزية أهل الذمة بفاس لقوته وضرورياته، فمكث على ذلك إلى أن حضرته الوفاة، وكان في النزع وأصحابه دائرون به فقال له بعضهم: «يا سيدي أخبرك أن السلطان أمر بالغزو ونادي به وحضر الناس عليه، والمسلمون في شرح لذلك وفرح». ففتح الشيخ عينيه وتهلل وجهه فرحاً وحمد الله وأثنى عليه،

ففاضت نفسه وهو مسرور بذلك، ولهذا الشيخ زجلات ومقطعات حسان في الحض على الجهاد، منها اللامية المشهورة التي خاطب بها السلطان أبا عبد الله المذكور ومطلعها:

قل للأمير محمد	يا طلعة الهلال
لوليلة في السواحل	من أفضل الليال
ومنها القصيدة التي مطلعها:	
ظهر الرمل مرادي	نفسي على الجهاد
والعسكر يا كرام	سبلت والسلام
ومنها القصيدة التي أولها:	

قم للجهاد رعاك الله من هجا
نهج الرشاد إلى الأقوام لو فهموا
من بعد أندلس ما زلت محتمداً
لو كان يمكنني في الليل أحترم
إلى غير ذلك مما يطول ذكره قال صاحب «الدوحة»: «حدثني الفقيه العدل أبو العباس أحمد الدغموري القصري، قال: كان الشيخ أبو عبد الله يقول: «ما غزونا غزوة قط إلا رأيت رسول الله ﷺ فيها، ويخبرني بجميع ما يتفق لي ولاصحابي في تلك الغزوة»، وله رضي الله عنه في شأن الجهاد والرجلية حكاية طريفة وهي أنه غزا مرة غزوة إلى الشغور الهبطية ثم قدم منها مع أصحابه فوجد زوجته فلانة بنت الشيخ أبي زكرياء يحيى بن بكار قد توفيت وصلى الناس عليها بجامع القرويين، وإمامهم الشيخ غازى ابن الشيخ أبي عبد الله محمد بن غازى الإمام المشهور، فوصل الشيخ أبو عبد الله ووجد جنازتها على شفير القبر والناس يحاولون دفنها فقال لهم: مهلاً ثم تقدم وأعاد الصلاة علينا مع أصحابه الذين قدموا معه فبادر الناس إليه بالإنكار في تكرير الصلاة في الجنازة بالجماعة مرتين، فقال لهم على البديهة: «صلاتكم التي صلتم عليها فاسدة، لكونها بغير إمام»، فقالوا له: «كيف ذلك يا سيدي؟» قال: «لأن من شرط الإمام الذكرية وهي مفقودة في أصحابكم لأن الذي لم يتقلد سيفاً في سبيل الله قط ولم يضرب به ولا عرف الحرب كما كان نبينا ﷺ ولم يتبعه بالسيرة النبوية فكيف يعد إماماً ذكرأً بل

إمامكم والله من جملة النساء» اهـ. وحکى أيضاً في ترجمة الشيخ أبي محمد عبد الله الورياكلي الذي قال له العلامة ابن مزوق وقد عزم على الرحلة إلى بلاد المشرق في طلب العلم: «ليس أمامك أحد أعلم منك»، قال: «فرجع من هنالك فوجد النصارى قد تغلبوا على طنجة وأصيلاً، فلازم ثغور الهبطية لأجل الرباط والجهاد في سبيل الله، وبث العلم ونشره»، قال: «وكان من عادته أن يستغل بالتدريس في فصلي الشتاء والربيع، ويخرج في الصيف والخريف فيربط في ثغور القبائل الهبطية» إلى آخر كلامه، وأمثال هذا كثير ذكرنا منه هذه النبذة البسيطة لتتفق بها على أحوال القوم وما كانوا عليه من الرغبة في الجهاد والمثابرة عليه قدس الله أرواحهم وجعل في دار النعيم غدوهم ورواحهم.

وقد آن أن نشرع في الأخبار عن دولة بنى وطاس بعد أن ذكر دولة الشريف العمراني الذي بايعه أهل فاس يوم مقتل السلطان عبد الحق بن أبي سعد رحمة الله .

الخبر عن دولة الشريف أبي عبد الله الحفيد وأوليته

هذا الشريف هو أبو عبد الله محمد بن علي الإدريسي الجوطى العمراني من بيت بنى عمران فرقة من أدارسة فاس، وهم واسطة عقد البيت الإدريسي، وأوضحهم نسبة، وأعلاهم حسباً، قال ابن خلدون: «ليس في المغرب فيما نعلمه من أهل البيت الكريم من يبلغ في صراحة نسبة ووضوحه مبلغ أعقاب إدريس رضي الله عنه» قال: «وكبراً لهم لهذا العهد بنو عمران بفاس من ولد يحيى الجوطى بن محمد بن يحيى العدام بن القاسم بن إدريس بن إدريس ، وهم نقباء أهل البيت هناك والساكنون ببيت جدهم إدريس ولهم السيادة على أهل المغرب كافة» اهـ. والجوطى قال في «المراة»: «نسبة إلى جوطة بجه مضموم وواو مد وطاء مفتوحة وهاء تأنيث وهي قرية عظيمة على نهر سبو في العدوة الجنوبية خربت ولم يبق منها إلا آثار، ولها مسيل شتوي يعرف بمخروط جوطة ، نزلها السيد يحيى فنسب إليها وقبره هنالك معروف» اهـ.

بيعة السلطان أبي عبد الله الحفيد والسبب فيها

كان بنو مرين أيام ولايتم على المغرب يعظمون هؤلاء الأشraf الأدارسة ويوجبون حقهم ويتقررون إلى الله تعالى برفع منزلتهم وجبر خواطرهم لما فاتهم من رتبة الخلافة التي كانت تكون لهم بطريق الاستحقاق الشرعي، فكان بنو مرين لما جبلوا عليه من الجنوح إلى مراسم الدين وانتحالها يرون في أنفسهم كأنهم متغلبون مع وجود هؤلاء الأشraf. فلذا كانوا يخضعون لهم، ويتأذبون معهم ما أمكن، ولقد حكى أبو عبد الله بن الأزرق: أن الشيخ الكبير أبا عبد الله المقرى كان يحضر مجلس السلطان أبي عنان ليث العلم وكان نقيب الشرفاء بفاس إذا دخل مجلس السلطان يقوم له السلطان وجميع من في المجلس إجلالاً له، إلا الشيخ المقرى فإنه كان لا يقوم له، فجرت بين الشريف والفقير المذكور معاشرة ومراجعة في حكاية مشهورة، تركناها لعدم تعلق الغرض بها^(١) إذ الغرض هو الوقوف على ما كان عليه القوم من التجلة والتعظيم لأهل هذا البيت الكريم، فلما اضطررت أحوال الدولة المرinية بفاس واجتمع رؤساء فاس إلى الفقيه أبي فارس الوريacky في شأن اليهوديين اللذين كانوا يحتملوا في المدينة ويعتصمان أهلها، أجمع رأيهم على مبايعة هذا الشريف الحفيد، وكان يومئذ على نقابة الأشraf بفاس، فاستدعوه فحضر وبايده في العشر الأواخر من رمضان سنة تسع وستين وثمانمائة، وتم أمره وكان من قتلته للسلطان عبد الحق ما تقدم ذكره والله أعلم.

(١) راجع ذلك في «نيل الاتهام بتطريز الديباج» للشيخ أحمد باشا ص 254 طبع فاس و«فتح الطيب» للمقرى - ج 3 - صفحة 148.

فتنة الشاوية ووصولهم إلى بلاد الغرب

قد قدمنا ما كان من أمر الشاوية وفتنته في أيام السلطان عبد الحق ولما كانت أيام الحفيد هذا تزايد ضررهم واستطاع شررهم فزحفوا إلى بلاد الغرب من أحواز مكناسة وفاس، وعاثوا وأفسدوا، ولما تكلم أبو عبد الله محمد العربي الفاسي في «مرأة المحاسن» على الشيخ عبد الوارث الياقوتي وأنه أخذ من جماعة منهم: أبو النجاء سالم الروداني الشاوي، والشيخ أبو عبد الله الصغير السهلي، والشيخ أبو محمد الغزواني، قال: «وكان الشيخ أبو النجاء أولًا يقرأ بالمدرسة العنانية، فلما نزل الشاوية الغرب، خرج من فاس خائفاً يتربّ، وذلك في أيام الحميد» اهـ، وببلاد الغرب تطلق في عرف أهله على خصوص بسيط أزغار وما اتصل به إلى ساحل البحر والله أعلم.

استيلاه البرتغال على مدينة آنفي وأصيلا

رأيت في بعض توارييخ الفرنج أن استيلاه البرتغال على آنفي كان في حدود أربع وسبعين وثمانمائة، وأنهم هدموها وبقيت كذلك مدة تزيد على أربعين سنة، ثم شرعاً في تحسينها والبناء بها، ولم يزالوا مقيمين بها إلى حدود أربع وخمسين ومائة وألف في سنة ست وسبعين وثمانمائة استولوا على آصيلاً، وظفروا فيها ببيت مال الوطاسي، وأسرروا ولده محمدًا المدعو بالبرتغالي، وابنته وزوجته وجماعة من الأعيان، وكان الخطب عظيماً، وبقي ولد الوطاسي عند البرتغال سبع سنين، ثم افتكه والده بعد، وكان يوم أسره صبياً صغيراً، وأما مدينة فضالة فلم يقع عليها استيلاه وإنما كانت بها كمبانية خمسة نفر من تجار مادرید قاعدة قشتالة، نزلوها بقصد التجارة بإذنه سلطان الوقت^(١) وكانت سلعهم توسيق وتتوسع من مرساها، وبنوا بها البناء الموجود

(١) مولاي سليمان اهـ من خط مؤلفه.

اليوم والله تعالى أعلم.

خلع السلطان أبي عبد الله الحفيظ وانقراض أمره

قال في «الجذوة»: «لما قامت عامة فاس على السلطان عبد الحق وأقاموا هذا التقيب من أهل مدينة فاس إماماً استمر بها، وابنه وزير له، إلى سنة خمس وسبعين وثمانمائة، فعزل عن الإمامة وكان الذي خلّعه أبي الحجاج يوسف بن منصور بن زيان الوطاسي، وكان ذلك سبب ذهاب الشريف المذكور إلى تونس لمدة يسيرة من خلعه، وبقيت حضرة فاس الجديد في يد أخت أبي الحجاج المذكور وهي الزهراء المدعومة بزهور، مع قائده السجيري، إلى أن تولى الأمر أبو عبد الله محمد الشيخ الوطاسي» والله غالب على أمره.

الخبر عن دولة بنى وطاس وذكر نسبهم وأوليتهم

اعلم أن بنى وطاس فرقة من بنى مرين غير أنهم ليسوا من بنى عبد الحق، ولما دخل بنو مرين المغرب واقتسموا أعماله حسبما تقدم، كان لبني وطاس هؤلاء بلاد الريف فكانت ضواحيها لنزولهم وأمصارها ورعاياها لجيابتهم، وكان بنو الوزير منهم يسمون إلى الرياسة ويرومون الخروج على بنى عبد الحق، وقد تكرر ذلك منهم حسبما مر، ثم أذعنوا إلى الطاعة وراضوا أنفسهم على الخدمة، فاستعملهم بنو عبد الحق في وجوه الولايات والأعمال واستظهروا بهم على أمور دولتهم، فحسن أثراهم لديها وتعدد الوزراء منهم فيها، وذكر ابن خلدون: «أن بنى الوزير هؤلاء يرون أن نسبهم دخيل في بنى مرين، وأنهم من أعقاب يوسف بن تاشفين اللامتوني لحقوا بالبدو وتزلوا على بنى وطاس ووشجت فيهم عروقهم حتى لبسوا جلدتهم، ولم يزل السرور متربعاً بين أعينهم لذلك والرياسة شامخة بألوفهم» اهـ. ولما كانت دولة السلطان أبي عنان واستولى على بجاية، عقد عليها لعمر بن علي الوطاسي من بنى الوزير هؤلاء فثار عليه أهلها واستلحموه في خبر من التبيه عليه.

ثم لما كانت الدولة الأولى للسلطان أبي العباس بن أبي سالم، وخلص ملك مراكش وأعمالها إلى ابن عمه الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن، كان من جملة من تحيز إليه وصار في جملته، زيان بن عمر بن علي المذكور، فكانت له في دولته الوجاهة الكبيرة، والمنزلة الرفيعة، ثم لما فسد ما بين السلطان أبي العباس والأمير عبد الرحمن كان زيان بن عمر في جملة النازعين إلى السلطان أبي العباس، فاتصل به وصار في جملته إلى أن حاصر السلطان أبو العباس قصبة مراكش، وبها يومئذ الأمير عبد الرحمن، فأبلى

زيان بن عمر في ذلك الحصار وكان أحد الذين باشروا قتل ولدي الأمير عبد الرحمن.

قال ابن خلدون: «وطالما كان زيان هذا يمتري ثدي نعمتهم ويجر ذيله خبلاء في جاههم، فذهب مثلاً في كفران النعمة وسوء الجزاء، والله لا يظلم مثقال ذرة». ثم جاء بعده ابنه أبو زكرياء يحيى بن زيان فولي الوزارة للسلطان عبد الحق كما مر، ثم بعده ابنه يحيى أيضاً، وهو الذي قتله السلطان عبد الحق في جماعة من عشيرته، وفر أخوه أبو عبد الله محمد الشيخ إلى الصحراء ويفي متقللاً في البلاد إلى أن كان من أمره ما ذكره.

الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ بن أبي زكرياء الوطاسي رحمه الله

قد تقدم لنا ما كان من إيقاع السلطان عبد الحق ببني وطاس وإفلات محمد الشيخ ومحمد الحلول من النكبة، وأن الشيخ كان قد خرج للصيد فاتصل به الخبر فذهب على وجهه لا يلوى على شيء، وأن الحلول اخترى حتى إذا سكنت الهيئة تسلل ولحق بالشيخ فسارا إلى جهة الصحراء وجعلوا يتربدان فيما بينها وبين البلاد الهبطية حتى ملكا آصيلا، وذلك قبل استيلاء البرتغال عليها. ولما ملك الشيخ آصيلا واستفحلا أمره بها تشوفت إليه الأعيان من أهل فاس والرؤساء من أهل دولة السلطان عبد الحق وصاروا يكتابونه ويقدمون إليه الوسائل سراً وربما دعوا إلى القدوم على أن يذلوا له من الطاعة والنصرة ما شاء فاستمر الحال على ذلك إلى أن قتل عبد الحق وبوبع الحفيد، فحيثند أرهف الشيخ حله، واستفرغ في المطالبة جهده، إلى أن استولى على الحضرة وصفا له ملك المغرب.

قال في «المراة»: «لما بايع أهل فاس أبي عبد الله الحفيد قام محمد الشيخ الوطاسي في آصيلا واستبع القبائل واستفحلا أمره، وحاصر فاساً وقتاً

بعد وقت إلى أن دخلت في طاعته في رمضان سنة ست وسبعين وثمانمائة. وخرج عنها الحفيد ودخلها محمد الشيخ المذكور في أوائل شوال من السنة المذكورة وهو مورث الملك لبنيه بها» اهـ. وقد تقدم لنا أن الذي خلع الشريف من الملك هو أبو الحاج يوسف بن منصور الوطاسي، وأن حضرة فاس الجديد قد بقيت بعد ذهاب الشريف إلى تونس في يد زهور الوطاسية والقائد السجيري إلى أن قدم السلطان محمد الشيخ والله تعالى أعلم.

وقال منوبل في أخبار محمد الشيخ هذا ما صورته: «كانت مملكة المغرب الأقصى في غاية الاضطراب والانتكاس حتى طمع في ملكها كل من كانت توسوس له نفسه بذلك، واستولى ابن الأحمر على جميع الشغور التي كانت لبني مرين بأرض الأندلس ولم يترك لهم قيد شبر، وباشرت أجناد الفرنج للتغلب على المغرب، وفي تلك المدة كان بأصيلا محمد الشيخ الوطاسي، وكان شجاعاً مقداماً، وأحس من نفسه بالقدرة على الاستيلاء على كرسي فاس وتحية الشريف عنه، لا سيما مع ما كان الناس فيه من افتراق الكلمة فجمع جنداً صالحها وزحف إلى فاس فبرز إليه الشريف والتقوا بأحواز مكناسة فوقعت بينهما حرب عظيمة كانت الكفة فيها على الوطاسي، ثم جمع عسكراً آخر وزحف به إلى فاس وحاصرها نحو سنتين والشريف فيها مع أرباب دولته، وفي أثناء الحصار ورد عليه الخبر باستيلاء البرتغال على آصيلاً وعلى بيت ماله الذي كان بها وعلى حظياءه وأولاده، فأفرج عن فاس ورجع مبادراً إلى آصيلاً فحاصرها، ولما امتنع عليه عقد مع البرتغال هدنة وعاد سريعاً إلى فاس فحاصرها وضيق على الشريف بها حتى خرج فاراً بنفسه وأسلمها إليه فدخلها محمد الشيخ وتمت بيعته وتفرغ لتدعيم القبائل التي بأحواز فاس وغيرها، فدخلوا في طاعته وأغبطوا به» اهـ كلامه.

رياسة بنى راشد من شرفاء العالم بغمارة وبناؤهم مدينة شفشاون وما يتبع ذلك

قال في «نشر المثاني»: «اختط بعض شرفاء العلم مدينة شفشاون بقصد تحصين المسلمين من نصارى سبتة، إذ كانوا بعد استيلائهم عليها يتظاولون على أهل تلك المداشر في أواخر دولة بنى وطاس».

وقال في «المراة»: «كان ابتداء اختطاط مدينة شفشاون في الجهة المعروفة عندهم بالعدوة، وهي عدوة وادي شفشاون، في حدود سنة ست وسبعين وثمانمائة، على يد الشريف الفقيه الصالح الناصح المجاهد أبي الحسن بن أبي محمدالمعروف بأبي جمعة العلمي، واسمـه الحسن بن محمد ابن الحسن بن عثمان بن سعيد بن عبد الوهاب بن علال بن القطب أبي محمد عبد السلام بن مشيش، ومات شهيداً قبل إتمام ما شرع فيه، بتدمير النصارى دعراهم الله مع أهل التفاق إذ ذاك من أهل الخروب، وقد جاءهم في سبيل الجهاد وبينما هو يتهجد من الليل في مسجد هنالك، إذ أضرموا عليه ناراً فمات رضون الله عليه، وقام مقامه فيما كان بسيله من الجهاد والاستئثار له وتجييش الجيوش ابن عمـه الأمير الجليل، الفاضل الأصيل، أبو الحسن عليـ بن موسىـ بن راشـدـ بن عـلـيـ بن سـعـيدـ بن عبدـ الوـهـابـ إلى آخرـ النـسـبـ المتـقدـمـ، فـشـرـعـ فيـ اختـطـاطـ مـديـنـةـ شـفـشاـونـ فيـ العـدـوـةـ الـأـخـرـىـ فـبـنـىـ قـصـبـتهاـ وـشـيـدـهـاـ وـأـوـطـنـهـاـ بـأـهـلـهـ وـعـشـيرـتـهـ، وـزـلـ النـاسـ بـهـاـ فـبـنـواـ وـصـارـتـ فـيـ عـدـادـ الـمـدـنـ إـلـىـ أـنـ تـوـفـيـ سـنـةـ سـبـعـ عـشـرـةـ وـتـسـعـمـائـةـ، وـورـثـهـ بـنـوـهـ مـنـ بـعـدـهـ وـلـمـ يـزـالـواـ فـيـهـاـ بـيـنـ سـلـمـ وـحـرـبـ إـلـىـ أـنـ أـخـرـجـهـمـ مـنـهـاـ الشـرـفـاءـ السـعـديـونـ عـنـ استـيـلـاهـمـ عـلـىـ بـلـادـ الـمـغـرـبـ وـالـهـ تـعـالـىـ أـعـلـمـ».

ثورة عمرو بن سليمان السياف ببلاد السوس وهي من أخباره

هذا الرجل هو عمرو بن سليمان الشيشظمي المعروف بالسياف، ويقال له: المريدي بضم الميم، وكان ابتداء أمره أنه كان من تلامذة الشيخ أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي صاحب دلائل الخيرات، نقل الثقات أنه كان يتردد إلى الشيخ المذكور، أيام حياته ويأتيه باللوائح فيها كلام كثير منسوب إلى الخضر عليه السلام، فلا يقول له في ذلك شيئاً غير أنه أتى عليه مرات كثيرة، ثم لما مات الشيخ المذكور رحمة الله سنة سبعين وثمانمائة ثار عمرو المذكور مظهراً الطلب بثار الشيخ والانتقام من الذين سموه، إذ كان سمه بعض فقهاء عصره، فتتبعهم حتى قتلهم، ثم صار يدعوا الناس إلى إقامة الصلاة ويقاتلهم عليها، فانتصر عليهم وشاع ذكره وتمكن ناموسه، ثم تجاوز ذلك إلى أن صار يدعو الناس إلى نفسه ويقتل المنكرين عليه وعلى شيخه وأصحابه، وسمى أصحابه المريديين، بضم الميم، قال زروق: «وما أحقرها بالفتح» وسمى المخالفين له الجاحدين ثم جعل يتفوه بالغميغيات ويزعم أنه مأذون، وربما أدعى النبوة. وكان قد أخرج شلو الشيخ الجزولي من قبره وجعله في تابوت وصار يقدمه بين يديه في حروبها كتابوت بنى إسرائيل فيتصدر على من خالقه، وقيل: إنه لم يدفعه وإنما أخذه بعد موته فنكته وجعله في التابوت، وجمع الجموع، وقاد الجيوش، وسفك الدماء، واستمرت فتنة في الناس عشرين سنة.

قال الشيخ زروق رحمة الله: «بلغني أن شيخنا الفقيه أبا عبد الله القوري ورد عليه سؤال في شأن عمرو بن سليمان السياف فبادرت إليه كي أراه فقال لي: (قد خرج من يدي)، فقلت له: (فما مقتضاه؟)، قال: (مقتضاه أنه يقول: إن أحكام الكتاب والسنة ارتفعت ولم يبق إلا ما يقول له قلبه). قال زروق: «وشايع من أمره أنه يقول: إنه وارث النبوة، وأن له أحكاماً تخصه كما في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام، وأن الخضر حي، ونبي مرسلاً، وأنه يلقاه ويأخذ عنه، يل يدعى ذلك من هو دونه من تلامذته».

وحكى بعضهم أن عمراً المذكور لما جعل شلو الشيخ في التابوت، كان إذا رجع به من حربه وضعه في روضة عنده يسمىها الرباط، فإذا جنَّه الليل أطاف الحرمس بالروضة يحرسون التابوت من السراق ويوقِّد عليه كل ليلة فتيلة عظيمة في مقدار الثوب مغمومسة في نحو مدين من الزيت ليقوى الضوء ويتشير، ويبليغ من كل الجهات إلى مسافة بعيدة، فتنكشف الطرق عنمن يأتي عليها، كل ذلك مخافة أن يؤخذ منه شلو الشيخ فيتصر به عليه.

ويقال: إن ثورة عمرو المذكور وفتنته كانت أثراً من آثار دعوات الشيخ الجزوئي رحمة الله، فقد ذكر تلامذته كالشيخ التباع وغيره: أن الشيخ الجزوئي خرج عليهم من آخر الليلة التي قتل في صبيحتها، فقالوا له: «يا سيدي الناس يزعمون أنك الفاطمي المنتظر» فقال: «ما يبحثون إلا عنم يقطع رقبتهم، الله يسلط عليهم من يقطع رقابهم» وكرر ذلك مراراً، فكانوا يرون أن أثر دعوته ظهر في عمرو السياف والله أعلم.

وقتل عمرو المذكور سنة تسعين وثمانمائة وخالف فيمن قتله، فقيل: كان عمرو قد تزوج زوجة الشيخ الجزوئي وبنته فلما رأينا ما هو عليه من الزندقة والفساد في الأرض قتلتاه امتعاضاً للدين، ترصدتها حتى إذا نام عدتها عليه فقتلتاه ثم رمت إحداهم وهي بنت الشيخ بنفسها من كوة هنالك في البيت الذي كانوا به فوصلت إلى الأرض سالمة ونجت، وبقيت الأخرى، وهي الزوجة، بالبيت فدخلوا عليها فقتلواها. وقيل: إنما قتلته زوجته وريسته، وقيل: غير ذلك والله أعلم.

ولما هلك عمرو السياف دفن الناس الشيخ الجزوئي، وقيل: هو دفنه بموضع يعرف بتاصرفوت ثم نقل بعد إلى مراكش على ما نذكر إن شاء الله ولما ذكر الشيخ أبو العباس الصومعي في كتابه الموضوع في مناقب الشيخ أبي يعزى قصة نقل الشيخ الجزوئي إلى مراكش، وأنه وجد طريباً لم يتغير بعد وفاته بنحو سبعين سنة، قال: «وأعجب من هذا أن عمراً المغيطي السياف زعموا أنه وجد كذلك، ولعله أدركته بركة هذا الشيخ مع ما كان عليه والفضل بيد الله» أهـ.

وفي سنة إحدى وتسعين وثمانمائة استدعي السلطان محمد الشيخ الإمام أبي عبد الله بن غازى من مكناة إلى فاس فولى الخطابة أولاً بالمسجد الجامع من فاس الجديد ثم ولى الإمامة والخطابة ثانياً بمسجد القرويين من فاس وصار شيخ الجماعة بها واستوطنها إلى أن مات رحمة الله.

وفي سنة خمس وستين وثمانمائة تحرك السلطان محمد الشيخ إلى دبدو ثم عاد إلى حضرته. وفيها أيضاً في يوم الخميس السابع من ذي القعدة توفى الوزير أبو عبد الله محمد الحلو الوطاسي ودفن بالقلة خارج باب الحبيبة.

وفي سنة سبع وتسعين وثمانمائة استولت الرينة إيسابيلا صاحبة مادرید
قاعدة بلاد قشتالة على حمراء غرناطة ومحلت دوله بنى الأحمر من جزيرة
الأندلس ولم يبق لل المسلمين بها سلطان، وتفرق أهلها في بلاد المغرب
وغيرها أيادي سبا، وقد تقدم الخبر عن ذلك مستوفى.

بناء مدينة تطاوين

قال منويل: «لما استولى الأصينيول على غرناطة خرج جماعة كبيرة من أهلها إلى المغرب فنزلوا في مرتيل قرب تطاوين ولما نزلوا به لم يقدموا شيئاً على الوفادة على سلطان فاس محمد الشيخ الوطاسي، فأجل مقدمهم ورحب بهم، فقالوا: إن ضيافتنا عندك أن تعين لنا موضعًا نبني فيه بلدًا يكتننا ونحفظ فيه عيالنا من أهل الريف» فأجابهم إلى مرادهم وعين لهم مدينة تطاوين الخالية منذ تسعين سنة وولي عليهم كبيرهم أبا الحسن عليا المنظري، وكان رجلاً شجاعاً من كبار جند ابن الأحمر، وكان قد أبلى معه في حرب غرناطة البلاء الحسن ثم انتقل إلى المغرب كما قلنا، ولما عقد له الشيخ الوطاسي على أصحابه رجم بهم إلى تطاوين وشرع في بناء أسوار البلد القديم، فجدهم وبنى المسجد الجامع به واستوطنه هو وجماعته، ثم أخذ في جهاد البرتغال بسبعة وبلاط الهبط إلى أن أسر منهم ثلاثة آلاف فاستخدمهم في إتمام ما بقي

عليه من بناء تطاوين، واتصلت الحرب بينهم وبين بررتقال سبعة كاتصالها بين أهل آزمور وبررتقال الجديدة» اهـ.

وقوله: إن بناء تطاوين كان عقب أخذ غرناطة مخالف لما يقول أهل تطاوين من أن تاريخ بنائها رمز: «تفاحة»، وأن ذلك كان بإعانة الشريف أبي الحسن علي بن راشد، فيظهر والله أعلم أن أبي الحسن المنظري كان قد قدم من الأندلس قبل أخذ غرناطة بستين يسيرة موافق الرمز المذكور، والله أعلم.

قدوم أبي عبد الله بن الأحمر مخلوعاً على السلطان محمد الشيخ الوطاسي رحمهما الله

لما استولى طاغية الإصبييول على حضرة غرناطة وسائر الأندلس، انتقل سلطانها أبو عبد الله بن الأحمر إلى حضرة فاس فاستوطنها تحت كنف السلطان محمد الشيخ بعد أن خاطبه من إنشاء وزيره أبي عبد الله محمد العربي العقيلي بقصيدة بارعة يقول في صدرها:

رعيا لما مثله يرعى من الذم	مولى الملوك ملوك العرب والعجم
جار الزمان عليه جور منتقم	بك استجرنا ونعم الجار أنت لمن
وأفزع الخطب ما يأتي على الرغم	حتى غدا ملكه بالرغم مستلباً
وهل مردا الحكم منه منحتم	حكم من الله حتم لا مرد له

وهي طويلة. ثم وصلها برسالة يقول فيها بعد الحمد لله والصلوة على نبيه ما نصه.

أما بعد: فيامولانا، الذي أولانا من النعم ما أولانا، لا خط الله لكم من العزة أرواقاً، ولا أذوى لدوحة دولتكم أغصاناً ولا أوراقاً، ولا زالت مخضرة العود، مبتسمة عن زهرات البشائر متحفة بثمرات السعود، ممطرة بسحائب البركات المتداركات دون برق ولا رعود، هذا مقام العائد بمقامكم، المتعلق بأسباب ذمامكم، المرتجي لعواطف قلوبكم، وعوارف أنعامكم،

المقبل الأرض تحت أقدامكم، المتجلجح اللسان عند محاولة مفاتها
كلامكم، وماذا الذي يقول من وجهه خجل وفؤاد وجل، وقضيته المقضية
عن التنصل والاعتذار تجل؟ ييد أني أقول لكم ما أقول لربى، واجترائي عليه
أكثر واحترامي إليه أكبر، «اللهم لا بريء فاعتذر، ولا قوي فائتصر» لكنني
مستقيل مستعتبر مستغفر، «وما أبرئ نفسي، إن النفس لأمارة بالسوء» هذا
على طريق التنازل والاتصاف بما تقتضيه الحال ممن يتحيز إلى حيز
الإنصاف. وأما على جهة التحقيق، فأقول ما قاله الأم ابنة الصديق: والله
إني لأعلم أني إن أقررت بما يقوله الناس والله يعلم أني منه بريئة لا قول ما
لم يكن، ولئن أنكرت ما تقولون لا تصدقوني. فأقول ما قاله أبو يوسف:
«فَصَبِرْ جَمِيلُ وَاللهُ الْمُسْتَعْنُ عَلَى مَا تَصْفُونَ» على أني لا أنكر عيوبي فأنا
معدن العيوب، ولا أجحد ذنبوي فأنا جبل الذنوب، إلى الله أشكو عجري
وبحري، وسقطاتي وغلطاتي. نعم، كل شيء ولا ما يقوله المتقول المشنع
المهول، الناطق بضم الشيطان المسؤول، ومن أمثالهم: «سبني واصدق، ولا
تفتر ولا تخلق» ألمثلني كان يفعل أمثالها ويتحمل من الأوزار المضاعفة
أحمالها، وبهلك نفسه ويحيط أعمالها؟ عيادة بالله من خسران الدين وإيثار
الجاحدين والمعتدين، «فَدَّ حَنَّلَتْ إِذَا وَمَا أَنَا بِنَّ الْمُهَتَّبِينَ» [الأنعام: ٥٦]

وايم الله لو علمت شرة في فودي تميل إلى تلك الجهة لقطعتها، بل لقطفت
ما تحت عمامتي من هامتي وقطفتها، غير أن الرفاع في كل أوان أعداء
للمملk وعليه أحزاب وأعوان، كان أحمق أو أجهل من أبي ثروان، أو أعقل
أو أعلم من أشجعبني مروان «رب متهم بريء»، ومسربال بسربال وهو منه
عربي، وفي الأحاديث صحيح وسقيم، ومن التراكيب المنطقية متوج وعقيم،
ولكن ثم ميزان عقل تعتبر به أوزان النقل، وعلى الراجع الاعتماد، ثم إساغة
الأحمد المتصل المتمد وللمرجوح الإطراح، ثم التزام الصراح، بعد النفض
من الراح، وأكثر ما تسمعه الكذب، وطبع جمهور الخلق إلا من عصمه الله
تعالى إليه منجدب، ولقد قذفنا من الأباطيل بأحجار، ورمينا بما لا يرمي به
الكافر، فضلاً عن الفجار، وجرى من الأمر المنقول على لسان زيد وعمرو ما

لديكم منه حفظ العjar، وإذا عظم الإلقاء، فعلى تكأة التجلد والاتقاء، أكثر المكثرون، وجهد في تشيرنا المتعثرون، ورمونا عن قوس واحدة، ونظامونا في سلك الملاحدة أكفرأ أيضاً كفراً؟، غفرأ اللهم غفرأ، أعد نظراً يا عبد قيس، فليس الأمر على ما خيل للك ليس، وهل زدنا على أن طلبنا حقنا من رام محققه ومحقنا فطاردنا في سبيله عداة كانوا لنا غائظين، فانتقم علينا فتق لم يمكننا له رتن، **«وَمَا كُنَّا لِغَيْبٍ حَتَّىٰ يَرَوُنَا»** [يوسف: ٨١]، وبعد فاسأل أهل الحل والعقد والتمييز والنقد، فعند جهيتهم تلقى الخبر يقيناً، وقد رضينا بحكمهم يومنا في يومتنا، أو ييرتنا فيقيناً. إيه يا من أشرأب إلى ملامنا، وتدح حتى في إسلامنا، رويداً رويداً، فقد وجدت قوة وأيداً، وبمحك إنها طال لسانك علينا، وامتد بالسوء إلينا، لأن الزمان لنا مصغر ولك مكبر، والأمر عليك مقبل وعننا مدبر، كما قاله كاتب الحاجاج المتبر. وعلى الجملة فهنا صرنا إلى تسليم مقالك جدلاً، وذهبنا فأقررنا بالخطأ في كل ورد وصلبر فللله در القائل:

«إن كنت أخطأت فما أخطأنا القدر» وكأننا بمعتسف إذا وصل إلى هنا، وعدم إنصافاً يعلمه الهنا، قد أزور متجانفاً، ثم أفتر متهاوناً وجعل يتمثل بقولهم: «إذا عيروا قالوا: مقادير قدرت» ويقول لهم: «المرء يعجزه المحال، فيعارض الحق بالباطل، والحالى بالعاطل» وينزع بقول القائل «رب مسع هائل وليس تحته طائل» وقد فرغنا أول أمس من جوابه، وتركنا الضغن يلصق حرارة الجوئ به، وسنلم الآن بما يوسعه تبكيتاً، ويفقطه تسكتياً، فنقول له: ناشدناك الله تعالى هل اتفق لك قط وعرض خروج أمر ما عن القصد منك فيه والغرض، مع اجتهادك أبناءه في إصدارك، وإبرادك في وقوعه على وفق اقتراحك. ومرادك، أو جميع ما تزاوله بإدارتك لا يقع إلا مطابقاً لإرادتك، أو كل ما تقصده وتنويه تحرزه كما تشاء وتحويه؟ فلا بد أن يقر اضطراراً بأن مطلوبه يشد عنه مراراً، بل كثيراً ما يفلت صيده من أشراكه، ويطلبه فيعجز عن إدراكه، فنقول: ومسألتنا من هذا القبيل: أيها النبي النبيل، ثم نسرد له من الأحاديث النبوية ما شئنا، مما يسايرنا في غرضنا منه ويعاشرنا، كقوله

﴿كُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدْرٍ حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ﴾ وقوله أيضاً: «لو اجتمع أهل السموات والأرض على أن يتفعموك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه» أو كما قال عليه السلام: فأخلق به أن يلوذ بأكتاف الأحجام، ويزم على نفث فيه كأنما الجم بلجام. حينئذ يقول له، والحق قد أبيان وجهه وجلاه وقهره بحجته وعلاه. «ليس لك من الأمر شيء» «قل إن الأمر كله لله»، وفي محاجة آدم وموسى ما يقطع لسان الخصم، ويرخص عن أثواب أغراضنا ما عسى أن يعلق بها من دون الوصم، وكيفما كانت الحال، وإن ساء الرأي والاتصال ووقعنا في أوحال وأحوال، فثل عرشنا، وطوبت فرشنا، ونكس لوانا، ومللت مثوانا فتحن أمثل من سوانا، «وما في الشر خيار» ويد الألطاف تكسر من صولة الأغيار، فحتى الآن لم نفقد من اللطيف تعالى لطفاً، ولا عدمنا أدوات أدعية تعطف بلا مهلة على جملتنا المقطوعة جمل النعم الموصولة عطفاً، وإلا فتلك بغداد دار السلام، ومتبوا الإسلام، المحفوف بفرسان السيوف والأقلام مثابة الخلافة العباسية، ومقر العلماء والفضلاء أولى السير الأولى، والعقول الأولى، قد نزلت بالجيوش ونزلت، وزوالت بالزحوف وزلزلت، وتحيف جوانبها الحيف، ودخلها كفار التتار عنوة بالسيف، ولا تسل إذ ذاك عن كيف، أيام تجلت عروس المتنية، كاشفة عن ساقها مبدية، وجرت الدماء في الشوارع والطرق كالأنهار والأودية، وقيد الأئمة والقضاة تحت ظلال السيوف المنتضاة بالعمائم في رقبتهم والأردية، وللنرجس سيول تخوضها الخيول فتخضبها إلى أرساغها، وتهم ظماها بوردها فتنكل عن تجرعها ومساغها، فطاح عاصمتها ومستعصمها، وراح ولم يعد ظالمها ومتظلمها، وخربت مساجدها وديارها، واصطلم بالحسام أشرارها وخيارها، فلم يبق من جمهور أهلها عين تطرف، حسبما عرفت أو حسبما تعرف، فلاتك متشككاً متوقفاً، ف الحديث تلك الواقعه الشناعه أشهر عند المؤرخين من قفا، فأين تلك الجحافل والأراء المداراة في المحافل؟ حين أراد الله تعالى بياضاته الكفر لم تجد ولا فلامه ظفر، إذن من سلمت له نفسه

التي هي رأس ماله، وعياله وأطفاله اللذان هما من أعظم آماله، وكل أوجل أو قل رياشه وأسباب معاشه الكفيلة بانتهاضه وانتعاشه ثم وجد مع ذلك سبلاً إلى الخلاص في حال ميسرة ومساهلة دون تعصب واعياص، بعد ما ظن كل الظن أن لا محيد ولا مناص فما أحقه حينئذ وأولاً أن يحمد خالقه ورازقه ومولاه، على ما أسداه إليه من رفده وخيরه، ومعافاته مما ابتلي به كثير من غيره، ويرضى بكل إيراد وإصدار، تتصرف فيما الأحكام الإلهية والأقدار، فالدهر غدار، والدنيا دار مشحونة بالأكدر والقضاء لا يرد ولا يصد ولا يغالب ولا يطالب، والدائرات تدور، ولا بد من نقص وكمال للبدور، والعبد مطيع لا مطاع، وليس يطاع إلا المستطاع، وللحالق القدير جلت قدرته في خليقته علم غيب للأذهان عن مداء انقطاع، ومالى والتکلف لما لا أحتاج إليه من هذا القول، بين يدي ذي الجلالة والمجادلة والفضل والطول، فله من العقل الأرجح ومن الخلق الأسجع ما لا تلتاط معه تهمتي بصفه، ولا تنفق عنده وشایة الواشي لا عد من نفره، ولا فاز قدحه بظفره، والمولى يعلم أن الدنيا تلعب باللاعب، وتجر براحتها إلى المتابع، وقديمأ للأكياس من الناس خذعت، وانحرفت عن وصالهم أعقل ما كانوا وقطعت، وفعلت بهم ما فعلت بيسار الكواكب الذي جبت وجذعت، ولكن رهست وهصرت فقد نبهت وبصرت، ولكن قرعت ومضت ولقد أرشدت ووعظت، وبا ويلنا من تنكرها لنا بمرة، ورميها لنا في غمرة أي غمرة، أيام قلبنا ظهر المجن، وغير أفقها المصمي وأدجن، فسرعان ما عاينا حبالها منتبه، ورأينا منها ما لم نحتسب كما تقوم الساعة بفتحه، فمن استعاد من شيء فليستعد مما صرنا إليه من الحور بعد الكور، والانحطاط من النجد إلى الغور:

فبيتنا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقه نتنصف
 فتبأ لدينا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف
 وأبيها لقد أرهقتنا إرهافاً، وجرعتنا من صاب الأوصاب كأساً دهافاً، ولم
 نفرغ إلى غير بابكم المنبع الجناب المنفتح حين سدت الأبواب، ولم نلبس

غير لباس نعمايكم وحين خلعتنا ما ألبسنا الملك من الأثواب، وإلى أمه يليجاً الطفل لجأ المهاهفان، وعند الشدائيد تمتاز السيف من الأجهان، ووجه الله تعالى يبقى وكل من عليها فان، وإلى هنا يتنهى القائل ثم يقول: حسيبي هنا وكفان. ولا ريب في اشتغال العلم الكريم على ما تعارفته الملوك بينها في الحديث والقديم من الأخذ باليد عند زلة القدم، وقع الإنسان وغض البنان من الندم، ديناً تديته مع اختلاف الأديان وعادة أطربت على تعاقب الأزمان والأحيان، ولقد عرض علينا صاحب فشنالة مواضع معتبرة خير فيها، وأعطي من أمانة المؤكد فيه خطه بأيمانه ما يقنع التقوس ويكفيها، فلم تر، ونحن من سلالة الأحمر، مجاورة الصفر، ولا سوغ لنا الإيمان الإقامة بين ظهراني الكفر، ما وجدنا عن ذلك مندوحة ولو شاسعة، وأمننا المطالب المشاغب حمة شر لنا لا سعة، وادكرنا أي ادكار قول الله تعالى المنكر لذلك غاية الإنكار: «أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَيَمِنَةً» [الناد: ٩٧] وقول الرسول عليه الصلاة والسلام المبالغ في ذلك بأبلغ الكلام: «أَنَا بُرِيءٌ مِّنْ مُؤْمِنٍ مَّعَ كَافِرٍ تَرَاءَى نَارَاهُمَا» وقول الشاعر الحاث على حد المطية المتناقلة عن السير في طريق منجانها البطية:

وَمَا أَنَا وَالْمُلْكُذُ نَحْوَ نَجْدٍ وَقَدْ غَصَّتْ تَهَامَةُ بِالرِّجَالِ
 وَوَصَّلَتْ أَيْضًا مِنَ الْشَّرْقِ إِلَيْنَا كَتَبْ كَرِيمَةِ الْمَقَاصِدِ لِدِينِنَا، تَسْتَدِعِي
 الْأَنْجِيَازَ إِلَى تَلْكَ الْجَنِيَاتِ، وَتَتَضَمَّنُ مَالًا مَزِيدًا عَلَيْهِ مِنَ الرِّغَيَاتِ، فَلَمْ تَخْتَرْ
 إِلَّا دَارَنَا الَّتِي كَانَتْ دَارَ آبَائِنَا مِنْ قَبْلِنَا، وَلَمْ نَرْتَضِ الْأَنْضُواءَ إِلَّا لِمَنْ يَجْبَلُهُ
 وَصَلَ حَبْلَنَا، وَبِرِيشِ نَبْلَهُ رِيشِ نَبْلَنَا، إِدْلَالًا عَلَى مَحْلِ إِخَاءِ مَتَوَارِثٍ لَا عَنْ
 كَلَالَةِ، وَامْتَالًا لَوْصَاهُ أَجَدَادُ لَا نَظَارَهُمْ وَأَقْدَارَهُمْ أَصَالَةٌ وَجَلَالَةٌ، إِذْ قَدْ رَوَيْنَا
 عَنْ سَلْفٍ مِنْ أَسْلَافِنَا فِي الْإِيَصَاءِ لِمَنْ يَخْلُفُ بِعَدْهُمْ مِنْ أَخْلَافِنَا: أَنْ لَا
 يَبْتَغُوا إِذَا دَهْمَهُمْ أَمْرٌ بِالْحَضْرَةِ الْمَرِينَيَّةِ بَدْلًا، وَلَا يَجْدُوا عَنْ طَرِيقِهَا فِي
 التَّوْجِهِ إِلَى فَرِيقِهَا مَعْدَلًا، فَاخْتَرُونَا إِلَى الْرِيَاضِ الْأَرِيَاضِ الْفَجَاجِ، وَرَكِبْنَا إِلَى
 الْبَحْرِ الْفَرَاتِ ظَهَرَ الْبَحْرِ الْأَجَاجِ، فَلَا غَرُورٌ أَنْ تَرُدْ مِنْهُ عَلَى مَا يَقْرَرُ الْعَيْنِ
 وَيَشْفِي النَّفْسَ الشَّاكِيَّةَ مِنْ أَلْمِ الْبَيْنِ، وَمِنْ تَوْصِلِ هَذَا التَّوْصِلِ وَتَوْسِلِ يَعْثَلِ

ذلك التوسل تطارحاً على سدة أمير المؤمنين، المحارب للمحاربين، والمؤمن للمسئلين، فهو الخليق الحقيق بأن يسوغ أصفي مشاربه ويبلغ أوفي مأربه على توالي الأيام والشهور والسنين، وبخلص من الشبور إلى الحبور ويخرج من الظلمات إلى النور خروج الجنين ولعل شعاع سعادته يفيض علينا، ونفحة قبول إقباله تسري إلينا فتختامنا أريجية تحملنا على أن نبادر لإنشاد قول الشريف الرضي في الخليفة القادر.

عطفاً أمير المؤمنين فإننا في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبداً كلانا في المعالي معرق
إلا الخلافة ميزتك فإنني أنا عاطل منها وأنت مطوق
لا بل الأخرى بنا والأحجي، والأنجح لسعينا والأرجي، أن نعدل عن
هذا المنهاج، ونقوم وافدنا بين يدي علاء مقام الخاضع المتواضع الضعيف
المحاج وينشد ما قال في الشيرازي ابن حجاج:

الناس يفدونك اضطراراً منهم وأفديك باختياري
ويعوضهم في جوار بعض وأنت حتى أموت جاري
فععش لخبيزي وعش لمائي وعش لداري وأهل داري
ونستوهب من الوهاب تعالى جلت أسماؤه، وتعاظمت نعماؤه، رحمة
تجعل في يد الهدایة أعتتنا وعصمة تكون في مواقف المخاوف جتنا، وقبولاً
يعطف علينا نوافر القلوب، وصنعاً يسني لنا كل مرغوب ومطلوب، ونسأله،
وطالما بلغ السائل سؤلاً ومامولاً، متباً صادقاً على موضوع التلم مهولاً،
ثم عزاء حسناً وصبراً جميلاً، عن أرض أورثها من شاء من عباده معقباً لهم
ومدبلاً، وسدلاً عليهم من ستور الإماء الطويلة سدواً، **﴿شَتَّةً أَهْوَى إِلَيْهِ قَدْ**
خَلَّتْ مِنْ قَبْلٍ وَلَنْ يَمْحَدَ لِسْتَنَّةُ اللَّهُ تَبَّعِيلًا﴾ [الفتح: 23] فليطر طائر الوسوس
المرفف. مطيراً **﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾** [الإسراء: 58] لم نستطع عن
موردك صدوراً، **﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾** [الأحزاب: 38]، إلا وإن هـ سبحانه
في مقامكم العالي الذي أيده وأعنه سراً من النصر يترجم عنه لسان من
النصل، وترجع فروع البشائر الصادقة بالفتورات المتلاحقة من قاعدته

المتأصلة إلى أصل، فبمثلك يجب اللحاد والعياذ ولشبيهه يحق الالتجاء والارتجاء، ولأمر ما أثرناه واخترناه، بعد أن استرشدنا الله سبحانه واستخرناه، ومنه جل جلاله نرحب أن يخير لنا ولجميع المسلمين، ويأوب بنا من حمايته ووقايتها إلى معلم منيع وجناب رفيع. آمين، آمين، آمين.

ونرجو أن يكون ربنا الذي هو في جميع الأمور حسبنا قد خار لنا حيث أرشدنا وهدانا، وساقنا توفيقه وحدانا إلى الاستجارة بملك حفي، كريم وفي، أعز جاراً من أبي داود، وأحلى أنفأ من العارث بن عباد، يشهد بذلك الداني والقاصي والحاضر والباد، إن أغاث ملهوفاً فما الأسود بن قنان يذكر، وإن أتعش حشاشة هالك فما كعب بن مامه على فعله وحده يشكرا، جليسه كجلس القعقاع بن شور، ومذاكره كمذاكره سفيان المتتب من الرباب إلى ثور، إلى التحلبي بأمهات الفضائل التي أضدادها أمهات الرذائل وهي الثلاث: الحكمة والعدل والغفوة التي تشملها الثلاثة: الأقوال، والأفعال، والشمائل، وينشا عنها ما شئت من عزم وحزم وعلم وحلم، وتيقظ وتحفظ واتقاء وارتقاء، وصول وطول وسماح نائل، فبنور حلة المشرق يفتخر المغرب على المشرق، وبمجده السامي خطره في الأخطار وبيته الذي ذكره في النهاية والنجابة قد طار، يباهي جميع ملوك الجهات والأقطار، وكيف لا، وهو الرفيع المتنحي والنجمار، الراضع من الطهارة صفو البان الناشئ من السراوة وسط أحجار في ضئضي المجد وبحب الكرم، وسروراً أسرة المملكة التي أكتافها حرم، وذؤابة الشرف التي مجادتها لم ترم، من عشر أي عشر يخلوا أن وهبوا ما دون أعمارهم، وجبنوا إن لم يحموا سوى دمارهم. بنو مرين، وما أدرك ما بنو مرين «سم العدة وآفة الجزر» «النازلون بكل معترك، والطيبيون معاعد الأزر» لهم عن الهفوات انتقاء، وعندهم من السير النبوية اكتفاء انتسبوا إلى بر بن قيس، فخرجوا في البر عن القيس، ما لهم القديم المعروف قد نفذ في سبيل المعروف، وحديثهم الذي نقلته رجال الزحوف من طريق القنا والسيوف على الحسن من المقاصد موقف، تحمد من صغيرهم وكبارهم، ذابلهم ولدنهم فللهم آباء أنجبوهم، وأمهات ولدنهم، «شم

الأئف من الطراز الأول» إليهم في الشدائيد الاستناد، وعليهم في الأزمات المعمول، ولهم في الوفاء والصفاء والاحتفاء والعنابة والحماية والرعاية الخطوط الواسع والباع الأطول، كأنما عنهم بقوله جرول:

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا
 وإن عاهدوا وفوا وإن عقدوا شدوا
 وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها
 وما قلت إلا بالذى علمت سعد
 وتعذلني أبناء سعد عليهم
 ويقول الوثيق مبناء البليغ معناه:
 قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم
 شدوا العنج وشدوا فوقه الكربا
 يزيحون عن التزيل كل نازح فاصم، وليس له منهم عائب ولا واصم،
 فهو أحق بما قاله في منقر قيس بن عاصم:

لا يفطرون لعيوب جارهم وهم لحفظ جوارهم فطن
 حلامهم هذه الغريزة التي ليست باستكرياه ولا جعل، وأمير المؤمنين دام
 نصره قسيمهم فيها حذو النعل بالنعل، ثم هو عليهم وعلى من سواهم
 بالأوصاف الملوكية مستعمل، ارفض مزنهم منه عن غيث ملث يمحو آثار
 اللزبة، وانشق عليهم منه عن ليث ضار منقبض على برائته للوثبة، فقل
 لسكان الفلا: لا تغرنكم أعدادكم وأعدادكم فلا يالي السرحان المواشي سواء
 مشي إليها النقا أو الجفلي بل يصدتهم صدمة تحطم منهم كل عرين، ثم
 يتطلع بعد أشلاءهم المغفرة ابتلاع التنين، فهو هو كما عرفوه وعهدوه وألفوه،
 وأخوه المنايا «وابن جلا وطلع الثنایا»، مجتمع أشدده، قد احتنكت سنه وبيان
 رشده، جاد مجد، محترم بحزام الحزم مشمر عن ساعد الجد.

لا يشرب الماء إلا من قليب دم ولا يبيت له جار على وجل
 أسدى القلب آدمي الروا، لابس جلد النمر يزني العناد والنوى
 وليس بشاري عليه دمامنة إذا ما سعى يسعى بقوس وأسهم
 ولكنه يسعى عليه مفاضة دلاص كأعيان الجراد المنظم
 فالنجاج النجاء سامعين له طائعين، والوجل الوجل لاحقين به خاضعين

قبل أن تساقوا إليه مقرئين في الأصفاد، ويعيي الفداء بتنفائس النفوس والأموال على الفاد، حينئذ بعض ذو الجهل والفداء على يديه حسرة وندامة، إذا رأى أبطال الجنود تحت خوافق الرایات والبنود، قد لفحتهم نار ليست بذات خمود، وأخلتهم صاعقة مثل صاعقة الذين من قبلهم عاد وشمد، زعقات توز الكتائب أزاً وهماً، محققاً للخيل بعد المد المتبوع للأعنة هماً، سلا للهندية سلاً وهزا للخطية هزاً، حتى يقول النسر للذئب: «هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ثق خليفة الله بذلك في كل من رام أنى رعيتك أو أذاك، فتلك عادة الله سبحانه في ذوي الشقاق والنفاق، الذين يشقون عصا المسلمين ويقطعون طريق الرفاق، وينصبون حبائل البغي والفساد في جميع النواحي والأفاق، فلن يجعلهم الله عز وجل من الآمنين، أنى وكيف وقد أفسدوا وخانوا وهو سبحانه ﴿لَا يُصلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يوسف: ٨١] و﴿لَا يَهْدِي كَذَّ الْمُغَالِبِينَ﴾ [يوسف: ٥٢] وها نحن قد وجهنا إلى كعبة مجدكم وجوه صلوات التقديس والتعظيم، بعد ما زينا معاطفها باستعطافكم بدر ثناء أبيه من در العقد النظيم متظمين في سلك أوليائكم، متشرفين بخدمة علمائكم، ولا فقد عزة ولا عدمها من قصد مثابتكم العزيزة وخدمها، وأن المترامي على سائركم لجدير بحرمتكم واعتنانكم، وكل ملهوف تبوا من كنفك حصناً حصيناً عاش بقيمة عمره محروساً من الضيم مصوناً، وقد قيل في بعض الكلام: «من قعدت به نكابة الأيام أقامته إغاثة الكرام»، ومولانا أيده الله تعالى ولبي ما يزفه إلينا من مكرمة بكر، ويصنعه لنا من صنيع حاصل يخلد في صحائف حسن الذكر، ويروي معنعن حديث حمده ومشكره طرس عن قلم عن بنان عن لسان عن فكر، وغيره من ينام عن ذلك فيحفظ، ويسترسل مع الغفلة حتى يذكر ويوعظ، وما عهد منذ وجد إلا سريعاً إلى داعي الندى والتكرم برئاً من الضجر بالطالبة والتبرم، حافظاً للregar الذي أوصى النبي ﷺ بحفظه، مستفرغاً وسعه في رعيه المستمر ولحظه، أخذنا من حسن الثناء في جميع الأوقات والآباء بحظه.

فهو من دوحة السنافر عز ليس يحتاج مجتبى لهز

وذراء في الجوف أمنع حرز
 فتفهم يا مدعى الفهم لغزى
 نظرة منه فيك تغنى وتجزي
 عام فيه الأيام عوم الأوز
 جع عنه الخطوب مرجع عجز
 فهو أدرى بما تضمن رمزي
 دام يحيى بكل صنع ومن
 ويعافى من كل بوس ورجز
 وكأننا به قد عمل على شاكلة جلاله من مد ظلاله وتمهيد خلاله، وتلقى
 ورودنا بتهلهل واستهلاله، وتأنسنا بجميل قوله وإقباله، وإبرادنا على حوض
 كوثره المترع بزلاله، والله سبحانه يسعد مقامه العلي ويسعدنا به في حلءه
 وارتحاله، وما له وحاله، ويؤيد جنده المظفر ويؤيدنا بتأييده على نزال عدوه
 واستزاله، وهز التوابيل لإطقاء ذباله، وهو سبحانه وتعالى المسؤول أن يريه
 قرة العين في نفسه وأهله، وخدماته وأمواله وأنظاره وأعماله، وكافة شؤونه
 وأحواله، وأحق ما نصل بالسلام وأولى، على المقام الجليل مقام الخليفة
 المولى، وأذكرى الصلاة والسلام على خاتمة أنبيائه، وإرساله، سيدنا ومولانا
 محمد ﷺ وعلى جميع أصحابه وأله، صلاة وسلاماً دائمين أبداً موصولين
 بدلوام الأبد واتصاله، ضامنين لمجددهما ومرددهما صلاح فساد أعماله،
 وبلغ غایة آماله، وذلك بمشيئة الله تعالى وإذنه وفضله وأفضاله». انتهت
 الرسالة وما كادت.

ووصل السلطان ابن الأحرم المخلوع بعد نزوله بمليلة إلى مدينة فاس
 بأهله وأولاده معترضاً عما أسلفه، متلهفاً على ما خلفه، ويني بفاس بعض
 قصور على طريق بنيان الأندلس، وتوفي بها سنة أربعين وتسعمائة ودفن بزار
 المصلى خارج باب الشريعة وخلف ذرية من بعله. قال في «نشر المثاني»:
 «انقرضوا ولم يبق منهم أحد». وزعم منويل أنه هلك في وقعة أبي عقبة في
 حرب الوطاسيين مع السعديين، قال: «ولم يحسن هذا الرجل أن يدفع عن
 ملكه فلقيه عن ملك غيره».

استيلاء البرتغال على ساحل البريجه وبناؤهم مدينة الجديدة صانها الله سبحانه وتعالى بعثه

قال مؤلفه عفا الله عنه: قد وقفت لبعض البرتغاليين واسمهم لويس ماريا على تأليف في أخبار الجديدة من لدن بنوها إلى أن انتزعها المسلمون منهم فاقتطفت منه ما أثبته في هذه الترجمة. قال هذا المؤلف: لما كانت سنة ألف وخمسمائة وأثنين مسيحية قلت: ويوافقها من تاريخ الهجرة سنة سبع وتسعمائة تقريباً بعث سلطان البرتغال، واسمها منويل، من دار ملكه أشبونة عمارة في البحر للاستيلاء على بعض ثغور المغرب فألجمهم هيجان البحر وموجه إلى ساحل البريجة فيما بين آزمور وتيط، وكانت البريجة على ما يفهم من كلامه بناء متخدناً هنالك للحراسة ونحوها كان يسمى برج الشیخ ولا زال مسمى بهذا الاسم إلى الآن، فأرسى البرتغاليون على الساحل المذكور ونزلت طائفة منهم إلى البر فتطوروا بالبريجة وما حولها وأعجبهم المكان فعزموا على المقام به، واتفق رأيهم أن يتراکوا جماعة هنالك يحفظون المحل ويرجع باقيهم إلى ملكهم يستأنفوه فيما عزموه عليه، فتركوا اثنى عشر رجلاً بالبريجة بعد أن حصنوها وشحذوها بما يحتاجون إليه من عدة وقوت ونحوهما، ورجع الباقيون إلى الملك فأذخبروه بشأنهم، فأذن لهم وبعث معهم جماعة من البنائن والعملة ليبيوا لهم ما يتحصنون به، فقدموا على إخوانهم وشرعوا في إدارة السور على قطعة من الأرض، فنذر بهم أهل تلك البلاد من المسلمين وتسابقوا إليهم على الصعب والذلول ففر النصارى إلى البريجة وتحصنوا بها وأفسد المسلمون كل ما كانوا عملوه في تلك الأيام وأحجزوهم بحصتهم، ووضعوا عليهم الرصد إلى أن فتر عزمهم وأيسوا من نجاح سعيهم، فعاد جلهم أو كلهم إلى أشبونة وأعادوا الكلام على ملكهم منويل في شأن البريجة ووصفو له حسن البقعة وصحة هوائتها من البحر، ومن قبائل أهل المغرب من أهل تامسنا ودكالة وغيرهم، وأنها عسى أن تكون سلماً للاستيلاء

على غيرها من بلاد المغرب، لا سيما ودولة المسلمين به يومئذ قد تلاشت مملكتهم قد ضعف، فوغر ذلك في نفس الملك واستأنف العزم، ويعث معهم حصة من العسكر تحصل بها الكفاية وتتأنى بها المدافعة والمانعة مع جماعة وافرة من البناءين والمهندسين، وحملهم ما يحتاجون إليه من آلة وغيرها، فانتهوا إلى الموضع المذكور بعد سبع سنين من مقدمهم الأول، وتحجروا غفلة أهل البلاد وشرعوا في بناء حصن مربع على كل ربع منه برج وثيق، ودأبوا في العمل ليلاً ونهاراً فلم تمض مدة يسيرة حتى فرغوا منه وامتنعوا على المسلمين به. وكان إنشاؤهم لهذا الحصن على البريجية القديمة بأن جعلوها أحد أرباعه وأضافوا إليها ثلاثة أرباع آخر، وأداروا السور على الجميع، واتخذوا في داخل هذا الحصن ماجلاً عظيماً لخزن الماء، وهو النطفيه في لسان الجيل، بنوه مربعاً بتربيع الحصن، مساحة كل ربع منه مائة وثلاثون شيئاً وجوانبه وقبوه من حجر النصف العجيب النحت المحكم الوضع والالتمام، محمولاً ذلك القبو على ستة أقواس في كل ربع. قال هذا المؤلف: وامتلاء نحو بلکاظة من هذا الماجن يسع عشرين بوطة من الماء، ثم شيدوا على أحد أرباع هذا الحصن طريأً عظيماً مرتفعاً جداً، ليس صادق التربيع ولا الاستدارة غير مهندس الشكل، ثم بناوا في أعلىه على أحد جوانبه بناء آخر لطيفاً مستديراً صاعداً في الجويروقي إليه على مدرج لطيفة، وجعلوا في أعلىه صاريأً خارجاً من جوفه، وناقوساً للحراسة يشرف الحراس منه على نحو خمسة وعشرين ميلاً من سائر جهاته. وجميع هذه البناءات التي ذكرها المؤلف من الحصن وما معه لا زالت قائمة العين والأثر إلى الآن إلا الطري للمسجد الجامع، وذلك أن عامل الجديدة في هذا العصر، وهو الرئيس الفاضل أبو عبد الله محمد بن إدريس الجرازي حفظه الله، استاذن الخليفة، وهو السلطان الأعظم المولى الشريف أبو علي الحسن بن محمد العلوى نصره

الله، في جعله مناراً لكون المنار القديم قصيراً لا يسمع الناس الأذان، فأنذن أعزه الله في ذلك، وهذا العامل اليوم جاد في إصلاحه والزيادة فيه وقد أشرف على التمام، وكذلك استأذن هذا العامل حضرة السلطان المذكور في إدارة جدار من داخل سور المدينة يكون ستراً على منازل أهلها وبيوتها، لأن السور المذكور كان مرتفعاً على البلد بحيث يكون الصاعد عليه متكتشاً على البيوت، واستأذنه في إصلاح القبة المشرفة على البحر المعروفة بقبة الخياطين، وكانت قد تلاشت، وباتخاذ سجن متسع محكم عن يمين الداخل من باب المدينة المذكورة لأنه لم يكن بها سجن معتبر، فأجابه الخليفة المذكور إلى ذلك كله أداء الله علاه. وقد تم جل ذلك وعادت القبة إلى أحسن حالاتها التي كانت عليها أيام البرتغال والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

ولنرجع إلى موضوعنا الذي كنا فيه فنقول: ثم شرع نصارى البرتغال بعد الفراغ من الحصن المذكور في إدارة سور المدينة على أوثق وجه وأحকمه وذلك أنهم عدوا إلى بقعة مربعة من الأرض مساحة كل ربع منها ثلاثة وخمس وسبعين خطوة، وجعلوا مركزها الحصن المذكور ثم أداروا بها سورين عاديين ثخن الخارج منها نحو خمسة عشر شبراً، والداخل على نحو الثالثين منه، وبينهما فضاء مردوم بالتراب والحجارة الصغيرة، فصار السوران بذلك سوراً واحداً سعته خمسون شبراً، وهذا في غير الربع المولى للبحر، أما هو فليس فيه ردم وإنما هو سور واحد مصمّت أضيق مما عداه يسيراً وارتفاع هذه الأسوار من داخل البلد نحو ستين شبراً ومن خارجه نحو السبعين. ثم أداروا خارج سور خندقاً فسيحاً وجعلوا عمقه أربعة عشر شبراً بحيث بلغوا به الماء وإذا فاض البحر ملأ ما بين جوانبه. واتخذا للمدينة ثلاثة أبواب أحدها للبحر وهو باب المرسى، وقد سد بالبناء في هذه السنين، وأثنان للبر وجعلوا أمامهما قنطرتين بالعمل الهندسي بحيث ترفعان وتتوسعان وقت الحاجة إلى ذلك، فصارت المدينة بهذا كله في غاية المثابة.

وكان بنو وطاس في هذه المدة أشغل من ذات النحين مع برتغال سبعة وطنجة وسائر بلاد الهبط، فلذا تأتى لهؤلاء النصارى أن يفعلوا ما فعلوه في هذه المدة البسيرة، وجعلوا داخل المدينة خمس حارات وسموا كل حارة باسم كبير من قدمائهم على عادتهم في ذلك، واتخذوا بها أربع كنائس، واتخذوا المخازن والأهراة للاختزان وسائر المرافق ومن جملتها هری كان يسع ستمائة فنية من العجائب وأوطنوها بأهلهم وعيالهم، وكان فيها جماعة من أشرافهم وذوي بيوتاتهم من أهل أشبونة وغيرها، وكانوا يعدون فيها أربعة آلاف نفس ما بين المقاتلة والعيال والنذرية، وكانتوا يأملون الاستيلاء منها على مراكش فخيب الله رجاءهم، ثم ذكر هذا المؤلف ما كان يقع بين المسلمين ونصارى الجديدة من الحروب والغارات مما لعلنا نشير إلى بعضه في محله إن شاء الله.

استيلاء البرتغال على سواحل السوس وبناؤهم حصن فونتي قرب أكادير وما قبل في ذلك

ذكر بعض المؤرخين من الفرنج أن استيلاء البرتغال على آكادير كان في مدة ملكهم منويل المذكور آنفًا وإن ذلك كان على حين غفلة من أهل تلك البلاد.

قال منويل: «لما علم طاغية البرتغال منويل أن مرسي آكادير جيدة لمنعاتها وكثرة تجارتها بسبب مجاورتها لقبائل السوس أراد الاستيلاء عليها وكان يظن أن ذلك لا يتأتى له لحصانتها وكثرة القبائل المجاورين لها، ثم خاطر ويعث إليها جيشاً فاستولوا عليها على حين غفلة من أهلها وحصنوها وبنوا بها دوراً وبرجاً جيداً وأخذوا في التجارة بها مع أهل السوس، وكثرت أرباحهم. ثم لما ضعفت شوكتهم خرجوا عنها وعن آسفي وأزمور». قلت: مراده بآكادير حصن فونتي القريب منه، وإلا فآكادير إنما بني بعد هذا التاريخ

بكثير كما سيأتي. ثم مقتضى ما ذكره أن يكون زمان استيلائهم عليه موافقاً أو قريباً لزمان استيلائهم على البربرية، ومقتضى ما نقله في «النزهة» عن ابن القاضي أن يكون استيلاؤهم عليه في حدود سنة خمس وسبعين وثمانمائة فإنه لما وصف حال السلطان محمد الشيخ السعدي الآتي ذكره إن شاء الله قال: «وكان له بخت عظيم في الجهاد فتح حصن النصارى بسوس بعد أن أقاموا به اثنتين وسبعين سنة» أهـ. وكان فتحه إياه في حدود سبع وأربعين وتسعمائة، والظاهر أنهم استولوا على بعض حصون السوس في التاريخ الأول وعلى بعضها في الثاني، والله أعلم.

وفاة السلطان محمد الشيخ الوطاسي رحمه الله

ذكر ابن القاضي في «الجذوة»: «أن وفاة السلطان المذكور كانت سنة عشر وتسعمائة» قال: «ومن حملة وزرائه أخيه الناصر بن أبي زكرياء» والله أعلم. وولي الأمر من بعده ابنه محمد البرتغالي على ما ذكره.

الخبر عن دولة السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسي المعروف بالبرتغالي رحمه الله

لما توفي السلطان محمد الشيخ بوضع ابنه محمد البرتغالي في التاريخ المتقدم وكان نصارى سبعة وطنجة وأصيلا قد استحوذوا على بلاد الهميط وضايقوا المسلمين بها حتى ألجأوهم إلى قصر كاتمة، فكان هو الشر يؤمن بذلك بين بلاد المسلمين وببلاد النصارى كما مر، وكان السلطان محمد هذا قد عني بجهادهم وترديد الغزو إليهم والإجلاب عليهم حتى شغل بذلك عن البلاد المراكشية وساحلها، فكان ذلك سبباً لظهور الدولة السعودية بها سنة خمس عشرة وتسعمائة على ما ذكره إن شاء الله.

استياء البرتغال على ثغر آسفي حرسه الله

قال منويل : «كان البرتغال قد تشوّفوا للاستياء على آسفي ، وكان أهلها فيهم شجاعة أكثر من غيرهم من أهل الشغور ، فزحفوا إليها وجرى بينهم وبين أهلها قتال شديد هلك فيه عدد كبير من البرتغال ، وعظم عليهم أن تمنع منهم بلدة صغيرة ليس لها حامية سوى أهلها ، ثم طاولوها بالحصار حتى قل القوت عند أهل آسفي وأشرفوا على الهلاك ، فحينئذ شارطوا البرتغال وأسلموها إليهم على الأمان . فاستولوا عليها وحصناها غاية لتوقعهم كرامة المسلمين عليهم ، فكان كذلك فإنهم زحفوا إليهم بعد ثلاث سنين من أخذها ووقع بينهم وبين البرتغال حرب شديدة ، كانت صفو المسلمين تترافق فيها كامواج البحر ، وقتل قواد عسكر البرتغال وكبارهم ، ثم قدمت عليهم شکواوادره من مادره بالعسكر والزاد فقويت نفوس البرتغال وارتحل المسلمون عنها بعد أن أشرفوا على الفتح ، وتبعهم البرتغال ليتهزوا فيهم الفرصة فكر المسلمين عليهم واستلبواهم . وهذا أول حصار كان على آسفي .

ثم بعد سنين قلائل زحف المسلمون إليها أيضاً ومعهم عدد من المدافعين ، وقاتلوا قتالاً صعباً وزحفوا إلى السور فهدموا منه ثلماً كبيراً واشتد القتال عليها بما خرج عن العادة ، ثم رحل المسلمون من غير فتح وأعرضوا عنها مدة لم يحدّثوا أنفسهم بالقتال ، وعمرت آسفي بالنصارى وانتقل إليها التجار وبنوا بها الدور ، وكانت يسكنون منها الحب ويحملونه في السفن إلى بلادهم ، ولعل ذلك لهدنة كانت لهم مع المسلمين .

ثم عادت للمسلمين بعد نحو ثلاثة وعشرين سنة وقال الشيخ أبو عبد الله محمد العربي الفاسي في «مراة المحاسن» ما نصه : «قرأت بخط شيخنا أبي عبد الله القصار أن صاحب آسفي أخرج الشيخ أبا عبد الله محمد بن سليمان الجزولي منها فدعا عليهم ، فسئل منه العفو ، فقال : «أربعين سنة فأخذناها النصارى بعدها» اهـ . وهذا يقتضي أن استياءهم عليها كان في حدود

عشر وتسعمائة، لأن وفاة الشيخ الجزوئي رحمة الله كانت في سنة سبعين وثمانمائة كما مر. وعند الفرنج ما يقتضي أن استياء هم عليهما كان بعد ذلك بستين أو ثلاث. والله أعلم.

زحف السلطان أبي عبد الله البرتغالي إلى آصيلا

قال منويل: «لما أفضى الأمر إلى السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسي أراد أن يأخذ بثاره من البرتغال الذين أسروه لسبعين سنين، فزحف إلى آصيلا في حدود أربع عشرة وتسعمائة وحاصرها وطال قتاله عليها ثم اقتحموا المسلمين عليهم اقتحاماً واقتتلوا في وسط الأزقة والأسواق يومين ثم جاء المدد إلى البرتغال من طنجة وجبل طارق فقويت نفوسهم وخرج المسلمون عنهم، لكن ما خرجموا حتى هدموها وأحرقوها ولم يتركوا لهم بها إلا الخربات، ثم جد البرتغال في إصلاحها وأقاموا بها برهة من الدهر إلى أن رجعت للمسلمين».

استياء البرتغال على ثغر آزمور حرسه الله

قال منويل: «بعث طاغية البرتغال أربع عشرة وتسعمائة إلى ثغر آزمور شكوكاً فيهم ألفان من العسكر وأربعين ألف خيالة، فدافعهم زيارة الوطاسي ابن عم السلطان، ونشبت مراكب البرتغال في الساحل، وتكسر جلها وعادت فيها المسلمين، ورجع الباقى مفلولاً. ثم بعد أربع سنين بعث إليها الطاغية متويل شكوكاً فيهم عشرون ألفاً من العسكر وألفان وسبعين ألف خيالة فانتهوا إلى آزمور وحاصروها بحراً، وزحفوا إليها من الجديدة برياً، ووقع حرب شديدة بينهم وبين أهل آزمور وأهل البدية. ثم انهزم المسلمون وخرجوا من باب تركه لهم البرتغال قصداً» قال: «لأنه يقال في المثل: الفار منك في الحرب

اجعل له قنطرة من فضة يعبر عليها». اهـ.

وقال في «النزهة»: «كان نزول النصارى بأزمور سنة أربع عشرة وتسعمائة» قال: «وفي هذه السنة بنى النصارى حجر باديس. وفي أواخر المحرم منها أخذ النصارى - يعني الإصبييول - مدينة وهران ونكبا أهلها، فما منهم إلا أسير أو قتيل إلى أن أعادها الله للإسلام على يد الأتراك في حدود العشرين ومائة وألف» اهـ.

قلت: أهل آزمور يزعمون أن استيلاء البرتغال على مديتها كان متكرراً وسيأتي ما يفهم منه ذلك والله أعلم.

ومن أخبار السلطان أبي عبد الله ما وقفت عليه في تاريخ البرتغاليين من أن السلطان المذكور كتب لطاغييهم متوكيل يطلب منه أن يتقدم بالوصاية لأصحاب قراصينه البحريية أن لا يتعرضوا لمركيبين له كان قد عزم على بعثهما إلى الجزائر ثم منها إلى تونس. وكان الطاغية لم يجده أو أبطأ بالجواب، فكرر إليه الكتاب ثانيةً في القضية المذكورة، وسرد هذا المؤرخ نص الكتابين معاً مترجمين بلغته، وذكر أن تاريخ الأول منها الثالث والعشرون من جمادي سنة عشرين وتسعمائة، وتاريخ الثاني الثامن والعشرون من ذي القعدة من السنة. اهـ.

استيلاء البرتغال على ثغر المعمورة حرسه الله

قال في «نشر المثاني»: «إن الذي اختط حصن المعمورة هو المهدى الشيعي على يد بعض عماله، وزعم بعض الفرنج أن المعمورة من بناء يعقوب المنصور الموحدي» قال: «ولما كان زمن متوكيل البرتغالي بلغه أن مينا المعمورة جليلة، وببلادها نفاعات، فبعث إليها طائفة من جنده، فوصلوا إلى ساحلها ونزلوا في البر المقابل لها ويتوا هنالك برجاً لحصارها، ثم أردوهم ملكهم المذكور بعمارة تشتمل على مائتي مركب مشحونة بثمانية آلاف

من المقاتلة» قال: «وكان خروج هذه العمارة من مدينة أشبوونة في اليوم الثالث عشر من يونيو العجمي سنة ألف وخمسمائة وخمس عشرة مسيحية، قلت: يواافقها من تاريخ الهجرة تقريباً سنة إحدى وعشرين وتسعمائة، فوافت مينا العمورة في الثالث والعشرين من يونيو المذكور وحاصروها وألحووا عليها بالقتال أياماً وبلغ الخبر بذلك إلى السلطان أبي عبد الله البرتغالي فبعث أخاه الناصر صريحاً في جيش كثيف، فوصل سادس أغسطـس من السنة المذكورة، وقاتل البرتغال قتالاً شديداً وهزمهم هزيمة قبيحة، ثم كانت لهم الكرة على المسلمين فهزموهم واستولوا على العمورة وثبت قدمهم بها وحصنوها بالسور الموجود بها الآن واستمروا بها نحو خمس سنين ثم استرجعوا المسلمين منهم في دولة السلطان المذكور والله تعالى أعلم، وفي السنة التي استولوا على العمورة رجعوا إلى موضع مدينة آنفي فشرعوا في بنائها، ومن يومئذ سميت الدار البيضاء، ويقوا بها مدة طويلة إلى زمن السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل على ما زعم منويل».

أخبار السلطان أبي عبد الله البرتغالي مع الشيخ أبي محمد الغزواني رضي الله عنه

أصل الشيخ أبي محمد عبد الله الغزواني دفين حومة القصور من مراكش من غزوـان، قبيلة من عرب تامسنا، وكان في ابتداء أمره يقرأ العلم بمدرسة الوادي من عدوة الأندلس بفاس، فحصلت له إرادة فسافر إلى مراكش ولازم الشيخ التابع وتخرج به. ثم انتقل إلى بلاد الهبط فنزل بها على قبيلة يقال لهم بنو فزنكار، واجتمع عليه الناس واشتهر أمره، وعظم صيته، فبلغ ذلك السلطان أبي عبد الله وكان يومئذ ببلاد الهبط قد خرج إليها بقصد الغارة على نصارى آصيلا، وكان معه في هذه الحركة الشيخ أبو عبد الله محمد بن غازي الإمام المشهور -، فتوهم السلطان المذكور من أمر الشيخ الغزواني وخشي

على الدولة عاقبة أمره، وأغراء به مع ذلك الفقيه ابن عبد الكبير الباباسي السفياني الأصل. وكان هذا الفقيه يصحب الولاة والعمال ويخرج في بعوثهم قاضياً، فكثرت سعايته بالشيخ حتى وقر ذلك في نفس السلطان فبعث إليه فحضر وأمر بالقبض عليه بالموضع المعروف بتاجناوت، وجعله في سلسلة وبعث به إلى فاس، وتقدم في شأنه إلى ابن شقرورن صاحب شرطته بقصبة فاس القديم، وكان الشيخ ابن غازي قد مرض في هذه الغزوة وأمر السلطان بحمله إلى منزله من فاس، فلما وصل إلى قرب عقبة المساجين اشتد به الحال وأمر أصحابه أن يريحاوا به هنالك، فبينما هو كذلك إذ مر به الشيخ الغزواني في سلسلته فسأل الموكلين به أن يعوجوا به على الشيخ ابن غازي كي يعوده ويؤدي حقه، فلما وقف عليه طلب ابن غازي منه الدعاء فدعاه بخير، وانصرف، فلما غاب عنه قال ابن غازي لأصحابه: «احفظوا وصيتي فإني راحل عنكم إلى الله تعالى بلا شك» قالوا له يا سيدي: «ما عندك باس» فقال: «إن الله وعدني أن لا يقبح روحى حتى يربيني وليتاً من أوليائه» وقد أرانيه الساعة فدلني ذلك على انقضاء الأجل» فحملوه من حينه إلى منزله فكان آخر العهد به. هكذا ساق هذا الخبر صاحب «الدودحة» في ترجمتي الشيختين المذكورين.

وكانت وفاة ابن غازي أواخر جمادى الأولى سنة تسع عشرة وتسعمائة وقال صاحب «المراة» عن بعض شيوخه بعد أن ذكر سعاية ابن عبد الكبير بالشيخ الغزواني ما نصه: «فتحرك الشيخ الغزواني لزيارة ضريح الشيخ أبي سليمان فعرض له العروسي قائد القصر الكبير وناوله كتاب السلطان يأمره فيه بقدوم الشيخ إلى فاس دار الملك إذ ذاك، فقال له الشيخ: «طاعة السلطان واجبة» وقال للزائرين معه: «بلغت النية» فتوجه الشيخ إلى فاس من ذلك المكان وكلما بات في منزل ذهب جماعة من الذين معه فلم يصل معه إلا القليل. وكان الشيخ أبو البقاء عبد الوارد اليالصوتي إذ ذاك ساكناً بفاس،

ولم يكن صحب الشيخ قبل ذلك، فلما دخل الشيخ حضرة فاس لقيه أبو البقاء المذكور فسلم عليه، فشد الشيخ يده على يده فلم يرسلها حتى عاهده على الرجوع، فلما انفصل عنه اشتري خبزاً وعنباً وحمل ذلك إلى الشيخ وأصحابه فوجدهم عند القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله اليفرني المكناسي، وهو مؤلف «المجالس المكناسية»، فوجدهم في المسجد القريب من دار القاضي المذكور بدرب السعود، فناولهم ما معه ووجد الشيخ موكلًا به وأصحابه يدخلون ويخرجون. ثم دخل القاضي على الشيخ بالمسجد فقال له: «ما هذا الذي يذكر عنك؟» قال أبو البقاء: «فتكلمت أنا وقلت: إن هذا الرجل قد نزل بلدًا عظيمة المناكر وأخذت أعدد منهاكها، وصار هذا السيد ينهاهم عن ذلك، فهدى الله على يده من هدى وشنثه من أبي» فقام القاضي وركب إلى دار السلطان، ثم رجع إلى منزله فبات ومن الغدر ركب إلى دار السلطان أيضًا ومعه الشيخ الغزواني، فلما اطمأن بهم مجلس السلطان وكان فيه صاحب تازا، وهو أبو العباس أحمد ابن الشيخ أخو السلطان المذكور، سكت الجميع وتكلم كاتب السلطان وإمام صلاته. قال صاحب «المرأة»: «ولم يسم لنا». فقال للشيخ: «ما هذا الذي يذكر عنك؟» فقال له الشيخ: أنت لا تتكلم حتى تغسل من جنابتك فاستشاط إلكاتب غضباً، فقال له أخو السلطان: «هؤلاء القوم يعنون الجنابة غير ما تعنيه العامة» - يشير إلى ما في الحكم - فقال له السلطان: «من أين تعرف هذا؟» فقال له: «من سيدي محمد بن عبد الرحيم بن يحيى» ففرح السلطان بمعرفة أخيه ذلك وقال للشيخ: «نحن نريد قربك وأن تكون معنا في هذه المدينة» فقال له: «على بركة الله» فانتقل إلى فاس القديم ويني خارج باب القليعة داخل باب الفتوح وأقام هنالك ما شاء الله، قيل سبع سنين إلى أن كانت سنة تudder فيها المطر وأخذ الناس في استخراج السوقي للحرث فأخرج الشيخ من وادي اللبن ساقية لم يكن

في سوافي السلطان وغيره مثلها، بعث إليه أخيه السلطان، وهو الناصر، الملقب بالكديد بالكاف المعقودة والدار المشلدة على لغة العامة، وقال له: «نحن أحق بتلك الساقية» فقال له الشيخ: «خذها» وأخذ في الرحيل إلى مراكش ولما توجه تلقاها أخذ خليفه في يده وجعل يشير به من جهة فاس إلى جهة مراكش ويقول: «أيا يا سلطنة إلى مراكش»، قال صاحب المرأة: «هذا حديث شيخنا أبي عبد الله النيجي» قال «وآخيف معروف وهو نوع من البرانس السود ومعنى أيا بلغة عامة المغرب: سيري معي»: وموضعبني فرنكار أظنه تاصروت فإن بها رسمًا منسوباً إليه إلى الآن، وأنه منزله الذي كان يأوي إليه، وما زالت آثاره هنالك، والدار التي بنى بباب القليعة هي المتصورة إلى تلميذه الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الهرميالمعروف بالطالب، ولعل سنة إخراج السوافي هي سنة ست وعشرين وتسعين، فإنه قد تعذر فيها المطر وحدث الغلاء الكبير المؤرخ سنة سبع وعشرين وتسعين، وكأنه أشار إلى انتقال السلطة عنبني وطاس ملوك فاس إلى الشرفاء السعديين ملوك مراكش يومئذ والله أعلم.

نهوض السلطان أبي عبد الله البرتغالي إلى مراكش ومحاصرته لبا العباس الأعرج السعدي بها

قد تقدم لنا أن ظهور الدولة السعودية ببلاد السوس كان في سنة خمس عشرة وتسعين، وما زال أمرهم في الزيادة إلى أن كانت دولة أبي العباس الأعرج منهم، فاستفحلا أمره وبعد صيته، وفتكت بنصارى السوس فكتابه أمراء هنتاتة أصحاب مراكش ودخلوا في طاعته، فانتقل إليها وملكيها في حدود الثلاثين وتسعين. ولما اتصل خبره بالسلطان أبي عبد الله وهو يومئذ بفاس قامت قيامته، وأقبل في جموع عديدة ومعه وزير ابن عميه المسعود بن الناصر كذا في «التزهـة». والذي عند غيره: أن الوزير الذي جاء معه هو الناصر

أخو السلطان المذكور. ولما رأى أبو العباس السعدي ما لا قبل له به تحصن بمراكبش وشحن أسوارها بالرماة، فتقدم السلطان أبو عبد الله ونصب الأنفاس على مراكش ودام الحصار عليها أياماً، فيبحكي أنه قيل للشيخ أبي محمد الغزواني وكان قد استوطن مراكش يومئذ: أن أهل مراكش ستموا الحصار، فركب الشيخ في جماعة من أصحابه وخرج من باب فاس المعروف اليوم بباب الخميس، فوجد رماة السلطان أبي عبد الله يرمون من علا الأسوار من أهل البلد فوق الشيخ ينظر فجاءت رصاصة ضربت صدره وخرقت الجبة التي عليه والتتصقت بلحمه كأنها وقعت في صخرة صماء، فقبض عليها بيده وقال: «هذه خاتمة حربهم» ثم رجع إلى منزله فوردت الأنباء على السلطان أبي عبد الله في تلك الليلة بأن بني عمه قد قاموا عليه بفاس وبنادوا دعوته، فأصبح من الغد راحلاً إلى فاس، وظهر مصداق ما قال الشيخ الغزواني، ولم يعد لبني وطاس وصول بعدها إلى مراكش ولا إلى أعمالها، والله تعالى أعلم.

ذكر وزراء السلطان أبي عبد الله وما قيل فيهم

كان من جملة وزرائه: ابن عمه المسعود بن الناصر، وهو الذي زحف معه إلى مراكش على ما في «النزهة»، وكان من جملة وزرائه القائمين بأمره: أخيه الناصر بن محمد الشيخ، المعروف عند عامة فاس بأبي علاقة وبالكديد على ما مر. قال في «الجذوة»: «القب بذلك لكثره سفكه الدماء وإقادمه عليه، فكان يقتل الناس ويجزرهم كثيراً، وكذا بمكناسة أيام وزارته بها، كذا حدث غير واحد ممن أدركه ورأه وتوفي الوزير المذكور سنة ثلاثين وتسعمائة».

وفاة السلطان أبي عبد الله رحمه الله

كانت وفاة السلطان أبي عبد الله البرتغالي سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة على ما في «الجذوة». ويؤخذ من «النزهة» أنها كانت سنة الثنتين وثلاثين بعدها والله أعلم. وولي الأمر من بعده أخوه أبو حسون بولاية عهده إليه.

الخبر عن الدولة الأولى للسلطان أبي حسون بن محمد الشيخ الوطاسي

هو أبو الحسن علي بن محمد الشيخ ابن أبي زكرياء يحيى بن زياد الوطاسي، ويعرف بأبي حسون البدسي. قال في «الترهة»: «بويغ بفاس سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة ثم قبض عليه ولد أخيه أبو العباس أحمد بن محمد البرتغالي وخلعه وأشهد عليه بالخلع آخر ذي الحجة من السنة المذكورة» . انتهى.

الخبر عن دولة السلطان أبي العباس أحمد بن محمد الوطاسي رحمه الله تعالى

هو أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد البرتغالي ابن أبي عبد الله محمد الشيخ ابن أبي زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي، بويغ يوم خلع عمه أبي حسون آخر ذي الحجة من سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة، قال ابن القاضي: «وقد رأيت البيعة التي كتب她 له بخط الإمام أبي محمد عبد الواحد ابن أحمد الوانشريسي من إنشائه وعليها خطوط جماعة من فقهاء فاس كأبي العباس العجاج، والفقير أبي العباس أحمد الماواسي وغيرهما» اهـ.

قال أبو عبد الله اليفريني في «الترهة»: «وانظر ما وجه كتب البيعة لأحمد مع أن خلع أبي حسون لم يكن لمحض، والوانشريسي من أهل الورع وقال: ولعله لأمر لم يظهر لنا والله أعلم» اهـ. وقال ابن عسكر في «الدوحة»: «لما توفي السلطان أبو عبد الله البرتغالي ودالت الدولة لولده السلطان أبي العباس أحمد وغض بالشرفاء القائمين عليه ببلاد السوس وزوحم بهم، عقد الهدنة مع النصارى المجاورين له ببلاد الهبط، وصاحبهم سلطان البرتغال، فبلغ ذلك الشيخ أبي عبد الله محمد بن يحيى البهلوبي، وكان له رغبة في الجهاد وممن له وصلة بالسلطان أبي عبد الله، فكان إذا جاءه زائراً حضره على الغزو

فيساعده على ما أراد من ذلك. فلما بلغ الشيخ المذكور ما عقده السلطان أبو العباس من الصلح آلى على نفسه أن لا يلقى السلطان المذكور، ولا يمشي إليه ولا يقبل منه ما كان عليه له والله من جزية أهل النمة بفاس لقوته وقوت عياله، فمسكث على ذلك إلى أن حضرته الوفاة، وكان في النزع وأصحابه دائرون به فقال له بعضهم: «يا سيدي أخبرك أن السلطان أمر بالغزو وأمر بالنداء به، وحضر الناس عليه، والمسلمون في شره لذلك وفرح». ففتح الشيخ عينيه وتهلل وجهه فرحاً وحمد الله وأنهى عليه، ففاضت نفسه وهو مسرور بذلك». اهـ.

وَقْعَةُ آتِمَىٰ بَيْنَ الْوَطَاسِينَ وَالسَّعَدِينَ

قد تعلم لنا في خبر السلطان أبي عبد الله أنه لما حاصر مراكش وأصابت الرصاصة الشيخ الغزاوي قال: «هذه خاتمة حربهم» ولم يعد لبني وطاس وصول إلى مراكش ولا إلى أحوازها. قال في «النزهة»: فكان أبو العباس الأعرج يتلاقى مع أبي العباس الوطاسي بتبادلًا وأحوازها» قال: «وكان في بينهما معركة بموضع يقال له آتماي وذلك في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وتسعمائة فافترقا على اصطلاح» اهـ. وأنماي موضع قرب مراكش به زاوية الشيخ أبي العزم رحال الكوش.

عقد الصلح بين السلطانين أبي العباس الوطاسي وأبي العباس السعدي رحمهما الله تعالى

لما رأى أهل المغرب ما وقع بين السلطان أبي العباس أحمد الوطاسي صاحب فاس، وأبي العباس أحمد السعدي المعروف بالأعرج صاحب مراكش من التقاتل على الملك والتهالك عليه، وفناه الخلق بينهم، دخلوا في الصلح بينهم والتراضي على قسمة البلاد، وحضر لذلك جماعة من العلماء والصلحاء منهم أبو حفص عمر الخطاب دفين جبل زرهون، وأبو الرواين المحجوب دفين مكانة الزيتون، وكان صاحب حال وجذب، فجعل الناس يوصونه بالسكتوت مخافة أن يفسد عليهم أمرهم، فلما دخلوا على أبي العباس الأعرج وأخيه وزيره محمد الشيخ وتكلموا فيه جاءوا لأجله، وجدوا فيهما شدة وغلظة وامتناعاً من مساعدتهم على ما أرادوا، فخلف أبو حفص الخطاب لا دخلوها - يعني فاساً - ما دمت على وجه الأرض. فما دخلوها حتى مات بعد مدة. فكان بعضهم يقول لو كان بنو وطاس يعرفون شيئاً ما دفنوا أبو حفص الخطاب - يعني لتركوه في تابوت على وجه الأرض - لأنه حلف لا دخلوها ما دام على وجه الأرض، حكاه صاحب «متمع الأسماع».

وذكر في شرح «زهرة الشماريخ»: أن الصلح انبرم بين الطائفتين، على أن للأشراف من تادلا إلى السوس، ولبني وطاس من تادلا إلى المغرب الأوسط، وإن من حضر الصلح المذكور قاضي الجماعة بفاس أبو الحسن علي بن هارون المطغرى - بالطاء المهملة - مطغرة تلمسان، والإمام الشهير أبي مالك عبد الواحد بن أحمد الوانشريسي وغيرهما من مشايخ فاس. ويدرك أنه لما تواتطأت كلمة الحاضرين على الصلح وعقدوا شروطه، وهدأت الأصوات، وسكن اللجاج، أتى بدواة وقرطاس ليكتب الصلح، فما وضعت الدواة بين يدي أحد الفقهاء الحاضرين إلا وجم وانقبض ودفعها عن نفسه، استحياء في ذلك المحفل أن يكتب ما لا يناسب الجهاتين، فقام قاضي الجماعة المذكور وأخذ الدواة وأساردها ووضعها بين يدي أبي مالك

المذكور، فأنشأ أبو مالك في الحين خطبة بلية ونسج الصلح على منوال عجيب، واحتصر أسلوبياً غريباً تحرير فيه الحاضرون وعجبوا من ثبات جائه، وجموم قريحته في مثل ذلك المشهد العظيم الذي تخرس فيه ألسن الفصحاء هيبة وإكباراً، فقام قاضي الجماعة قبله بين عينيه وقال: «جزاك الله عن المسلمين خيراً»، «وما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر» وكان ذلك كله في حدود أربعين وتسعمائة» اهـ.

غزوة الحمر قرب آصيلا حرسها الله

ذكر صاحب «الدوحة» في ترجمة الشيخ أبي الحسن علي بن عثمان الشاوي رحمه الله، أنه استشهد في وقعة الحمر التي كانت في حدود أربعين وتسعمائة بين النصارى والقائد عبد الواحد بن طلحة العروسي على مقربة من آصيلا. قال: «حدثني غير واحد من يوثق به من حضر الواقعة وبعضهم يصدق بعضًا قالوا: لما انهزم الناس استقبل الشيخ أبو الحسن النصارى وسيفه في يده وهو يتلو بردة البوصيري، فكان ذلك آخر العهد به، ولما راجع الناس من الغد ليحملوا قتلامهم لم يوقف له على عين ولا أثر، وإنما وجد غنماً من لباسه عند النصارى وفيه أثر طعنة في صدره» اهـ. كلام الدوحة.

وفي «المرآة»: «أن الشيخ المذكور مات في حياة شيخه الغزواني شهيداً في الجهاد سنة خمس وعشرين وتسعمائة» اهـ. ولعله الصواب.

والعروسي المذكور هو من أمراءبني عبد الحميد العروسيين أصحاب قصر كتامة، وكانت لهم رياضة وسياسة وجihad في العدو إلى أن انقرض أمرهم أعواام الخمسين وتسعمائة.

قال في «الدوحة»: «أخبر غير واحد من فقهاء قصر كتامة أن الشيخ أبا الرواين جاء إلى القصر، وصاحبته يومئذ القائد عبد الواحد العروسي، في عصبة من أقاربه أولاد عبد الحميد، فصعد أبو الرواين صومعة المسجد ثم نادى بأعلى صوته. «يا بني عبد الحميد اشتروا مني القصر والا خرجتم منه

في هذه السنة، فسمع القائد عبد الواحد ذلك فقال: «إن كان القصر له أو بيده فليزعمه منا، ما يبقى لنا إلا كلام الحمقى نلتفت إليه» ومن الغد، خرج الشيخ أبو الروابين من البلد وهو يقول: «القائد عبد الواحد وأهله يخرجون من القصر ولا يعودون إليه أبداً». فكان كذلك بقدرة الله تعالى.

وقعة أبي عقبة بوادي العبيد وما كان فيها بين الوطاسيين والسعديين من القتال الشديد

هذه الواقعة من أعظم الوقعات التي كانت تكون بين الوطاسيين والسعديين وما زالت العامة تتحدث بها في أنديةها إلى الآن، ويبالغون في وصفها والأخبار عنها، وقد ذكرها شعراً لهم في أزجالهم الملحونة، وهي محفوظة فيما بينهم، وذلك أنه لما طمئن عباب السعديين على بلاد الحوز وكادوا يلتجون على الوطاسيين دار ملكهم من فاس، نهض إليهم السلطان أبو العباس الوطاسي أواخر سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة يجر الشوك والمدر في جمع كثيف من الجند وقبائل العرب في حلتها وظعنها، وجاء أبو العباس السعدي في قبائل الحوز بحللها وظعنها كذلك فكان اللقاء بمشروع أبي عقبة، أحد مشارع وادي العبيد من تادلا فنشبت الحرب، وتقاتل الناس، ويرز أهل الحفاظ منهم والتراث، وقاتل الناس على حرمهم وأحسابهم وعزهم، فأفني بعضهم بعضاً إلا قليلاً، ودامت الحرب أياماً على ما قبل إلى أن كانت الهزيمة على الوطاسيين عشيّة يوم الجمعة ثامن صفر سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة. قال في «الجذوة»: «فرجع السلطان أبو العباس الوطاسي إلى فاس وبقيت محلته وقصبة تادلا بين الشريف السعيد» قال: «وتسمى هذه السنة سنة أبي عقبة».

وقال في «المرأة»: «ومما اشتهر من كرامات الشيخ أبي طلحة محمد المصباحي الشاوي الزناتي أنه لما التقى مقاتلة فاس وسلطانهم أبو العباس أحمد الوطاسي ومقاتلة مراكش وسلطانهم أبو العباس أحمد الأعرج ومعه

أخوه المتولى بعده أبو عبد الله محمد الشيخ سنة ثلاط وأربعين وتسعمائة على مشروع أبي عقبة من وادي العبيد انتهز السلطان أبو العباس الوطاسي وتفرقت جموعه وتبعته الخيل فكادوا يقبضون عليه، فحضر هنالك رجل على فرس أثني فجعل يحول بينه وبينهم ويقول له: «سر يا أحمد ولا تخف» ولم يزل معه إلى أن رجعوا عنه وأمن الطلب، وقد عرف السلطان صفتة وتحققتها ولم يزل يسأل عن صاحب تلك الصفة حتى قيل له: هذه صفة أبي طلحة المصباحي، وتحقق ذلك، ولما كان خروج السلطان المذكور الذي وصل فيه تطاوين وتزوج بها الحرة بنت الأمير السيد أبي الحسن علي بن موسى ابن راشد الشريف، وذلك في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين وتسعمائة. ويتطاوين بنى بها وقد أبا طلحة المذكور ونزل عليه، فلما رأه عرفه وأيقن أنه الرجل الذي أغاثه فأكب عليه السلطان وذكر ما وقع له معه فقال الشيخ: «يا رب كيف العيش مع هذه الشهرة فاقبضني إليك» فمات عقب ذلك من سنته قال في «المراة»: «سمعت هذه الحكاية من غير واحد وسألت شيخنا أبي القاسم بن أبي طلحة المذكور فقال لي: «أعقل مجيء السلطان وأنا صغير جداً أقعد في حجر أبي وعند ركبته» اهـ. قلت والأمير أبو الحسن بن راشد المذكور هو الذي اختط مدينة شفشاون كما مر. وذكر في «المراة»: أن وفاته كانت سنة سبع عشرة وتسعمائة، فيكون السلطان المذكور إنما تزوج ابنته بعد وفاته ولعله خطبها من أخيها الأمير أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن والله أعلم.

واعلم أن ما سلكتناه هنا من تقديم قضية الصلح على وقعة أبي عقبة هو ما يقتضيه التاريخ الذي صرحووا به، وسيأتي بعد هذا ما ربما يفهم منه أن الأمر بالعكس. والجواب أن قضية الصلح تكررت حسبما يؤخذ مما مر والله أعلم. وفي هذه السنة أيضاً عقد السلطان أبو العباس الوطاسي مع بررتقال آسفي صلحًا على ثلاط سنين، ودخل في هذا العقد آسفي والجديدة وأزمور وكتب البرتغال بذلك إلى ملكهم ووقعت المحادة في البلاد، وتفرغ الوطاسي لقتال السعديين.

بناء السلطان أبي العباس الوطاسي قنطرة الرصيف بفاس حرسها الله

كان السلطان أبو العباس أحمد الوطاسي قد جدد بناء قنطرة الرصيف بحضوره فاس، وذلك منتصف سنة إحدى وخمسين وتسعين، وفي ذلك يقول الفقيه أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الوانشريسي مشيراً إلى التاريخ المذكور:

فخر السلاطين من أبناء وطاس
لمن يمر به من عدوتي فاس
من هجرة المصطفى المبعوث للناس
جسر الرصيف أبو العباس جده
فجاء في غاية الإتقان مرتقاً
وكان تجديده في نصف عام غنا
وقال الفقيه أبو مالك أيضاً:

برأي أبي العباس حامي حمى فاس
على رغم قوم منكرين من الناس
وفاز من الشكر الجميل بأجناس
أيا أهل فاس سدد الله سدكم
وأحيى به أشجاركم وثماركم
فدام ودام السعد يخدم مجده

وقال الشيخ أبو زكرياء يحيى السراج:
الآ سدد الله رأي النبي بتسديده سديداً حصينا
وخلد في عزه ملكه وأولاده فتحاً ونصرأً مبينا
إمام الهدى أحمد المرتضى مبيد العدا عدة المسلمين

وقال الإمام أبو الحسن علي بن هارون:
لقد سدد الله رأي العمداء وأبطل في السد رأي الجهنول
بمولاي أحمد مدحبي يطول
«عقول الملوك ملوك العقول»
وقرب ما رامه من بعاد
فطراً وعكساً لسانني يناد

وقعة وادي درنة بتادلا وأسر الأمير أبي زكرياء الوطاسي ومهلكه رحمة الله

ذكر في «المرآة» عند الكلام على أبي عبد الله محمد بن يوسف الفاسي . وهو والد الشيخ أبي المحسن رضي الله عنه ، أن أبي عبد الله المذكور كانت له وجاهة كبيرة عند أمير القصر أبي زكرياء يحيى بن أبي عبد الله البرتغالي ، وهو يومئذ أخو السلطان أبي العباس الوطاسي ، قال : فانتفع بوجاهة أبي عبد الله الفاسي خلق كثير ، ولم يسامح هو نفسه في نيل شيء من الدنيا بسبب ذلك الجاه إلى أن أسر الأمير أبو زكرياء المذكور في وقعة وادي درنة من تادلا للشرفاء علىبني وطاس في رجب سنة اثنين وخمسين وتسعمائة ، ومات في تلك الليالي القريبة غماً وأسفًا رحمة الله ، قلت : وكان سلطان السعدين يومئذ محمد الشيخ الملقب بالمهدي ، فإنه تغلب على أخيه الأعرج وانتزع منه الملك وسجنه كما يأتي إن شاء الله تعالى .

استيلاء السلطان محمد الشيخ السعدي على فاس وقبضه على بني وطاس ومهلك سلطانهم أبي العباس رحمة الله تعالى بفضله

لما غالب السلطان محمد الشيخ السعدي على أخيه أبي العباس الأعرج واستولى على مراكش ، طمحت نفسه للتوغل في بلاد الغرب وقراء ، فتفرغ لحرببني وطاس ونكث ما كان بينه وبينهم من الصلح ، ورموا منه بحجر الأرض ، وردد إليهم البعوث والسرايا وأكثر فيهم من شن الغارات ، وصار يستلهمم البلاد شيئاً فشيئاً إلى أن استولى عليها ، وكان أول ما ملك من أمصار الغرب مكناسة الزيتون ، افتتحها عقب سنة خمس وخمسين وتسعمائة بعد حصار ومقاتلة ، ثم تقدم إلى فاس فألح عليها بالقتال وضايقها بالحصار مدة قريبة من السنة ، ثم استولى عليها بعد أن أسر سلطانها أبي العباس الوطاسي وصار في قبضته . وكان دخوله إليها أوائل سنة ست وخمسين وتسعمائة ولما

دخلها تقبض على الوطاسيين أجمع وبعث بهم مصفدين إلى مراكش، عدا أبو حسون المخلوع فإنه فر إلى الجزائر إلى أن كان من أمره ما ذكره. ثم إن الشيخ السعدي غدر ببني وطاس فيما قيل بعد أن أظهر العفو عنهم وسرح سلطانهم أبو العباس من ثقافة والله أعلم. وفي «الجدوة»: «كانت وفاة السلطان أبي العباس الوطاسي بمراكش قرب سنة ستين وتسعمائة» اهـ.

وزعم منويل أنه قتل مذبوحاً بدرعة. قال: «زحف أبو عبد الله محمد الشيخ السعدي إلى فاس فيرزا إليه أبو حسون الوطاسي، وكان قائداً جيش ابن أخيه، وقع بينهما قتالاً عظيم انهزم فيه أبو حسون إلى فاس. وحاصره السعدي بها ستين، ولما قلت الأقوات وعجز الوطاسيون عن الدفاع نزلوا على حكم السعدي فقبض على أبي العباس الوطاسي، وفر أبو حسون إلى الجزائر واستقل محمد الشيخ السعدي بأمر المغرب وغرب الوطاسيين إلى درعة، فقتل أبو العباس الوطاسي الذي كان تلميذاً له ذبحاً» اهـ كلامه.

بقية أخبار السلطان أبي العباس الوطاسي وسيرته

كان من جملة وزراء السلطان أبي العباس المذكور ابنه محمد، ومن أخباره: ما ذكره في «الدودحة» في ترجمة الشيخ أبي عثمان سعيد بن أبي بكر المشترائي دفين مكناسة الزيتون، قال: «من كراماته الشائعة ما اتفق له مع الوزير أبي عبد الله محمد بن السلطان أبي العباس أحمد الوطاسي، لما استوزره أبوه وولاه على مكناسة فكان بها فغضب ذات يوم على أحد المشاورية فهرب المشاورية إلى زاوية الشيخ أبي عثمان فبعث الوزير إلى الشيخ بأن عليه الأمان وبيعه إليه فقال له الشيخ: «إن شئت أن تذهب إلى سيدك فافعل». فقال المشاورية: «يا سيدي أخاف أن يقتلني» فقال الشيخ: «إن قتلك فالله يقتله» فذهب المشاورية إلى الوزير ويقي عنده ليلتين وفي الثالثة قتله، ولم يظهر له فجاءت أمه إلى الشيخ وقالت يا سيدي: «إن ولدي قد

قتله الوزير» فقال لها: «سبقت ذلك في علم الله وإن الآخر سيلحقه الآن» - يعني الوزير - فوقعك الوزير تلك الليلة وسلط عليه أكال في جسمه فتمزق لحمه وتقطع شيئاً فشيئاً إلى أن هلك للبيال قلائل من مرضه، فاعتبر الناس والسلطان بذلك، ومن ذلك الوقت زاد الأماء وغيرهم في احترام حرم زاوية الشيخ المذكور» اهـ.

وكان للسلطان أبي العباس اعتقاد في المتصلحين وأرباب الأحوال، فمن فوقهم من أهل العلم والدين، من ذلك ما حكاه في «الدوحة» أيضاً في ترجمة أبي الحسن علي الصنهاجي، المعروف بالدوار، قال: «كان أبو الحسن المذكور من الملامة، وكان يدخل دور الملك منبني وطاس فيتلقاء النساء والصبيان يقبلون يديه وقدميه فلا يلتفت إلى أحد، ويعطونه الشياط الرفيعة والذخائر النفيسة، ويلبسه السلطان - يعني أبي العباس - من أشرف لباسه، فإذا خرج تصدق بجميع ذلك، ويمر على حوانين الزياتين فيغمس أكمام الحلة التي تكون عليه ويرقعها بالزبرت أو بالسمن، ولا يزال يدور في الأماكن ويصرخ باسم العجلة» اهـ. قالوا: وكان السلطان أبو العباس المذكور واقفاً عند إشارة الفقيه أبي مالك عبد الواحد بن أحمد الوانشريسي، وهو ابن صاحب «المعيار»، لا يتعدى أمره، ولا يخالف رأيه، كما وقع له في مسألة رجل إسلامي يعرف بعد الرحمن المنجور، وكان تاجرًا جامعاً للمال، فشهد عليه في حكاية طويلة أربعون رجالاً من العدول باستغراف ذمته، فأخذذه السلطان أبو العباس الوطاسي وقتلها، وصير أملاكه لبيت مال المسلمين، فرغب أولاد المنجور من السلطان أن يؤدوا له عشرين ألف دينار ويرد إليهم أملاكهم ويسقط عنهم بينة الاستغراف، فقال السلطان لحاجبه: «اذهب إلى الشيخ عبد الواحد الوانشريسي وشاوره في ذلك وعرفه بأنني في الحاجة إلى هذا المال لأجل هذه الحركة التي عرضت لي» فذهب الحاجب إليه وأخبره بمقالة السلطان ورغبته في قبول ذلك. فقال الشيخ:

«والله لا ألقى الله بشهادة أربعين رجلاً من عدول المسلمين لأجل سلطائك، اذهب وقل له: «إني لا أوفق على ذلك ولا أرضاه» فرجع الحاجب إلى السلطان وأخبره بما قال الشيخ فرجع السلطان عما عزم إليه».

ونظير هذا ما اتفق له معه أيضاً، وهو أن الناس خرجوا يوم العيد للصلوة فانتظروا السلطان فأبطأ عليهم ولم يأت إلى خروج وقت الصلوة، وحيثند أقبل السلطان أبو العباس في أبيته، فلما انتهى إلى المصلى نظر الشيخ أبو مالك فرأى أن الوقت قد فات فرقى المنبر وقال: «معشر المسلمين أعظم الله أجركم في صلاة العيد، فقد عادت ظهراء ثم أمر المؤذن فأذن وأقام الصلاة فتقدم الشيخ أبو مالك وصلى الناس الظهر، فخجل السلطان أبو العباس واعترف بخطيئته رحم الله الجميع».

الخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبي حسون الوطاسي رحمة الله

لما دخل السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ السعدي إلى فاس سنة ست وخمسين وتسعمائة، وقبض علىبني وطاس بها حسبما تقدم، فر أبو حسون هذا إلى ثغر الجزائر^(١) حقناً لدمه ومستجيشاً لتركها على السعدي. وكان الترك قد استولوا على المغرب الأوسط وانتزعاوه من يدبني زيان كما سيأتي،

(١) ذكر المؤرخ أوكيسط كور الفرنسي في كتابه *Établissement des Dynasties des Chérifs au Maroc* «قيام الدولتين الشرقيتين بالمغرب». إن أبي حسون فز أولاً إلى أصبهانيا مستعيناً بالإمبراطور شارلوكان على عدوه السعدي فوجده بالمانيا فالتحق به وحضر معه في حربه ولما طال انتظاره لنجدته ولم يفعل رجع أدراجه إلى أصبهانيا ومنها دخل للبرتغال فأعطيه ملكها ست قطع من الأسطول لتنميته بشواطئ الريف فلم يتمكن من التزول لبلاد الريف فنوجه حيثذا بحراً للجزائر وقيل أسره الأسطول الجزائري وهناك اتفق مع باشاها صالح رئيس على توجيه الجيش معه للغرب كما هو معلوم. راجع الكتاب المذكور صفحة 105 وما بعدها فقد بسط القول في الموضوع.

فلم يزل أبو حسون عندهم يقتل لهم في الغارات والستام ويحسن لهم بلاد المغرب الأقصى ويعظمها في أعينهم، ويقول: إن المتغلب عليها قد سلبني ملكي وملك آبائي وغلبني على تراث أجدادي فلو ذهبتكم معي لقتاله لكننا نرجو الله تعالى أن يتيح لنا النصر عليه ويرزقنا الظفر به، ولا تعدمون أثشم مع ذلك منفعة من ملء أيديكم غنائم وذخائر، ووعدهم بما جزيل فأجابوه إلى ما طلب وأقبلوا معه في جيش كثيف تحت راية باشاهم صالح التركماني المعروف بصالح رئيس، إلى أن اقتحموا حضرة قاس بعد حروب عظيمة ومعارك شديدة وفر عنها محمد الشيخ السعدي إلى منجاته.

وكان دخول السلطان أبي حسون إلى فاس ثالث صفر سنة إحدى وستين وتسعمائة^(١). ولما دخلها فرح به أهلها فرحاً شديداً، وترجل هو عن فرسه وصار يعاشر الناس كبيراً وصغيراً، شريفاً ووضيعاً، ويبكي على ما دهمه وأهل بيته من أمر السعديين واستبشر الناس بمقدمه ويتمنوا بطلعته. وقبض على كبير فاس يومئذ القائد أبي عبد الله محمد بن راشد الشريف الإدريسي، واطمأنت به الدار ثم لم يلبث السلطان أبو حسون إلا يسيراً حتى كثرت شكاية الناس إليه بالترك، وأنهم مدوا أيديهم إلى الحرير وعاثروا في البلاد. فبادر بدفع ما اتفق معهم عليه من العمال وأخرجهم عن فاس وتخلف بها منهم نفر يسير.

(١) ذكر صاحب «الدوحة» في ترجمة سيدى عبد الله الكوش أن أبي عبد الله الشيخ خرج من فاس مزعجاً في شهر محرم سنة ستين هـ.

مجيء السلطان محمد الشيخ السعدي إلى فاس واستيلاؤه عليها ومقتل السلطان أبي حسون رحمة الله

لما فر السلطان محمد الشيخ السعدي من وقعة الأتراء بفاس وصل إلى مراكش فاستقر بها وصرف عزمه لقتال أبي حسون، فأخذ في استئثار القبائل وانتخاب الأبطال وتعيبة العساكر والأجناد فاجتمع له من ذلك ما اشتد به أزره وقوى به عضده، ثم نهض بهم إلى فاس فخرج إليه السلطان أبو حسون في رماة فاس وما انضاف إليهم من جيش العرب فكانت الهزيمة على أبي حسون فرجع إلى فاس وتحصن بها، فتقدّم الشيخ السعدي وحاصره إلى أن ظفر به في وقعة كانت بينهما بالموضع المعروف بمسلمة، فقتله واستولى على حضرة فاس وصفا له أمرها. وكان استيلاؤه عليها يوم السبت الرابع والعشرين من شوال سنة إحدى وستين وسبعينة على الصواب خلاف ما وقع في «الدوحة» والله أعلم. وبمقتل السلطان أبي حسون رحمة الله انقرضت الدولة المرinية بال المغرب والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

ويقي علينا الالاماع بأواخر دولة بني زيان ملوك تلمسان وكيف كان انقراض أمرهم، فلتشر إلى ذلك فنقول: كانت دولة بني زيان على ما علمت من الااضطراب سائر أيامبني مرین، وكان منهم في صدر المائة التاسعة السلطان الواشق بالله من امثال ملوكهم؛ وغلبهم على تلمسان في تلك المدة السلطان أبو فارس عبد العزيز بن أحمد الحفصي فأخلدوا بطاعته. ثم بعد موته سنة سبع وثلاثين وثمانمائة اعتزوا بعض الشيء إلى أن كانت دولة السلطان أبي عمرو عثمان بن محمد الحفصي، فغزوا تلمسان أعواام السبعين وثمانمائة مرتين وفي الثانية هدم أسوارها وعزم على استئصال أهلها، إلى أن تشعف إليه علماؤها وصلاحاؤها فعفا عنهم، وكان الباعث له على غزوها أولاً ما بلغه من أن الأمير محمد بن محمد بن أبي ثابت استولى عليها، ففعل ما فعل وصايرهم ببعض حقدته.

وقال صاحب «بدائع السلك»: شاهدت بتلمسان وببعض أعمالها تصريح

الخطيب باسم السلطان أبي عمرو عثمان صاحب تونس مقدماً في الذكر على اسم صاحب تلمسان أبي عبد الله من أعقاببني زيان لما بينهما من الشرط في ذلك . وبقيت حالبني زيان مت Manson إلى أن ظهر جنس الإصبعيول في صدر المائة العاشرة بعد ما تم له ملك الأندلس وعظمت شوكته ، فطمع للتغلب على ثغور المغاربة الأدنى والأوسط ، فاستولى على بجاية سنة عشر وتسعمائة ، ثم على وهران سنة أربع عشرة وتسعمائة وفعل بأهلها الأفاعيل ثم سما لتملك الجزائر وshore لاتهامها ، وضائق المسلمين في ثغورهم وضعف بنو زيان عن مقاومته . وكان الشيخ الفقيه الصالح أبو العباس أحمد ابن القاضي الزواوي من له الشهرة والوجاهة الكبيرة في بساط المغرب الأوسط وجباره ، وكانت دولة العثامة من الترك في هذه المدة قد زخر عبادهم وملكت أكثر المسكونة ، وظهر من قواد عساكرهم البحري قائدان عظيمان وهما خير الدين باشا وأخوه عروج باشا ، وكانا قد تابعا الغزو على بلاد الكفر برأ وبحراً ، وأوقعوا بأهل دول الأوروبيّا وقائع شهيرة ، وصار لهم ذكر في أقطار البلاد ، وتمكن ناموسهم من قلوب العباد ، فكتابتهم الفقيه أبو العباس المذكور وعرفهم بما المسلمين فيه من مضائق العدو الكافر . وقال : إن بلادنا بقيت لك أو لأخيك أو للذئب ، فأقبل الترك نحوه مسرعين واستولى عروج على ثغر الجزائر بعد ما كاد العدو يملأه فتخلصه منه ، ثم استولى على تلمسان وغلببني زيان على أمرهم ، وذلك سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة على ما في «التزهة» . ثم إن أهل تلمسان أنكروا سيرة الترك وسمموا ملكتهم ، ويقال : إن الترك عسفوهم وصادروهم على أموالهم ، وكان عروج قد أغوى بالفقيه أبي العباس المستدعي له فقتل شهيداً بعد الثلاثين وتسعمائة ، ورأى عروج أن أمر المغرب الأوسط لا يصفو له مع وجود الفقيه المذكور فدس عليه من قتلها ، ثم نهض عروج إلىبني يزناسن فكان الكرة عليه وقتل هنالك مع جماعة من وجوه عسكره وتفرق جموعه .

وعادت تلمسان إلىبني زيان فجددوا بها رياستهم وأحيوا رمق دولتهم إلى أن عاود الترك غزوها بعد حين وانتزعوها من يد صاحبها أبي العباس

أحمد بن عبد الله من أعقاب يغمراسن بن زيان.

قال في «المرآة» ما نصه: «قال الشيخ الإمام قاضي الجماعة أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الوانشريسي رحمة الله ومن خطه نقلت: قدم حسن ابن خير الدين التركي فاستولى على تلمسان في أواسط شعبان سنة اثنين وخمسين وتسعين وأخرج منها الأمير أحمد ابن الأمير عبد الله وزيره منصور بن أبي غاثم ولحقاً بذبدو مع من انتساب إليهما من أمراء تلمسان وكبرائها، فغدر بهم عمر بن يحيى الوطاسي صاحب ذبدو وأخذ أموالهم واعتقلهم، وسرح منصوراً في محرم من سنة ثلاثة وثلاثين وخمسين وتسعين» آه، واستمرت تلمسان في يد الترك إلى أواسط صدر المائة الثالثة عشرة فاستولى عليها الفرنسيين على ما ذكره إن شاء الله.

واعلم أنه كان في صدر هذه المائة العاشرة أمور عظام.

منها ظهور الفرنج بالديار المغربية واستيلاؤهم على ثنورها بما لم يعهد مثله قبل ذلك، لا سيما البرتغال والإسبانيون حسبما تقدمت الإشارة إليه. ومنها ظهور دولة آل عثمان ملوك التركمان بالديار المشرقية وما أضيف لها الظهور الذي لا كفاء له وابتداء هذه الدولة وإن كان قبل هذا التاريخ بنحو مائتي سنة لكن إنما كان انتقام شبابها وفيضان عباها في هذه الملة لاسيما في دولة سلطانهم الأعظم، وخاقانهم الأفخم سليمان بن سليمان خان، فإنه ملك أكثر المعمور، وقام بدعوه من الأمم الجمهور، وهجمت عساكره على ديار الأرنا فقاتلوهم في أعز بلادهم، واستلبوهم من طارفهم وتلادهم، وخضعت ملوكهم لعزته، واستكانتوا لصوّلته، وأعطوه يد المقادرة وآتوه من الطاعة والخضوع ما خالف العادة. ثم أوطأ عساكره المغاربيين الأدنى والأوسط فاستولى عليهما، وكاد يتناول الأقصى ويضيقه إليهما على ما تقف عليه في أخبار السعديين إن شاء الله.

ومنها ظهور الأولياء وأهل الصلاح من الملامية، وأرباب الأحوال والجنوب، في بلاد الشرق والغرب، لكنه انفتح به للمستورين على النسبة

وأهل الدعوى بباب متسع الخرق، متعرسر الرتق، فاختلط المرعى بالهبل، وادعى الخصوصية من لا ناقة له فيها ولا جمل، وصعب على جل الناس التمييز، حتى بين البحرج والإبريز، لا سيما العامي الغمر، الذي لا يفرق بين الحصباء والدر ويرحم الله الشيخ البوسي إذ قال في محاضرته ما نصه: «وقد طرق أسماع القوم من قبل اليوم كلام أهل الصولة كفحول القادرية والشاذلية رضي الله عنهم، وكلام أرباب الأحوال في كل زمان، فتعشقت النفوس ذلك، وأذعن له الجمورو خاضوا في التشبيه بهم، فما شئت أن تلقى جاهلاً مسرفاً على نفسه لم يعرف بعد ظاهر الشريعة، فضلاً عن أن يعمل، فضلاً عن أن يخلص إلى الباطن، فضلاً عن أن يكون صاحب مقام إلا وجدته يصول ويقول، وينبذ المتنقل والمعقول، وأكثر ذلك في أبناء الفقراء، ي يريد الواحد منهم أن يتحلى بحلية أبيه، ويستتبع أتباعه بغير حق ولا حقيقة بل لمجرد حطام الدنيا، فيقول خدام أبي، وزريبة أبي، ويضرب عليهم المغرم كغمرم السلطان، ولا يقبل أن يحبوا أحداً في الله أو يعرفوه أو يقتدوا به غيره، وإذا رأى من خرج يطلب دينه أو من يدله على الله تعالى يغضب عليه ويتوعده بالهلاك في نفسه وماله، وقد يقع شيء من المصائب بحكم القضاء والابتلاء فيضيقه إلى نفسه فيزداد بذلك هو وأتباعه ضلالاً، ثم يخترق لهم من الخرافات والأمور المعتادة ما يدعنه سيرة ودينًا يستهويهم به، ثم يضمن لهم الجنة على مساوىء أعمالهم والشفاعة يوم المحشر، ويقبض على لحمة من ذراعه فيقول للجاهل مثله: «أنت من هذه اللحمة» فيكتفي جهال العوام بذلك ويبقون في خدمته ولداً عن والد، قاتلين نحن خدام الدار الفلانية وفي زريبة فلان، فلا نخرج عنها وكذا وجدنا آباءنا وهذا هو الضلال المبين.

وهو لاء قطاع العباد عن الله» إلى آخر كلامه فقف عليه في الفصل الخامس والعشرين منها فإنه نفيس وبالله تعالى التوفيق.

وفي سنة إحدى عشرة وتسعمائة توفي الفقيه أبو العباس أحمد بن عيسى الماواسي البطوي الموقت المشهور.

وفي سنة اثنين عشرة بعدها توفي الشيخ الفقيه أبو الحسن علي بن قاسم

التجيبي المعروف بالزقاق فقيه فاس، وهو صاحب المنظومة اللامية في علم القضاء وغيرها. وفي سنة أربع وتسعمائة، في يوم الثلاثاء العشرين من صفر منها توفي الشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى الوانشريسي مؤلف «المعيار» وغيره من التأليف الحسان، أصله من تلمسان واستوطن مدينة فاس إلى أن توفي بها في التاريخ المذكور. وفيها أيضاً توفي الشيخ الكبير أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق الحرار المعروف بالتتابع دفین حومة الفحول من مراكش من أصحاب الشيخ الجزوی رضي الله عنهم، وصفه شيخه المذكور بالكيمياء، وكان يقال: النّظرة فيه تغنى، أفضض الله علينا من مدده.

وفي سنة سبع عشرة وتسعمائة توفي الشيخ الإمام العلامة الناظار أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازی العثماني المكتناسي ثم الفاسي، وقد تقدم خبره مع الشيخ أبي محمد الغزواني رحمهما الله.

وفي سنة ست وعشرين وتسعمائة انحبس المطر بفاس والمغرب واضطرب الناس إلى استخراج السوافي من الأودية والأنهار ل斯基 زرعهم وثمارهم.

وفي سنة سبع وعشرين بعدها كان الغلاء والجوع الكبير الذي صار تاريخاً في الناس مدة.

وفي سنة ثمان وعشرين بعدها كان الوباء بالمغرب، سنة الله في خلقه، وفي هذه المدة، أعني أعوام الثلاثين وتسعمائة على ما في الدوحة، توفي الشيخ أبو عبد الله محمد بن منصور السفياني دفین جزيرة البساس من بلاد أولاد جلون على مسيرة نصف يوم من مصب نهر سبو في البحر من جهة المشرق، وكان من أصحاب الشيخ التابع، والروضة التي عليها بناها الشيخ أبو زيد عبد الرحمن المجلوب، يقال: إنه لما أكملها رأى في المنام وألبسها حلقة خضراء.

وفي سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة في ثاني يوم من ربيع الأول منها توفي الشيخ أبو محمد عبد الكرييم بن عمر الحاجي المعروف بالفللاح ضجيع القاضي عياض في روضته بحومة باب إيلان من مراكش، وهو من أصحاب

الشيخ التابع أيضاً، وفي هذه المدة على ما في «الدوحة» توفي الشيخ أبو يشو مالك بن خلة الصبيحي من عرب صبيح، كان من أهل العلم والفضل والدين، ودفن على ضفة نهر سبو على نحو مرحلة من فاس، وقبره مزار إلى الآن.

وفي سنة خمس وثلاثين وتسعمائة توفي الشيخ أبو محمد الغزواني رضي الله عنه دفین حومة القصور من مراكش، وقد تقدم شيء من خبره.

وفي أربعين وأربعين وتسعمائة توفي الشيخ الكامل أبو عبد الله محمد بن عيسى السفياني المختار. ثم الفهدي دفین مكتنasa الريتون، وهو شیخ جلیل القدر شهير الذکر رضي الله عنه وتفعلنا به آمين.

تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس

لوله:

الخبر عن دولة الأشراف السعديين من آل زيدان

فهرس الموضوعات

3	الدولة المرينية
3	القسم الثاني
	الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله أبي بكر بن أبي عنان بن أبي الحسن
3	المريني
	ظهور أبي حمو موسى بن يوسف الزياني واستيلاؤه على تلمسان ونهوض
4	مسعود بن عبد الرحمن إليه وطرده عنها
5	ظهور منصور بن سليمان وبيعة مسعود بن عبد الرحمن له وما نشأ عن ذلك
	الخبر عن دولة السلطان المستعين بالله أبي سالم وإبراهيم بن أبي الحسن
7	المريني
	قدوم الغني بالله ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب مخلوعين على السلطان أبي
8	سالم والسبب في ذلك
	سفر ابن الخطيب إلى مراكش وأعمالها وزيارته لأوليائها ورجالها
13	والسبب في ذلك
20	بقاء أخبار ابن الخطيب بلا حرسها الله
32	انتقض الحسن بن عمر الفودودي وخروجه بتادلا ثم مقتله عقب ذلك
33	نهوض السلطان أبي سالم إلى تلمسان واستيلاؤه عليها
	وفادة السودان من أهل مالي على السلطان أبي سالم وإغرابهم في هديتهم
34	بالزراقة الحيوان المعروف
37	مقتل السلطان أبي سالم رحمة الله والسبب في ذلك

41.	الخبر عن دولة السلطان أبي عمر تاشفين الموسوس ابن أبي الحسن المريني
41.	الفتك بغرسية بن أنطول قائد النصارى ومقتل جنده معه والسبب في ذلك ...
	ظهور عبد الحليم بن أبي علي بن أبي سعيد ومحاصرته لفاس الجديد ثم
43.	فراره عنها
	الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي زيان محمد بن أبي عبد الرحمن
44.	يعقوب بن أبي الحسن المريني
	وفادة ابن الخطيب من سلا على السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن
46.	رحمهما الله
	وفادة عامر بن محمد الهمتاني على السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن
50.	رحمهما الله
51.	مقتل السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن رحمة الله
52.	الخبر عن دولة السلطان أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن رحمة الله
53.	انتقاض أبي الفضل بن أبي سالم ثم مقتله بعد ذلك
54.	انتقاض عامر بن محمد الهمتاني وحصار السلطان عبد العزيز إياه وظفره به ...
56.	ارتفاع الجزيرة الخضراء من يد الإسبانيو
	نهوض السلطان عبد العزيز إلى تلمسان واستيلاؤه عليها وفرار سلطانها أبي
57.	حمو بن يوسف عنها
	نزوع الوزير ابن الخطيب عن سلطانه الغني بالله إلى السلطان عبد العزيز
58.	بتلمسان
59.	وفاة السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن رحمة الله
	الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله أبي زيان محمد بن عبد العزيز بن أبي
60.	الحسن
	الخبر عن الدولة الأولى للسلطان المستنصر بالله أبي العباس أحمد بن أبي
61.	سالم بن أبي الحسن

62.....	محتة الوزير ابن الخطيب ومقتله رحمة الله
65.....	بقية أخبار أمير مراكش عبد الرحمن بن أبي يفلوشن رحمة الله
66.....	ذكر الشاوية وبيان تسميمهم وأولياتهم وشرح لقبهم وتسميتهم
67.....	نهوض السلطان أبي العباس إلى تلمسان وفتحها وتخريبها
68.....	خلع السلطان أبي العباس بن أبي سالم وتغريبه إلى الأندلس والسبب في ذلك الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي فارس موسى ابن أبي عنان بن أبي الحسن
69.....	خروج الحسن بن الناصر بعمارة ونهوض الوزير ابن ماساي إليه
70.....	وفاة السلطان موسى بن أبي عنان رحمة الله
71.....	الخبر عن دولة المنتصر بالله السلطان أبي زيان محمد بن أبي العباس ابن أبي سالم بن أبي الحسن
72.....	الخبر عن دولة السلطان الواثق بالله أبي زيان محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن
73.....	الخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبي العباس بن أبي سالم بن أبي الحسن
74.....	ظهور محمد بن عبد الحليم بن أبي علي بسجله ثمان ثم اضمحلال أمره بعد ذلك
75.....	نكبة الكاتب ابن عمرو وحركات بن حسون ومقتلهم
76.....	أخبار تلمسان واستيلاء السلطان أبي العباس عليها
77.....	وصول هدية صاحب مصر السلطان الظاهر بررقق إلى السلطان أبي العباس بتازا والسبب في ذلك
78.....	وفاة السلطان أبي العباس بن أبي سالم رحمة الله
79.....	الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله أبي فارس عبد العزيز ابن أبي العباس ابن أبي سالم رحمة الله
80.....	بقية أخبار السلطان عبد العزيز ووفاته

الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله أبي عامر عبد الله ابن أبي العباس بن أبي سالم رحمة الله تعالى	81
وفاة الشيخ ابن عاشر	82
وفاة الشيخ أبي عبد الله الفتزاري السلاوي المعروف بابن المجراد	83
وفاة الشيخ ابن عباد	84
تبديل الأحوال بالمغرب والشرق	84
الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد عثمان بن أبي العباس ابن أبي سالم	86
حجابة أبي العباس القبائلي ونكبته ومقتله والسبب في ذلك	86
حجابة فارح بن مهدي وأوليته وسيرته	89
حجابة أبي محمد الطريفي وسيرته	90
حدوث الفتنة بين السلطان أبي سعيد والسلطان أبي فارس الحفصي والسبب في ذلك	90
استيلاء البرتغال على مدينة سبتة أعادها الله	92
الخبر عن دولة السلطان عبد الحق بن أبي سعيد ابن أبي العباس ابن أبي سالم المرنيبي رحمة الله	95
زحف البرتغال إلى طنجة ورجوعهم عنها بالخيبة	95
أخبار الوزراء والمحجوب وتصرفاتهم	96
وزارة يحيى بن يحيى الوطاسي ومقتله وقتل الوطاسيين معه والسبب في ذلك	97
رياسة اليهوديين هارون وشاوبل وما نشأ عن استبدادهما من المحنّة والفتنة ..	98
ارتفاع الإصينيول جبل طارق من يد ابن الأحمر	98
استيلاء البرتغال على طنجة	98
قتل السلطان عبد الحق بن أبي سعيد والسبب في ذلك	99
وفاة الشيخ أبي زيد عبد الرحمن المكودي	100

100	وفاة الشيخ أبي عبد الله بن الفتوح
101	وفاة الإمام العبدوسى
101	وفاة الشيخ أبي عبد الله القورى
101	وفاة الشيخ زروق
101	وفاة الشيخ أبي العباس أحمد البرنسى
	بقية أخبار بني الأحمر واستيلاء العدو على غرناطة وسائر الأندلس منها
102	وانتهان كلمة الإسلام منها
104	سقوط غرناطة في يد الأصياب
107	اكتشاف أرض أميركا
109	أخبار البرتغال بال المغرب الأقصى على الجملة
114	الخبر عن دولة الشريف أبي عبد الله الحميد وأولياته
115	بيعة السلطان أبي عبد الله الحميد والسبب فيها
116	فتنة الشاوية ووصولهم إلى بلاد الغرب
116	استيلاء البرتغال على مدينة آنفي وأصيلا
117	خلع السلطان أبي عبد الله الحميد وانتهان أمره
118	الخبر عن دولة بني وطاس وذكر نسبهم وأولياتهم
	الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ بن أبي زكرياء
119	الوطاسي رحمة الله
	رياسة بني راشد من شرفاء العالم بعمارة وبناؤهم مدينة شفشاون وما يتبع ذلك
121	ذلك
122	ثورة عمرو بن سليمان السيااف ببلاد السوس وشيء من أخباره
122	وفاة الشيخ الجزوئي رحمة الله
124	بناء مدينة تطاوين
	قدوم أبي عبد الله بن الأحمر مخلوعاً على السلطان محمد الشيخ

125	الوطاسي رحمهما الله
	استيلاء البرتغال على ساحل البريجه وبناؤهم مدينة الجديدة ضانها الله
136	سبحانه تعالى بمنه
	استيلاء البرتغال على سواحل السوس وبناؤهم حصن فوتي قرب أكادير وما
139	قيل في ذلك
140	وفاة السلطان محمد الشيخ الوطاسي رحمة الله
	الخبر عن دولة السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسي المعروف بالبرتغالي
140	رحمه الله
141	استيلاء البرتغال على ثغر آسفى حرسه الله
142	زحف السلطان أبي عبد الله البرتغالي إلى آصيلا
142	استيلاء البرتغال على ثغر آزمور حرسه الله
143	استيلاء البرتغال على ثغر المعمورة حرسه الله
	أخبار السلطان أبي عبد الله البرتغالي مع الشيخ أبي محمد الغزواني
144	رضي الله عنه
	نهوض السلطان أبي عبد الله البرتغالي إلى مراكش ومحاصرته أبو العباس
147	الأعرج السعدي بها
148	ذكر وزراء السلطان أبي عبد الله وما قيل فيه
148	وفاة السلطان أبي عبد الله رحمة الله
149	الخبر عن الدولة الأولى للسلطان أبي حسون بن محمد الشيخ الوطاسي
	الخبر عن دولة السلطان أبي العباس أحمد بن محمد الوطاسي رحمة الله
149	تعالى
150	وقعة آنماي بين الوطاسين والسعديين
	عقد الصلح بين السلطانين أبي العباس الوطاسي وأبي العباس السعدي
151	رحمهما الله تعالى

152	غزوه الحمر قرب آصيلا حرسها الله
	وقفة أبي عقبة بوادي العبيد وما كان فيها بين الوطاسيين والسعديين من القتال
153	الشديد
155	بناء السلطان أبي العباس الوطاسي قنطرة الرصيف بفاس حرسها الله
156	وقفة وادي درنة بتادلا وأسر الأمير أبي زكرياء الوطاسي ومهلكه رحمة الله .
	استيلاء السلطان محمد الشيخ السعدي على فاس وبقشه علىبني
156	وطاس ومهلك سلطانهم أبي العباس رحمة الله تعالى بفضلة
157	بقية أخبار السلطان أبي العباس الوطاسي وسيرته
159	الخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبي حسون الوطاسي رحمة الله
	مجيء السلطان محمد الشيخ السعدي إلى فاس واستيلاؤه عليها ومقتل
161	السلطان أبي حسون رحمة الله
164	وفاة الشيخ أبي العباس الماواسي
164	وفاة الشيخ أبي العباس التجيبي
165	وفاة الشيخ أبي العباس الوانشريسي
165	وفاة الشيخ النباع
165	وفاة الإمام ابن غازي
165	وفاة الشيخ أبي عبد الله بن منصور
165	وفاة الشيخ الفلاح
165	وفاة الشيخ مالك بن خدة
166	وفاة الشيخ أبي محمد الغزواني
169	وفاة الشيخ أبي عبد الله محمد بن عيسى

فهرس الأعلام والقبائل

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد التاورتي	.152
.94 - .93	
أبو إسحاق إبراهيم بن محمد البزناسني	.163
.78 - .75	
أبو البقاء بن تاشكورت	.31
أبو البقاء عبد الوارث الباصلوفي	.42
.145 - .146	
أبو بكر بن عامر	.56
أبو بكر بن غازى	.54 - .57 - .60 - .61
.81 - .63	
أبو بكر بن يحيى الوطاسي	.97
أبو بكر الحفصي	.50
أبو بكر السعيد بن أبي عنان المريني	.3 - .7
أبو بكر بن أبي العباس المريني	.90
أبو تاشفين بن أبي حمو بن يوسف	.83 - .64 - .63 - .62
.76 - .82 - .81	
أبو ثابت عامر بن محمد الهمتاني	.50
أبو الحجاج يوسف ابن الأحمر	.27 - .82
.119 - .118 - .114 - .89 - .84 - .82	
أبن شقرون	.145
آل أبي بكر	.152
آل عثمان التركمانى	.163
آل مرين	.31
آل يعقوب	.31
إبراهيم البطروجى	.42
الأيكيم ابن الأحمر	.6
ابن الأحمر	.43 - .62 - .59 - .57 - .56
.98 - .94 - .93 - .73 - .72 - .69 - .68	
ابن الخطيب	.135 - .124 - .120
.21 - .20 - .19 - .13 - .12 - .24 - .32 - .31 - .30 - .29 - .26 - .25 - .24	
ابن خلدون	.39 - .35 - .33 - .8 - .7 - .5
.80 - .77 - .71 - .66 - .65 - .52 - .51	

- 29 - 25 - 18 - 7 . أبو الحسن المريني . 59 - 54 - 44 - 43 - 41 - 34 .
- . أبو الحسن النباهي . 62 .
- أبو حمو موسى بن يوسف الزيانى . 5 - 67 - 60 - 57 - 55 - 43 - 34 - 33 - 67 .
- . 76 - 74 - 68 .
- . أبو دواه . 132 .
- . أبو الرواين الممحجوب . 151 - 153 .
- . أبو زكرياء بن فرقاجة . 30 .
- . أبو زكرياء يحيى بن أبي دلامة . 94 .
- أبو زكرياء يحيى بن أبي عبد الله البرتغالي . 156 .
- . أبو زكرياء يحيى بن أحمد بن عبد المنان . 79 .
- . أبو زكرياء يحيى بن بكار . 113 .
- . أبو زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي . 96 - 97 .
- . أبو زكرياء يحيى السراج . 84 - 154 .
- . أبو زيان بن أبي حمو الزيانى . 79 - 80 .
- أبو زيان بن عبد الرحمن يعقوب بن أبي الحسن المريني . 44 - 45 - 46 - 50 - 51 - 52 .
- . أبو زيان محمد بن أبي الفضل بي أبي الحسن المريني - الواثق بالله . 72 - 73 .
- . أبو زيان محمد بن عبد العزيز بن أبي الحسن - السعيد بالله . 60 - 61 - 63 .
- . أبو زيان محمد بن عثمان بن أبي

- . أبو الحجاج يوسف بن منصور الوطاسي . 117 - 120 .
- . أبو حدود . 16 .
- . أبو حفص عمر الخطاب . 151 .
- أبو الحسن بن أبي محمد العلمي - أبو جمعة . 121 .
- . أبو الحسن علي بن راشد . 125 - 154 .
- . أبو الحسن علي بن سعد . 102 .
- أبو الحسن علي بن عبد الرحمن القباطي . 86 - 88 .
- أبو الحسن علي بن غسان الشاوي . 111 - 152 .
- . أبو الحسن علي بن قاسم التخبي - الرفاق . 164 .
- . أبو الحسن علي بن محمد الشيشي الوطاسي - أبو حسون . 148 - 149 - 160 - 159 .
- . أبو الحسن بن علي بن مصباح الحسني - ابن عسكر . 111 - 149 .
- . أبو الحسن علي بن موسى العلمي . 121 .
- . أبو الحسن علي بن هارون المطغرى . 151 .
- . أبو الحسن علي بن الوزير لسان الدين ابن الخطيب . 78 - 79 .
- . أبو الحسن علي الصنهاجي الدوار . 158 .
- . أبو الحسن علي المنظري الغرناطي . 90 - 124 .
- . أبو الحسن علي اليوسي . 164 .

- أبو العباس أحمد بن محمد البرتغالي .159 - 158 - 150 - 149 .
 أبو العباس أحمد بن محمد الشيخ الوطاسي .154 - 153 - 151 - 146 .
 أبو العباس أحمد الوانشريسي .165 .
 أبو العباس أحمد بن يوسف .15 .
 أبو العباس أحمد الدغموري القصري .113 .
 أبو العباس أحمد زروق .100 .
 أبو العباس أحمد العاوي .149 - 164 .
 أبو العباس أحمد الناصري .22 .
 أبو العباس الأعرج السعدي .147 - 150 - 156 - 153 - 151 .
 أبو العباس بن أبي سالم المريني .61 - 72 - 69 - 68 - 67 - 65 - 63 - 62 .
 أبو العباس بن الخطيب القدسية - ابن تفذ .83 .
 أبو العباس السبتي .17 .
 أبو العباس الصومعي .21 - 123 .
 أبو العباس المقري .106 .
 أبو عبد الله الياجي .91 .
 أبو عبد الله بن الأحمر .125 .
 أبو عبد الله بن الأزرق .115 .
 أبو عبد الله بن زمرك الأندلسي .36 - 63 - 69 .

- تاشفين .34 .
 أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي .100 .
 أبو زيد عبد الرحمن المجنوب .165 .
 أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني - المستعين بالله .7 - 8 - 9 - 12 - 13 - 19 - 25 - 26 - 29 - 32 - 33 - 34 - 35 .
 أبو سعيد عثمان بن أبي العباس المريني .29 - 87 - 86 - 88 - 89 - 90 - 91 - 94 - 93 - 92 .
 أبو سعيد القبائلي .87 .
 أبو سعيد المريني .88 .
 أبو سليمان .145 .
 أبو شامة بن يحيى الوطاسي .97 .
 أبو طلحة الزبيير بن محمد المصباحي الشاوي .154 - 153 .
 أبو عامر بن عبد الرحمن بن أبي يفلوشن .65 .
 أبو العباس أحمد البرنسى - زروق .101 .
 أبو العباس أحمد بن عاشر العافى .83 .
 أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد ابن عاشر الأندلسي .21 - 24 - 82 - 83 .
 أبو العباس أحمد بن علي القبائلي .78 - 89 - 87 - 86 - 81 .
 أبو العباس أحمد بن القاضي المكتناسي .162 - 149 - 140 - 111 - 71 .

- | | |
|--|--|
| أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزوئي .102 - 103
أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحفيـد .165 - 122 - 132 - 123
أبو عبد الله محمد بن يحيى الشـازـي .112 - 146
أبو عبد الله محمد بن عزوز الرباطـي .21
أبو عبد الله محمد بن علي الـهـرـوـي .147 - الطالب
أبو عبد الله محمد بن عمر بن الفتوح التلمسـانـي .101 - 100
أبو عبد الله محمد بن عيسى السـفـيـانـي .166
أبو عبد الله محمد بن غـازـي .124 - 144 - 145
أبو عبد الله محمد بن محمد بن عيسى المصمودـي .97
أبو عبد الله محمد بن محمد الشـيخـ الـوطـاـسيـ - البرـتـغـالـيـ .116 - 112 - 140 - 142 - 143 - 144 - 147
أبو عبد الله محمد بن محمد المـغـيلـيـ .71
أبو عبد الله محمد بن منصور السـفـيـانـيـ .165
أبو عبد الله محمد بن يحيى البـهـلوـيـ .112 - 113 - 149
أبو عبد الله محمد بن يوسف الفـاسـيـ .156 | أبو عبد الله بن صـدـدـ التـلـمـسـانـيـ .82
أبو عبد الله العـمـرـانـيـ .115 - 114 - 119 - 117 - 116
أبو عبد الله الـزيـانـيـ .162
أبو عبد الله الصـغـيرـ السـهـلـيـ .116
أبو عبد الله القـصـارـ .141
أبو عبد الله العـقـيلـيـ .125
أبو عبد الله القرـويـ .122
أبو عبد الله محمد بن إبراهـيمـ التـفـزيـ - ابن عـيـادـ .84
أبو عبد الله محمد بن أبي الحـسـنـ .102 - 105 - 104 - 103
أبو عبد الله محمد بن أبي زـكـرـيـاءـ الـحـفـصـيـ .90 - 91
أبو عبد الله محمد بن أبي العـبـاسـ الـوطـاـسيـ .157
أبو عبد الله محمد بن أبي الفـضـلـ التـونـسـيـ - خـرـوفـ .112
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مـرـزـوقـ .25 - 26 - 37 - 38 - 39 - 113
أبو عبد الله محمد بن إدريس الجـارـيـ .137
أبو عبد الله محمد بن رـاشـدـ الإـدـرـيـسيـ .160
أبو عبد الله محمد بن سـعـدـ الزـغـلـ . |
|--|--|

- أبو علي الحسن بن محمد العلوي 137.
- أبو عمر تاشفين بن أبي الحسن المريني
الموسوس - 38 - 43 - 44 - 55 -
56.
- أبو عنان بن أبي الحسن المريني 3 - 4 - 5 -
7 - 115 - 118 - 82 - 75 - 54 - 50 -
أبو فارس المخصمي 90 - 91 - 161.
- أبو فارس عبد العزيز بن أبي الحسن
المريني 52 - 53 - 54 - 55 - 56 -
57 - 58 - 59 - 60 - 62 - 63 - 82 -
أبو فارس عبد العزيز بن أحمد الملاني
.94.
- أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق
الحرار - التابع - 123 - 144 - 165.
- أبو فارس عبد العزيز بن أبي العباس
المريني 76 - 77 - 78 - 79 - 80 - 81 -
.90.
- أبو فارس موسى بن أبي عنان المريني
.75 - 72 - 71 - 69 - 68 -
.115.
- أبو الفضل بن أبي سالم المريني 43 -
50 - 53 - 54.
- أبو الفضل فرج الأندلس 111.
- أبو الفضل محمد بن محمد بن أبي
عمرو التميمي 71.
- أبو القاسم بن أبي طلحة 154.
- أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن
رضوان 39.

- أبو عبد الله محمد الشيخ السعدي 139 -
157 - 159 - 160 - 161.
- أبو عبد الله محمد الشيخ بن أبي
ذكرباء الروطاسي 97 - 98 - 111 -
117 - 124 - 120 - 144 - 148 - 151 -
.156 - 154.
- أبو عبد الله محمد الحلوي 97 - 119 -
124.
- أبو عبد الله محمد الخصامي 82.
- أبو عبد الله محمد العربي الفاسي 89 -
.141 - 116.
- أبو عبد الله محمد الغزواني 144 - 145 -
.152 - 146.
- أبو عبد الله محمد الفنزاري - ابن
ال مجرد - 83.
- أبو عبد الله محمد القصري - سقين -
.111.
- أبو عبد الله المقربي 115.
- أبو عبد الله المواق 103.
- أبو عبد الله البيجي 147.
- أبو عبد الله اليفرني 149.
- أبو عثمان سعيد بن أبي بكر المشتري
.158 - 157.
- أبو العزم رحال الكوش 150 - 158.
- أبو عمرو عثمان بن محمد المخصمي
.162 - 161.
- أبو علي بن أبي سعيد المريني 43.
- أبو علي الحسن بن مسعود اليوسفي 22.

- أبو القاسم القبائلي .87 .166 - 165 - 150 .

أبو مدين .83 .

أبو النجاء سالم الروداني .116 .

أبو يشو مالك بن خدة الصبيح .165 .

أبو يعزى .21 - 123 .

أبو يحيى محمد بن محمد السكاك .73 .

أبو يحيى محمد بن محمد بن أبي القاسم بن أبي مدين .59 - 73 .

الأتراك .143 - 161 - 162 .

أحمد بن أبي عبد الله محمد الوطاسي .112 .

أحمد الحفصى .91 .

أداراته فاس .114 .

إدريس بن إدريس .114 .

إسماعيل ابن الأحمر .8 - 9 .

الاشراف الأدارسة .115 .

أسبانيا .89 .

الأصبهيون .90 - 93 - 98 - 107 - 109 .

اعتماد .20 .

أعراب أفريقيا .91 .

الإفرينج .110 .

أهل آزمور .125 - 142 - 143 .

أهل آسفي .141 .

أهل أشمونة .139 .

أهل الأندلس .25 - 32 - 64 .

أهل البشرات .105 .

أهل السيازين .106 .

أبو القاسم محمد بن سودة المري .71 .

أبو القاسم محمد بن عبد الله الحسن .78 .

أبو القاسم محمد بن يحيى الأندلسي .39 .

أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الراشريسي .151 - 152 - 155 - 158 - 159 .

أبو المحاسن الفاسي .156 .

أبو محمد بن الخطيب .48 .

أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد الراشريسي .149 .

أبو محمد عبد الحق .110 .

أبو محمد عبد الحق بن أبي سعيد المرتني .95 - 96 - 97 - 98 - 99 - 114 - 115 - 116 - 117 - 119 .

أبو محمد عبد الرحيم بن إبراهيم الزناني .95 - 96 .

أبو محمد عبد الله بن ياسين .111 .

أبو محمد عبد الله الطريقي .87 - 90 .

أبو محمد عبد الله العبدوسى - القورى .101 .

أبو محمد عبد الله الكوش .111 .

أبو محمد عبد الله الورياكلى .113 .

أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الراشريسي .163 .

أبو محمد الغزواني .116 - 147 - 148 - 149 .

حرف (ب)

- برابرية صنادة .32
- البربر .85 - 67 - 55 - 93 - 109 - 107 - 98 - 95 - 93 - 125 - 124 - 120 - 119 - 116 - 110 - 143 - 142 - 141 - 139 - 138 - 136 - 163 - 154 - 144 .
- بني الأحمر .62 - 73 - 102 - 109 .
- بني أبي الحسن 7
- بني أبي حفص .109
- بني أبي العباس .86
- بني إسرائيل .122
- بني توجين .34
- بني جابر .32
- بني راشد .121
- بني زغبة .5
- بني زيان .33 - 109 - 159 - 162 .
- بني سعيد .68
- بني عامر بن زغبة 4 - 33 - 57 - 80 .
- بني عبد الحق 95 - 118 .
- بني عبد الحميد العروسيون .152 - 153 .
- بني عبد الواد .60
- بني فرنكار .147 - 144 .
- بني القبائي .86 .
- بني مرين 4 - 5 - 6 - 25 - 31 - 42 - 43 .
- 50 - 52 - 60 - 62 - 63 - 74 - 81 .
- 89 - 91 - 95 - 100 - 109 - 115 .

- أهل تامستا .136
- أهل تطاوين .125 - 89 .
- أهل تلمسان .162 .
- أهل جبل طارق .93 .
- أهل جنوة .109 - 107 .
- أهل حومة القلقين .99 .
- أهل الخروب .121 .
- أهل الذمة .112 .
- أهل الريف .124 .
- أهل سلا .83 .
- أهل السوس .139 .
- أهل الصفيحة .70 .
- أهل غرناطة .104 .
- أهل فاس .91 - 98 - 99 - 100 - 101 - 117 - 114 - 120 .
- أهل مالي .34 - 35 .
- أهل مراكش .147 .
- أهل المغرب .7 - 27 - 93 - 100 - 114 .
- أهل المغارب الأقصى .111 .
- أهل المشرق .27 .
- أولاد جرار .77 .
- أولاد حسين .67 - 77 .
- أولاد عبد الحميد .152 .
- أولاد المنحور .158 .
- الأيالة المرinية .72 .
- إيسابيلا .124 - 107 .

- الحسن بن علي الورديفي .32.
- الحسن بن عمر الفودودي ٣ - ٤ - ٥ - ٧ - ٨ - ٣٣ - ٣٢ - ٣٣.
- الحسن بن محمد بن أحمد بن مرزوق .٨.
- الحسن بن الناصر ٧٠ - ٧١.
- الحسن بن يوسف الورتاجيني .٣٢.
- الحسين الشرطي .٩٨.
- حمو الزباني .٨١.

حرف (خ)

- خالد .٨١.
- الحضر .١٢٢.
- خليل - الشیخ - .١٠١.
- خوان الأول .٩٤ - ٩٢.
- خير الدين باشا .١٦٢.

حرف (د)

- دكالة .١٣٦.
- دول الأوربا .١٦٢.
- دولة ابن الأحرم .٧.
- الدولة الأندلسية .١٧.
- دول بني الأحرم .١٢٤.
- دولة بني زيان .١٦١.
- دولة بني وطاس ١١٤ - ١١٣ - ١٢١.
- الدولة السعودية .١٤٧.
- دولة الشرفاء الأدارسة .١١٠.
- دولة الشريف العمراني .١١٤.
- الدولة المرئية .٦٢ - ٨٦ - ٨٠ - ١١٥ - ١٦١.

- .١٦١ - ١٣٢ - ١٢٠ - ١١٨.
- بني معقل ٥ - ٣٥ - ٣٣ - ٥٧.
- بني الوزير .١١٨.
- بني وطاس .٩٨ - ١٠٩ - ١١٨ - ١١٠ - ١٥٦ - ١٥١ - ١٥٠ - ١٤٨ - ١٤٧ - ١٣٨ - ١٥٩ - ١٥٨ - ١٥٧ - ١٦٢.
- بني يزناسن .٢.
- البيت الإدريسي .١١٤.

حرف (ت)

- ناشفين المريني .٥٥.
- تماملات - أم موسى بن أبي عنان .٦٩.
- تبان المريني .١٠٠.
- الترك .٧٧ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦٢ - ١٦٣.

حرف (ج)

- جوهر - أم السلطان المستنصر بالله
- عبد العزيز بن أبي العباس .٧٩ - ٨١ - ٨٦.
- الجراسة .٧٧.
- الجلالة .١٠٩.

حرف (ح)

- الحارث بن عباد .١٣٢.
- المحيثة .٢٦.
- الحررة ابنة أبي محمد السباني .٦١.
- الحررة ابنة الأمير أبي الحسن علي .١٥٤.
- حركات بن حسون .٧٥.
- حسان بن أبي سعيد الصيحي .٦٦.
- حسن بن خير الدين باشا .١٦٣.

الدولة الموحدية .86
الديار المشرقة .163

حرف (ذ)

ذوي حسان .35

حرف (ر)

رضوان الحاجب .9
الرضي - الشريف .131
رقية ابنة أبي عنان .71
الروم .26
الريكي الثالث .89

حرف (ز)

الزياء .92
زناتة .67
زروق .122

زهور الوطاسية .120
زيان بن عمر بن علي الوطاسي .65
.142 - 119 - 118

حرف (س)

السجيري .120 - 117
سعد بن محمد الغني بالله بن الأحمر .81

السعديون .135 - 147 - 153 - 154 - 156 - 163 - 160 -

.السعيد بن أبي عامر المريني .87
.السعيد بن عثمان .44

سفيان الثوري .132.

سليمان بن داود .38 - 6 - 4 - 41 -

.64 - 62 - 63 - 42

سليمان بن سليمان خان .163

سليمان بن ونصر .38 - 41 - 42

سليم بن عبد الرحمن .65

.66 - 4 - 4

.سيوية .100

حرف (ش)

.الشاذلية .164

.الشاريه .96 - 116

.شاويل اليهودي .98

.الشرفاء السعديون .121

شعب بن ميمون بن داود .38

.الشيرازي .131

حرف (ص)

صالح التركماني - صالح رئيس .160

صالح بن حمو الياباني .81 - 94

صغرى بن عامر بن إبراهيم .4

صالح بن صالح بن حمو الياباني .96

.صبيح .66

.صنهاجة .15

حرف (ط)

طلحة بن حسان .66

حرف (ظ)

الظاهره برقوق - الملك الظاهر .77

حرف (ع)

عائشة ابنة القائد فارح العلوج .60

- عبد الواحد بن طلحة العروسي 152 - .153
 عبد الوارث الياضلي 116 .
 عثمان بن وزنمار 4 .
 العثمانيون 162 .
 عصيلة - أم السلطان الواثق بالله بن أبي زيان 72 .
 العرب 5 - 57 - 34 - 33 - 31 - 6 - 5 .
 .161 - 91 - 85 - 74 .
 .عرب أنكاد 96 .
 .عرب نامتنا 31 - 144 .
 .عرب بني معقل 67 .
 .عرب جشم 32 .
 .عرب السوس الأقصى 35 .
 .عرب سويد 57 .
 .عرب صبيح 165 .
 .عروج باشا 162 .
 .عرب المغرب الأقصى 67 .
 عصيلة أم السلطان الواثق بالله المريني 72 .
 .عرب هلال 4 .
 .علي بن إدريس 65 .
 .علي بن حسان 66 .
 .علي بن هرون 155 .
 .علي بن يوسف الوطاسي 96 - 97 .
 عمرو بن سليمان الشيشظمي المغيطسي
 - السيف - 122 - 123 .
 عمر بن عبد الله الفودودي 37 - 38 .

- عامر بن عبد الله بن ماساي 5 .
 عامر بن محمد الهاشمي 3 - 4 - 6 - 17 - .56 - 53 - 54 - 55 - 56 - 42 - 18 .
 العباس بن عمر بن عثمان الوستافي 73 .
 العباس بن المقداد 70 .
 عبد الحق بن أبي سعيد بن أبي العباس 94 - 93 .
 عبد الحليم بن إسحاق البزنطي 80 .
 عبد الحليم بن أبي علي بن أبي سعيد 74 - 51 - 44 - 43 .
 عبد الرحمن بن العباس القباني 86 - .88 - 87 .
 عبد الرحمن بن أبي عنان 3 .
 عبد الرحمن بن أبي بفلوسن 51 - 60 - .81 - 69 - 65 - 63 - 62 - 61 - .119 - 118 .
 عبد الرحمن المنجور 158 .
 عبد الرحيم بن إسحاق البزنطي 81 .
 عبد العزيز بن أبي العباس أحمد
 الحفصي 79 .
 عبد الله بن أحمد المريني - عبو - 92 - .94 - 93 .
 عبد الله بن إسماعيل 144 .
 عبد الله بن كندوز العبد الوادي 66 .
 عبد المهيمن بن أبي سعيد الحضرمي
 .69 .
 عبد المؤمن بن أبي سعيد 74 .
 عبد المؤمن بن أبي علي 51 - 53 .

- قبائل الحوز .153
- قبائل العرب .153
- قبائل السوس .139
- قبائل صناعة .54
- القبائل الهمطية .99 - .114
- القصبة بشفشاون .121
- القعقاع بن شور .132
- قمر - أم السلطان أبي سالم .7
- القهedor .6
- قيس بن عاصم .133
- قصير .92

حرف (ك)

- كعب بن مامة .132
- كلتب .108 - .107

حرف (ل)

- لويز ماريا .136

حرف (م)

- مبarak بن إبراهيم بن عطية .13 - .44 - .53 - .56 - .54 -

- محمد بن أبي زكريا يحيى بن أبي
الحسن بن أبي دلامة .95

- محمد بن أبي ثابت .161

- محمد بن الأحمر - الغني بالله .8 - .12 - .17 - .32 - .58 - .61 - .88

- محمد بن أحمد الأبكى .73

- محمد بن أحمد بن أبي سالم .71

- محمد بن الزرقاء .32

- .58 - .15 - .45 - .44 - .43 - .42 - .41
- عمر بن عبد الله الياباني .45 - .50 - .52 - .53

- عمر بن علي الوطاسي .118

- عمر بن يحيى الوطاسي .163

- عياض القاضي .165

- عيسي بن الحسن المصباحي .111

حرف (غ)

- غازى بن أبي عبد الله محمد بن غازى
.113

- غرسية بن أنطول .38 - .42

- غزوان .144

- غمارة .71

حرف (ف)

- فارح بن مهدي العلچ .81 - .87 - .89 - .90

- فارس بن عبد العزيز بن محمد .55

- فتح الله السدراتي .38

- فرناندو .95

- .142 - .139 - .120 - .109 - .108 - .143

- فرقاجة .30

- فضة - أم السلطان أبي زيان المريني .44

حرف (ق)

- القاسم بن أبي مدین .59 - .73

- القادر العباسي .131

- القادرية .164

- المنصور بن أبي عبد الله .91.
- المنصور بن أبي غاثم .163.
- منصور بن أحمد بن محمد التميمي .73.
- منصور بن زيان الوطاسي .117.
- منصور بن سليمان .4 - 5 - 6 - 7 - 8 .
- منقر .133.
- منويل .136 - 139 - 143 - 143 - 139 .
- منويل بن باولو القشتيلي .81 - 89 - 92 - 93 - 95 - 120 - 135 - 139 .
- المهدي بن عبد الرحمن بن ماساي .70.
- المهدي الشيعي .143.
- الموحدون .16.
- موسى .122.
- موسى بن أبي سعيد .66.
- موسى بن أبي عنان .68 - 69 - 71 - 72 .
- ميمنة - أم السلطان أبي عمر تاشفين .41.

حرف (ن)

- الناصر بن أبي ذكرياء .140 - 144.
- الناصر بن محمد الشيخ - الكديد .146 - 147 - 148 .
- النجليز .98.
- نصر بن الغني بالله ابن الأحمر .81.

حرف (هـ)

- هارون اليهودي .98 - 99 .

محمد بن عبد الحليم بن أبي علي بن أبي سعيد .74.

محمد بن عثمان بن أبي تاشفين .33.

محمد بن عثمان بن الكاس المجدولي .62 - 63 - 69 - 70 .

محمد بن عريف .57.

محمد بن علي بن يوسف الرطاسي .97.

محمد بن الغني بالله ابن الأحمر .81.

محمد بن محمد بن أبي عمر و التميمي .75.

محمد بن موسى بن محمود الكردي .78.

محمد بن يوسف ابن الأحمر .82.

محمد بن يوسف بن علال الصنهاجي .78 - 76 .

المرابط .91.

مريم .52.

مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي .3 - 5 - 8 - 38 - 41 - 50 - 51 - 61 - 62 .

.74 - 73 - 72 - 71 - 70 - 69 - 68 .

مسعود بن الناصر .147 - 148 .

المعتصم بن أبي عنان المربي .3 .

المعتمد بن عباد .3 - 19 .

معراوة .34.

منسا زاطة .35.

منسا سليمان .34 - 35 .

منسا موسى .34.

المنصور .20.

- يحيى الجوطي .114.
 يعقوب بن أبي حدود .16.
 يعقوب بن حسان .66.
 يعقوب بن عبد الحق .66.
 يعقوب بن المنصور الموحدى .143.
 يعقوب التسولي .97.
 يعيش بن عبد الرحمن بن ماسى .71.
 يعيش بن علي بن أبي زيان .6.
 يعيش بن علي بن فارس اليابانى .73.
 يغمراسن بن زيان .66 - .163.
 يوحنا الثاني .107.
 يوسف بن أبي حمو .76 - .77 - .80.
 يوسف بن تاشفين .118.
 يوسف بن علي بن غانم .77.
 يوسف بن يعقوب بن عبد الحق .29.
 اليونان .107.

هشة .3 - .18 - .55.

حرف (و)

- الوطاسيون .97 - .98 - .135 - .153 - .157.
 وزمار بن عريف السويدي .68.

حرف (ي)

الياسعين - أم السلطان أبي بكر بن أبي عنان المريني .3.

يحيى بن أبي دلامة .80

يحيى بن أبي ذكرياء .119.

يحيى بن الحسن بن أبي دلامة التسولي .80 - .78.

يحيى بن الصائغ اليهودي .81.

يحيى بن عبد الرحمن .42 - .43.

يحيى بن علال بن أمصמוד الهمكورى .94 - .80 - .81 - .73.

يحيى بن موسى .72.

يحيى بن ميمون .54.

فهرس الأماكن

حرف (ا)

- إশبيلية .44
- أغمات .19 .20
- إفريقية .4 .109
- أندرش .105 .106
- الأندلس .6 .21 .20 .14 .12 .9 .7
- .56 .51 .44 .43 .42 .28
- .69 .68 .63 .62 .61 .59 .58
- .102 .91 .81 .75 .73 .72 .70
- .162 .135 .125 .109 .107 .103

حرف (ب)

- باب الجيزة بفاس .39 .96 .124
- باب الحمراء بفاس .101
- باب الخميس بمراكن .148
- باب الشريعة .135
- باب فاس بمراكن .148
- باب الفتوح .42 .146
- باب القليعة .146 .147
- باب المحرق .33 .64 .91
- باب المعلقة .83
- بادس .7

حرف (ج)

- آزمور .65 .142 .139 .135 .110
- .143
- آسفي .16 .154 .143 .141 .139
- آصيلا .98 .116 .113 .111 .110
- .120 .144 .142 .140 .119
- .139 .110 .آكادير
- .33 .آخرسيف
- آنفا .الغار البيضاء .13 .110 .116
- .114
- آنكاد .5
- .آتماي .150
- أبو عقبة بروادي العيد .154
- أرض الأندلس .58 .120 .102 .62
- .111 .أرض البرونزي
- .110 .أرض الجديدة
- .110 .أرض السودان
- .66 .أرض السوس
- .108 .أرض ماركان .107
- .144 .أشبورن .93 .135 .135

- بلاد ملوية .33
 بلاد الهبط ١١٩ - ١١٢ - ١١١ - ١١٠ - ١٤٩ - ١٤٤ - ١٤٠ - ١٣٨ -
 بليفيق .١٠٦
 البلد الجديد .٥
 بونة .٩٠
 بحيرة الجزائر .١٠٦
حرف (ت)
 تاجمومت .٣
 تاحناوت .١٤٥
 تادلا .١٥٣ - ١٥١ - ٧٦ - ٥٤ - ٣٢ -
 تازا .٧٨ - ٧٧ - ٧٦ - ٦٩ - ٦٧ - ٥٧ - ٤٤ - ٣٩ -
 تاصرورت .١٤٦ - ١٢٣ -
 تالماغت .٤٩
 تامسنا .٩٦ - ٦٧ - ١٥ -
 تانسيفت .١١١
 تاوريرت .٦٧
 تطاوين .١٢٥ - ١٢٤ - ١٠٦ - ٩٠ - ٨٩ -
 تلمسان .٥٧ - ٥٦ - ٣٤ - ٣٣ - ٦ - ٥ - ٥٩ - ٥٨ -
 تونس .١١٧ - ١٠٦ - ٩١ - ٩٠ - ٧٤ - ٧٠ - ١٦٣
 تيجاس .٨٩
 تيط .١٣٦ - ١١٠

- بجاية ٩١ - ١١٨ - ١٦٢
 برج الذهب .٣٥
 برج الشيخ .١٣٦
 برج العدوة .١٠٥
 البريجة .١٣٩ - ١٣٦ - ١١٠
 برشلونة .٤
 البحر المحيط .١١٠ - ١٠٨ - ١١٠
 بسيط أزغار .١١٦
 البشرات .١٠٥ - ١٠٣
 البطحاء .٦٨
 بطورية .٦٧ - ٦٣ - ٦١
 بلاد الأندلس .١٠٩
 بلاد أولاد جلون .١٦٥
 بلاد المحوز .١٥٣
 بلاد الريف .٦٣ - ١١٨
 بلاد زناته .٥٧
 بلاد السوس .١١٢ - ١٤٧ - ١٤٩
 البلاد الشرقية .١٦٣ - ٧٨
 بلاد طليق .١١١
 بلاد الغرب .١٦٣ - ١٥٦ - ١١٦ - ٥٧
 بلاد غمارة .٨
 بلاد قشتالة .١٢٤
 البلاد المراكشية .٥٥ - ١٧
 بلاد المشرق .١١٣ - ١٦٣
 بلاد مغراوة .٦٨
 بلاد المغرب .١٢٤ - ١٢١ - ٢١
 بلاد المغرب الأقصى .١٦٠

		حروف (ث)
		الثغور الهبطية .113.
		حروف (ج)
		جبال غمارة ٧ - ٧٠.
		جبال المصامدة .٥٥.
		جبال الكاي .٣.
		جبل بلنقة .١٠٦.
		جبل بني جابر .٥٤.
		جبل درن .٥٤ - ٥٥.
		جبل الزعفران .٣٩.
		جبل زرهون .١٥١.
		جبل شلير .١٠٣.
		جبل الصفيحة .٧٠.
		جبل طارق .٥٨ - ٦٣ - ٩٣ - ٩٢ - ١٤٢.
		جبل العلم .٢١.
		جبل العرض بناس .١١١.
		جبل غمارة .٧٠.
		جبل الفتح .٧٢.
		جبل مغيلة .٧٢.
		جبل هناتة ٣ - ١٨.
		الجزائر .١٤٣ - ١٥٧ - ١٥٩ - ١٤٢ - ١٦٢.
		الجزائر الخالدات .١٠٨.
		جزيرة الأندلس .١٠٦ - ١١٠ - ١٠٨ - ١٢٤.
		جزيرة الباسن .١٦٥.
		جزيرة الخضراء .٥٦.
		الجديدة .١٢٥ - ١٣٦ - ١٣٩.
		جنوة .١٠٧.
	حروف (ح)	
	حجر باديس .١٤٣.	
	حصن تاجمومت .٦٨.	
	حصن تازروت .٦٨.	
	حصن عامر .٦.	
	حصن فونتي .١٣٩.	
	حصن مرادة .٦٨.	
١٠٤ -	الحرماء - حمراء غرباطة - ٨ - ٧٢ -	
	١٠٥ - . ١٢٤ - .	
	حومة إيلان بمراكبش .١٦٥.	
	حومة البليدة بفاس .٩٩.	
	حومة القصوز بمراكبش .١٤٤ - ١٦٦.	
	حومة القلقلين بفاس .٩٩.	
	حروف (خ)	
	خندق القصب .٣٩.	
	حروف (د)	
	الدار البيضاء .١٤٤.	
	دار الكومي .٩٩.	
	دبدو .١٢٤ - ١٦٣.	
	درب جنیارة .٩٩.	
	درب السعود .١٤٦.	
	درعة .١٥٧.	
	الدعايعة .١١١.	
	الدنيا الجديدة .١٠٨.	
	ديار الأوروپا .١٦٣.	
	ديار الأندلس .١٧.	

حرف (ش) شالة ٢١ - ٢٥ - ٣٠ . الشاوية ٦٦ - ٦٧ . الشام ١٠٧ . شفشاون ١٢١ . شلف ٦٨ .	الديار المغربية ١٦٣ . حرف (ر) الرباط - رباط الفتح - ٢٠ - ١٠٦ - ١١٠ . رباط آسفي ١١٠ . رباط شالة ٢٥ . رندة ٨٤ . رومة ١٠٤ - ١٠٥ . الركن ٦٩ . رياض الغزلان ٣٩ - ٥١ .
حرف (ص) الصحراء ٥ - ٢٦ - ٣٣ - ٣٥ - ١١٩ . صحراء السوس ٥٥ . الصين ٩٢ .	حرف (ص) زرهون ٩٤ . زنقة الجيلة ٨٧ .
حرف (ط) الطالعة ٨٧ . طرابلس ١٠١ . طريف ٤١ . طنجة ٤٥ . ٩٨ - ٩٦ - ٩٥ - ٧٣ - ٦٣ - ٦١ - ١٤٠ - ١٣٨ - ١١٣ - ١١١ - ١١٠ - ١٤٢ .	حرف (ط) سبتة ٤٤ - ٧٢ - ٦٩ - ٦٣ - ٥٨ - ٥٦ - ٩٨ - ٩٦ - ٩٥ - ٩٤ - ٩٢ - ٨٣ - ٧٥ - ١٣٨ - ١٢٥ - ١٢٤ - ١١١ - ١١٠ - ١٠٩ - ١٤٠ . سبو ٤٣ .
حرف (ع) العرائش ١١٠ . العدوة ١٣ - ٧٢ - ١٠٤ . عدوة الأندلس ١٤٤ . عدوة القرورين ٨٧ . عدوة وادي شفشاون ١٢١ . عقبة المساجين ١٤٥ . عين القرادس بفاس ١٠٠ .	حرف (ع) سجلماسة ٣ - ٦٢ - ٦١ - ٥٣ - ٥١ - ٤٣ - ٧٤ - ٦٥ . سلا ١٣ - ٤٥ - ٣٢ - ٢٤ - ٢٢ - ٢١ - ٢٠ - ١٠٦ - ٨٤ - ٨٣ - ٨٢ - ٥٨ - ٤٩ - ٤٦ - ١١١ - ١١٠ - ١٠٩ . السودان ٩٢ . السوس ٥٥ - ٥٥ - ١٤٧ - ١٤٠ . السوس الأقصى ١١٠ . سبيوس ٩٠ - ٩١ .
حرف (غ) غرناطة ٥٨ - ٩٣ - ٨٢ - ٦٣ - ١٠٣ - ١٠٢ .	

- القصر الكبير .19
 قصر كلامة .71 - 110 - 140
 قصر المجاز .96 - 110 - 111
 قصر ون Zimmerman .67
 القلة بفاس .96 - 100 - 124
 قنطرة الرصيف .155
- حرف (ك)**
- كدية العرائس .6 - 45 - 43 - 39 - 38 - 8
- حرف (م)**
- مادرة .141
 مالة .102
 مخروط جوطة .114
 المدرسة العنانية .116
 مدرسة الوادي بفاس .144
 مدريد .116 - 124
 المدينة البيضاء - فاس الجديد .61 - 67
 مراكش .3 - 25 - 21 - 16 - 13 - 8 - 4 - 62 - 54 - 53 - 50 - 43 - 35 - 105 - 95 - 86 - 73 - 67 - 66 - 146 - 144 - 139 - 123 - 118 - 111 - 157 - 156 - 151 - 150 - 148 - 147 - 166 - 165 - 161 - 124
 مرتيل .103
 مرج غرناطة .139
 مرس آكادير .56

- .125 - 124 - 107 - 104
حرف (ف)
 فاس .3 - 4 - 35 - 34 - 32 - 21 - 60 - 59 - 58 - 55 - 54 - 53 - 51 - 73 - 72 - 69 - 68 - 67 - 62 - 61 - 94 - 91 - 90 - 87 - 84 - 79 - 78 - 106 - 105 - 100 - 99 - 97 - 96 - 95 - 120 - 119 - 116 - 115 - 112 - 111 - 146 - 145 - 144 - 135 - 125 - 124 - 153 - 151 - 150 - 149 - 148 - 147 - 164 - 161 - 159 - 156 - 154 - 165
 فاس الجديد .5 - 43 - 42 - 38 - 37 - 120 - 117 - 99 - 87 - 76 - 74 - 73 - 124
 فضالة .116
- حرف (ق)**
- قبة الخياطن .138
 قرطبة .106
 القرويين .113 - 99
 قسطنطينة .83
 القدسية .107
 قشالة .8 - 116 - 104
 القصبة بغرناطة .9
 القصبة بفاس .145 - 52 - 38 - 37
 قصبة مراكش .53 - 65 - 119
 قصر تازروت .68 - 156 - 153 - 152
 القصر .152 - 153 - 156

- مصر ٧٧ - ١٠٧.
 مكناة الزيتون ٢١ - ٩٩ - ٦٧ - ١٠١.
 - ١٥٦ - ١٥١ - ١٤٨ - ١٢٤ - ١٢٠ - ١١٦
 . ١٦٦ - ١٥٧
 . ٤٢
 مليلة ١٣٥ - ١٠٥.
 مملكة المغرب ١٢٩.
 المهدية ١١٥.
 ميناء العمورة ١٤٣ - ١٤٤.
حرف (ن)
 نهر سبو ١١٤ - ١٦٥.
حرف (و)
 وادي آس ٩ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤.
 وادي درنة ١٥٦.
 وادي سبو ٦.
 وادي العييد ١٥٣ - ١٥٤.
 وادي مرتيل ٧٩.
 وادي مليوبة ٢٩.
 وادي ورغة ٣٩.
 وادي اللين ١٤٦.
 وجدة ٦.
 وطاط ٣٣.
 وهران ١٠٦ - ١٤٣ - ١٦٢.

- مرسي عسasse ٥١.
 مرسي سبة ٩٢.
 المرية ١٠٥.
 العمورة ١٤٣.
 المغرب ٣١ - ٢١ - ٢٠ - ١٤ - ٨ - ٦ - ٥.
 - ٥٠ - ٤٩ - ٤٢ - ٣٥ - ٣٤ - ٣٣ - ٣٢
 - ٦٣ - ٦٢ - ٦١ - ٦٠ - ٥٩ - ٥٨ - ٥١
 - ٧٤ - ٧٢ - ٧٠ - ٦٨ - ٦٧ - ٦٦ - ٦٥
 - ٩١ - ٨٥ - ٨٤ - ٨٣ - ٨٠ - ٧٩ - ٧٧
 - ١٠٨ - ١٠١ - ١٠٠ - ٩٥ - ٩٤ - ٩٢
 - ١١٩ - ١١٨ - ١١٥ - ١١٤ - ١١١ - ١٠٩
 - ١٥٦ - ١٤٧ - ١٤٦ - ١٣٦ - ١٢٤ - ١٢٠
 . ١٦٥ - ١٦١
 المغرب الأدنى ١٦٢ - ١٦٣.
 المغرب الأقصى ٩٢ - ٨٣ - ٨١ - ٦٦ - ٦٥.
 - ١٦٣ - ١١٠ - ١٠٩ - ١٠٨ - ١٠٦ -
 المغرب الأوسط ١٠٩ - ١٥١ - ١٥٩ - ١٦٢ -
 . ١٦٣ -
 مسجد السوق الكبير بفاس الجديد ٩٠.
 مسجد القروريين ١٢٤.
 مسراة ١٠١.
 مسلمة ١٦١.
 مشروع أبي عقبة ١٥٣.
المشرق ٧ - ٣١ - ٥١ - ٨٤ - ٨٥ -
 . ١٦٥